

جامعة اليرموك
كلية الشريعة
قسم الدراسات الإسلامية

الأمل والتفاؤل من منظور تربوي إسلامي
Hope and Optimism From an
Islamic Educational Perspective

إعداد الطالبة

عهد سعود الزينات

إشراف

أ.د. محمد عقلة الإبراهيم

حقل التخصص - التربية الإسلامية

1432هـ / 2011م

الأمل والتفاؤل من منظور تربوي إسلامي

إعداد

عهد سعود الزيناتي

ماجستير تربية إسلامية، جامعة اليرموك 2005م

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في تخصص التربية الإسلامية في جامعة اليرموك، إربد، الأردن

وافق عليها

أ.د محمد عقلة الإبراهيم رئيساً

أستاذ في الفقه المقارن، جامعة اليرموك

أ.د عزمي طه السيد عضواً

أستاذ في الفلسفة الإسلامية والعقيدة، جامعة آل البيت

أ.د رافع عقيل الزغول عضواً

أستاذ في علم النفس التربوي، جامعة اليرموك.

د. أحلام محمود مطالقة عضواً

أستاذة في التربية الإسلامية، جامعة اليرموك

د. عبد الله محمد الجبوسي عضواً

أستاذ في التفسير وعلوم القرآن، جامعة اليرموك

تاريخ تقديم الأطروحة 2011/4/28م.



إلى من ربّاني، وعلماني، وبذلا النفس والغالي، لأصل إلى ما

أنا عليه

والديّ العزيزين

إلى من قاسمني حياتي، وتحملّ معي مشقة هذا العمل

زوجي العزيز

إلى فلذة كبدي وعبيّ الآتي

ولدي حمزة

إلى من أعتز بصحبتهما، ورفقتهم

إخوتي وأخواتي

إلى كل طالب علم وطالبة

إلى كل من ساهم في إخراج هذا العمل

أهدي بحثي المتواضع

الباحثة

شكر وتقدير

الحمد لله أولاً وأخيراً لرب الكون أن منّ عليّ بإتمام دراستي هذه، فله الحمد والشكر الكثير. ثم أتقدم ببالح الشكر والتقدير للأستاذ الدكتور محمد عقلة الإبراهيم الفاضل الذي وأكب مسيرة هذه الرسالة، اختياراً لموضوعها، وتوجيهاً لخطتها، وإشرافاً على كتابتها، وكان له الأثر الكبير في تسديد خطاي، وإرشادي في بحثي، فله مني خالص الشكر والامتنان.

قائمة المحتويات

الصفحة

الموضوع

ج	الإهداء
د	شكر وتقدير
هـ	قائمة المحتويات
ح	الملخص باللغة العربية
1	المقدمة
2	مشكلة الدراسة وأسئلتها
3	أهداف الدراسة
3	أهمية الدراسة
4	مصطلحات الدراسة
4	محددات الدراسة
5	الدراسات السابقة
5	منهج الدراسة
6	خطة الدراسة
8	- الفصل الأول: مفهوم الأمل ومقوماته وأهميته
8	تمهيد
9	المبحث لأول: مفهوم الأمل والمصطلحات ذات العلاقة
21	المبحث الثاني: مقومات الأمل
21	المطلب الأول: الإيمان الصادق
32	المطلب الثاني: الشجاعة والصبر والثبات
45	المطلب الثالث: الثقة بالنفس
54	المبحث الثالث: أهمية الأمل
59	- الفصل الثاني: مصادر الأمل وبواعثه
60	تمهيد
61	المبحث الأول: العقيدة
75	المبحث الثاني: العبادات
96	المبحث الثالث: القدوة الحسنة
104	المبحث الرابع: الاعتبار بأحوال الآخرين

111	المبحث الخامس: صحبة المتفائلين.....
121	المبحث السادس: التعاون والتعاقد.....
130	الفصل الثالث: مبشرات وحقائق داعية إلى الأمل.....
131	تمهيد.....
132	المبحث الأول: مبشرات من القرآن الكريم.....
145	المبحث الثاني: مبشرات من السنة النبوية.....
153	المبحث الثالث: مبشرات من التاريخ الإسلامي.....
164	المبحث الرابع: مبشرات من السنن الإلهية.....
173	المبحث الخامس: الصحوة الإسلامية.....
177	المبحث السادس: شهادات الغرب.....
186	المبحث السابع: القوى التي تملكها الأمة.....
196	الفصل الرابع: ميادين الأمل ومجالاته.....
197	تمهيد.....
198	المبحث الأول: الدعوة إلى الله.....
220	المبحث الثاني: الجهاد في سبيل الله.....
236	المبحث الثالث: عند حدوث المصائب.....
251	المبحث الرابع: الوقوع في الذنوب والمعاصي.....
270	المبحث الخامس: التغيير في منهج التفكير.....
282	الفصل الخامس: الآثار التربوية للأمل ووسائل تحقيقه.....
283	تمهيد.....
284	المبحث الأول: الآثار التربوية للأمل.....
284	المطلب الأول: الآثار التربوية الإيجابية لوجود الأمل.....
286	المطلب الثاني: الآثار التربوية السلبية لغياب الأمل.....
288	المبحث الثاني: دور وسائل التربية الإسلامية في بعث الأمل.....
288	المطلب الأول: دور الأسرة في بعث الأمل.....
292	المطلب الثاني: دور المدرسة في بعث الأمل.....
303	المطلب الثالث: دور المسجد في بعث الأمل.....
306	الخاتمة.....
306	النتائج.....
307	التوصيات.....

308	المصادر والمراجع
332	فهرست الآيات
342	فهرست الأحاديث
348	الملخص باللغة الإنجليزية

الملخص باللغة العربية

الزيناتي، عهد مسعود، الأمل والتفاؤل من منظور تربوي إسلامي. أطروحة دكتوراة. جامعة اليرموك. 2011 (المشرف أ.د. محمد عقلة الإبراهيم)

هدفت هذه الدراسة إلى التعريف بمفهوم الأمل، ومقوماته، وأهميته، والكشف عن مصادره وبواعثه، وتحديد المبشرات والحقائق الداعية إليه، والتعريف بميادينه ومجالاته وتوضيح الأبعاد التربوية له من منظور إسلامي. وقد خلصت الدراسة إلى أن الأمل يركز على مقومات هي الإيمان بالله تعالى، والشجاعة والصبر والثبات، والثقة بالنفس، وأن له مصادر وبواعث تمد المسلم بأسباب الراحة والسكينة والنظرة الإيجابية للأمور، وتعينه على مواجهة صعوبات الحياة وتمثل بالعقيدة، والعبادات، والقنوة الحسنة، والاعتبار بأحوال الآخرين، وصحة المتفائلين، والتعاون والتعاقد، وأن هناك مبشرات وحقائق تبعث الأمل في النفس مصدرها القرآن الكريم، والسنة النبوية، والتاريخ الإسلامي والسنن الإلهية وتؤكد لها حقائق الواقع وهي الصحوة الإسلامية، وشهادات الغرب، والقوى التي تملكها الأمة. وأن هناك ميادين ومجالات يحتاج أصحابها أكثر من غيرهم للتسلح بالأمل كميدان الدعوة إلى الله، والجهاد في سبيل الله، وعند حدوث المصائب، والوقوع في الذنوب والمعاصي، والتغيير في منهج التفكير.

الكلمات المفتاحية: الأمل، التفاؤل، التربية الإسلامية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبي الرحمة، هادي الأمة، مرشدها ومخرجها من الظلمات إلى النور، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

تعاني الأمة الإسلامية اليوم حالة من التردّي والتدهور والانحطاط، فنرى فيها التفرق والتشتت، والركون إلى الدنيا، والانغماس في الملذات والشهوات، أيضاً نرى فيها البعد عن الله عز وجل، والميل إلى الراحة والكسل اللذين أصبحا ديدنها، كما نرى التوقع الحاصل في دائرة تمجيد الماضي والتغني به، كذلك نلمح الخوف من المستقبل والأنايية وحب الذات، والنظرة المعادية للإسلام من أنه قيد يكبل النفوس، والتقليد الأعمى للأقوى، من جهة أخرى نرى كيف أنّ أعداء الإسلام يحاولون بثتى الطرق إضعاف شوكتها، وبث روح اليأس في صفوف أبنائها، حرب نفسية تشعلها نيران الأحقاد والخوف من قيام دولة إسلامية جديدة تقود العالم مرة أخرى كل ذلك ساهم في توليد حالة من اليأس والتشاؤم والقنوط لديها من عدم القدرة على تغيير الواقع والنهوض من جديد.

إن هذه الأمة بالرغم مما تعانيه إلا أنها تحمل بداخلها عوامل قوتها واستمرارها، فتسببها بعقيدتها، وإتباعها لمنهج خالقها، وتطبيقها لأوامره، والافتداء برسولها صلوات الله وسلامه عليه كقيل بأن تقود دفة القيادة من جديد، فهو دين يبث الطمأنينة والسكينة في النفوس، ويبعث الأمل فيها ويحييه من جديد، دين يقوي صلة العبد بالخالق، يعطيه الثقة بنفسه ويرفع من همته؛ ليسمو ويرتقي إلى أعالي الدرجات، دين يعلم المسلم أن ما بعد الضيق إلا الفرج، وأن مع العسر يسراً، وما من ظلمة تدوم إلا ويلها فجر مشرق بشمس ساطعة تبعث الروح والتفاؤل وتحببها من جديد، نفس لا بد أن توقن أن دوام الحال من المحال، وأن الله

مبثليها ومختبرها، فما أبكاها إلا ليضحكها، وما أجزنها إلا ليفرحها، وما منعها إلا ليعطيها،
فتشكره على نعمه الظاهرة والباطنة.

منهج سار عليه حبيبنا وقوتنا محمد صلوات الله وسلامه عليه وتربي عليه الصحابة
والمسلمون وطبقوه، فصنعوا حضارة وقادوا أمة لا مثيل لها، تتوق لها النفوس وتثير الدهشة
لدى أعدائها.

إن رفع المعنويات، وبعث الأمل في النفوس، والثقة بنصر الله، وإعداد العدة هي من
أعظم أسباب النصر والتمكين للأمة الإسلامية، التي هي اليوم أحوج ما تكون إلى من يبعث
الأمل فيها ويحارب اليأس والقنوط، ويغير منهجية تفكيرها، كما يحثها على العمل وبذل
الجهود الجبارة، فهي تقتني منجماً من الطاقات والقوى، التي تحتاج إلى من يخرجها
ويستثمرها، لتحقيق ذاتها، وكيانها، واستقلاليتها، ومن ثم توليها دفة القيادة.

لذلك جاءت هذه الدراسة لتبين مدى أهمية بعث الأمل ودوره في إحياء الأمة
الإسلامية من جديد.

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

تكمن مشكلة الدراسة فيما يعانيه المسلمون من هموم واحباطات ولدت لديهم مشاعر
الاكتئاب، واليأس، والتشاؤم، وفقدان بريق الأمل تجاه تغيير الواقع، والنهوض بالأمة، وقيادتها
للعالم من جديد. لذلك ستحاول الباحثة جاهدة من خلال دراستها هذه تبيان أهمية إشاعة الأمل
في النفوس وكيفية بعثه من جديد، من خلال محاولتها الإجابة عن الأسئلة التالية:

1. ما مفهوم الأمل، وما مقوماته، وما أهميته؟

2. ما مصادر الأمل وبواعثه؟

3. ما المبشرات والحقائق الداعية إلى الأمل؟

4. ما ميادين الأمل ومجالاته؟

5. ما الآثار التربوية للأمل؟

أهداف الدراسة

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

1. التعريف بمفهوم الأمل ومقوماته وأهميته.
2. الكشف عن مصادر الأمل وبواعثه.
3. تحديد المبشرات والحقائق الداعية إلى الأمل.
4. التعريف بميادين الأمل ومجالاته.
5. توضيح الآثار التربوية للأمل.

أهمية الدراسة

تستمد هذه الدراسة أهميتها مما يلي:

1. عدم وجود دراسات تناولتها من منظور تربوي إسلامي.
2. إبراز أهمية بعث الأمل في النفوس؛ فهو بمثابة الترياق من تسلل اليأس والقنوط إليها.
3. بيان كيفية بعث الأمل وإحيائه من جديد؛ فالنفس المسلمة قد خفت فيها بريق الأمل وضوءه، وهي تواقفة لينبوع تستمد منه قوتها وشجاعتها وثباتها وقدرتها على التغيير المطلوب، الذي يحتاج إلى كثير من العمل سواء على الصعيد الفردي أم الجماعي.
4. بيان ما للعقيدة الراسخة في النفس من دور قوي وبارز في توليد الأمل وتثبيتها فيها، وأن سعادة المرء المتمثلة بطمأنينة قلبه، وانشراح صدره، وتفاؤله لا يجدها إلا بإيمان قوي بالله عز وجل.

5. بيان أن التربية الإسلامية تسعى إلى بناء شخصية متفائلة، واثقة بقدراتها، صابرة

وثابتة عند الشدائد، وأن الشخصية المؤمنة هي شخصية متفائلة دائماً نظراً لعقيدتها

الراسخة.

مصطلحات الدراسة

إن عنوان هذه الدراسة يتضمن ثلاثة مصطلحات تحتاج إلى توضيح، لذلك سيتم

تعريفها إجرائياً وفق قواعد البحث العلمي وما تقتضيه هذه الدراسة من توضيح للقارئ.

1. الأمل: هو الرجاء والثقة من جهة العبد بقدرة الله عز وجل المطلقة على تحقيق رغبة

أو هدف يتطلع إليه بعد الأخذ بالأسباب التي تساعد في ذلك.

2. التفاؤل: هو الاستبشار بالخير، والنظرة الإيجابية للأحداث في الحياة.

3. منظور تربوي إسلامي: استناد هذه الدراسة إلى الدراسات التربوية، والدراسات

التربوية الإسلامية، ودراسات علم النفس وآراء المفكرين والتربويين ذات العلاقة.

محددات الدراسة

إنّ عنوان هذه الدراسة يحمل في ثناياه حدودها؛ فقد جاءت في ثلاثة محاور، المحور

الأول هو في بيان الحديث عن الأمل من حيث تعريفه، وأهميته، ومقوماته، وميادينه، ووسائله

تحقيقه، والمحور الثاني هو في بيان الحديث عن التفاؤل وبواعث الأمل، ما الذي يحيي الأمل

في النفس ويجعلها متفائلة مستبشرة بالخير؟ أما المحور الثالث فيتمثل بعرض وبيان هذه

الدراسة من منظور تربوي إسلامي.

الدراسات السابقة:

في حدود اطلاع الباحثة لم تجد رسائل جامعية تطرقت لهذا الموضوع، إنما وجدت بحثاً منشوراً على شبكة الإنترنت:

1. اليأس والأمل وأثرهما في بعث الحياة الإسلامية، فايز عبد الفتاح أحمد أبو عمير ،
2005 (1).

جاء بحثه هذا للإجابة عن سؤالين هما: هل هناك أمل؟ والثاني ما العمل؟

القسم الأول تمثل في إيرادته لنصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية تحرم اليأس والقنوط، وإيراده أيضاً لنصوص تبشر بأن النصر لهذا الدين.

أما القسم الثاني فتمثل بوجوب قيام دولة إسلامية تقيم منهج الله عز وجل، ووجوب العمل الجماعي الذي يوحد صفوف هذه الأمة.

فحالة الانحطاط التي يعيشها المسلمون، وما تفتشى في جسم هذه الأمة من داء اليأس والقنوط يلزمه ما أكد عليه الباحث في بحثه.

ومما يميز الدراسة الحالية أنها ذات بعد تربوي إسلامي، ومن أنها مبنية ومجزأة، وجامعة لمفردات الموضوع المطروح.

منهج الدراسة

تعتمد الباحثة في هذه الدراسة كلا من المنهج الاستقرائي المتمثل بتتبع الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والوقائع التاريخية، وأقوال المفكرين والتربويين ذات العلاقة بموضوع الدراسة، والمنهج الاستنباطي المتمثل باستخراج المعاني والدلالات من النصوص

(1) أبو عمير، فايز عبد الفتاح أحمد، اليأس والأمل وأثرهما في بعث الحياة الإسلامية، على شبكة الإنترنت:
www.dahsha.com 2005/11/21

ذات العلاقة أيضاً، والمنهج الوصفي التحليلي المتمثل بعرض عناصر الموضوع المطروح وبيانه.

خطة الدراسة

جاءت خطة الدراسة في خمسة فصول هي على النحو الآتي:

الفصل الأول: مفهوم الأمل ومقوماته وأهميته وفيه المباحث التالية:

المبحث الأول: مفهوم الأمل والمصطلحات ذات العلاقة.

المبحث الثاني: مقومات الأمل وفيه مطالب:

المطلب الأول: الإيمان الصادق.

المطلب الثاني: الشجاعة والصبر والثبات.

المطلب الثالث: الثقة بالنفس.

المبحث الثالث: أهمية الأمل

الفصل الثاني: مصادر الأمل وبواعثه وفيه مباحث:

المبحث الأول: العقيدة.

المبحث الثاني: العبادات.

المبحث الثالث: القدوة الحسنة.

المبحث الرابع: الاعتبار بأحوال الآخرين.

المبحث الخامس: صحبة المتفائلين.

المبحث السادس: التعاون والتعاقد.

الفصل الثالث: مبشرات وحقائق داعية على الأمل وفيه مباحث:

المبحث الأول: مبشرات من القرآن الكريم.

المبحث الثاني: مبشرات من السنة النبوية.

المبحث الثالث: مبشرات من التاريخ الإسلامي.

المبحث الرابع: مبشرات من السنن الإلهية.

المبحث الخامس: الصحوة الإسلامية.

المبحث السادس: شهادات الغرب.

المبحث السابع: القوى التي تملكها الأمة.

الفصل الرابع: ميادين الأمل ومجالاته وفيه مباحث:

المبحث الأول: الدعوة إلى الله

المبحث الثاني: الجهاد في سبيل الله.

المبحث الثالث: عند تحمل المصائب.

المبحث الرابع: عند الوقوع في الذنوب والمعاصي.

المبحث الخامس: التغيير في منهج التفكير.

الفصل الخامس: الآثار التربوية للأمل ووسائل تحقيقه وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الآثار التربوية للأمل وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الآثار التربوية الإيجابية لوجود الأمل.

المطلب الثاني: الآثار التربوية السلبية لغياب الأمل.

المبحث الثاني: دور وسائل التربية الإسلامية في بعث الأمل وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: دور الأسرة في بعث الأمل.

المطلب الثاني: دور المدرسة في بعث الأمل.

المطلب الثالث: دور المسجد في بعث الأمل.

الخاتمة

- النتائج.

- التوصيات.

الفصل الأول

مفهوم الأمل ومقوماته وأهميته

تمهيد

تتناول الباحثة في هذا الفصل مفهوم الأمل ومقوماته وأهميته وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: مفهوم الأمل والمصطلحات ذات العلاقة.

المبحث الثاني: مقومات الأمل وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الإيمان الصادق.

المطلب الثاني: الشجاعة والصبر والثبات.

المطلب الثالث: الثقة بالنفس.

المبحث الثالث: أهمية الأمل.

المبحث الأول

مفهوم الأمل والمصطلحات ذات العلاقة

تبين الباحثة في هذا المبحث مفهوم الأمل لغةً واصطلاحاً والمصطلحات المرادفة والمضادة له في المعنى، وهذا ما تقتضيه حيثيات هذه الدراسة من عرضها وبيانها ثم توضيح التداخل والتقارب في المعنى بينها.

المطلب الأول: الأمل في اللغة والاصطلاح

أولاً: في اللغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور: (1)

الأمل: الرجاء، والجمع آمال.

وفي المعجم الوسيط: (2).

الأمل: الرجاء، وأكثر استعماله فيما يستبعد حصوله. وجمعه آمال.

كما جاء في كتاب العين للفراهيدي: (3)

الأمل: الرجاء، تقول: أملتُه أملُهُ، وأملتُه أومله تأميراً

ثانياً: في الاصطلاح:

وردت تعريفات عدة لمفهوم الأمل (Hope) هي على النحو الآتي:

- هو اتجاه أو ميل نفسي يتضاد مع اليأس أو القنوط، وهو ما يعتبره البعض عاطفة

مشتقة تقوم على الرغبة في تحقيق هدف بعينه مع وجود درجة من اليقين بأن هذه

(1) ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط1، 1900، ج11، ص27.

(2) أنيس، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، دم.، دن، ط2، ديت، ج1، ص27.

(3) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق، عبد الحميد الهنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2003، ج1، ص86.

الرغبة ستجد سبيلها للتحقق، مما يضيف على الواقع نوعاً من المتعة التي يبعثها تحقق الأمل أو انتظاره⁽¹⁾.

كما يعرف بأنه:

خبرة انفعالية تنشأ عندما يتوقع الشخص حدثاً معيناً مرغوباً فيه⁽²⁾.

ويعرف بأنه:

اتجاه عاطفي يعتبره بعض العلماء عاطفة مشتقة، سمتها الغالبة الرغبة في الحصول على أو تحقيق هدف معين، مع وجود فكرة أن هذه الرغبة ستتحقق، وتتغلف التجربة كلها بلون من الامتاع⁽³⁾.

كما يعرف بأنه:

اتجاه يتصف بتوقع الأحداث المرئية⁽⁴⁾.

ويعرف أيضاً بأنه:

عاطفة مشتقة تتكون أساساً من اتجاهات يغلب عليها الرغبة في الحصول على شيء أو الوصول إلى هدف معين، مع فكرة أن هذا الهدف سوف يتحقق مما يجعل الفرد يشعر بالرضا والارتياح⁽⁵⁾.

(1) طه، فرج عبد القادر، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، القاهرة، دار غريب، ط1، 2003، ص121.

(2) بتروفسكي وباروشفسكي، معجم علم النفس المعاصر، ترجمة: حمدي عبد الجواد وعبد السلام رضوان، القاهرة، دار العالم الجديد، ط1، 1996، ص128.

(3) الحفني، عبد المنعم، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، دم. مكتبة مدبولي، ط1، 1978، ج1، ص358.

(4) عاقل، فاخر، معجم العلوم النفسية، القاهرة، شعاع للنشر والعلوم، ط1، 2003، ص217.

(5) سليمان، عبد الرحمن سيد، معجم التفوق العقلي، القاهرة، عالم الكتب، ط1، 2004، ص135.

يلاحظ مما سبق بيانه من التعريفات أنها متفقة في مضمون معنى الأمل؛ فهو عاطفة أو رغبة أو اتجاه نحو الحصول على شيء أو تحقيق هدف معين مع وجود درجة من اليقين لدى صاحب الأمل من شأنه بعث الارتياح في النفس.

هذا بالنسبة للمفهوم العام لمصطلح الأمل، أما مفهومه في هذه الدراسة فهو: الرجاء والثقة من جهة العبد بقدرة الله عز وجل المطلقة على تحقيق رغبة أو هدف يتطلع إليه بعد الأخذ بالأسباب التي تساعد في ذلك.

وأمل أمتنا اليوم هو التمكين لها والنصر على أعدائها بعد أخذها بالأسباب الموجبة لذلك النصر والتمكين، فمضمون الأمل لديها هو الرجاء والثقة بالله عز وجل، لتحقيق تلك الرغبة، ولا يكون ذلك فقط بالتمني، إذ لا بد من العمل والعودة إلى المنهج الإسلامي القويم الذي ارتضاه رب العزة لهذه الأمة قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ

بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران: ١١٠).

المطلب الثاني: المصطلحات ذات الصلة بالمعنى:

هناك مصطلحات تتقارب مع الأمل في مدلولها، ومنها:

أولاً: التفاؤل

1. التفاؤل في اللغة

جاء في لسان العرب^(١).

فأل: الفأل: ضد الطيرة. والطيرة: ضد الفأل وهي فيما يكره كالفأل فيما يستحب، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء، والفأل يكون فيما يُحسن وفيما يسوء، قال أبو منصور: من

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج 11، ص 513-514.

العرب من يجعل الفأل فيما يكره أيضاً، قال أبو زيد: تفاعلت تفاعولاً، وذلك أن تسمع الإنسان وأنت تريد الحاجة يدعو يا سعيد يا أفلح أو يدعو باسم قبيح، والاسم: الفأل وفي الحديث: (لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل) قيل: وما الفأل؟ قال: الكلمة الطيبة⁽¹⁾. قال: وهذا يدل على أن من الفأل، ما يكون طيباً ومنه ما يكون غير ذلك، وإنما أحب النبي الفأل لأن الناس إذا أملوا فائدة الله وزجوا عائدته عند كل سبب ضعيف أو قوي فهم على خير، ولو غلطوا في جهة الرجاء فإن الرجاء لهم خير، ألا ترى أنهم إذا قطعوا أملهم ورجاءهم من الله كان ذلك من الشر؟ فأما الطيرة فإن فيها سوء الظن بالله وتوقع البلاء، ويجب على الإنسان أن يكون لله راجياً، وأن يكون حسن الظن بربه. وجاء في المعجم الوسيط⁽²⁾.

الفأل: قول أو فعل يستبشر به، وتسهل الهزمة فيقال: الفأل، وقد يستعمل فيما يكره ويقال: لا فال عليك: لا ضير عليك.

2. التفاؤل في الاصطلاح: (Optimism)

عرف مصطلح التفاؤل بتعريفات عدة هي على النحو الآتي:

- موقف من جانب الفرد تجاه الحياة أو حيال أحداث معينة، يميل أحياناً على حد مفرط نحو التركيز على الناحية المشرقة منها أو الجانب المفعم بالأمل والخير⁽³⁾. ويعرف أيضاً بـ:

- النزوع إلى رؤية الجوانب الإيجابية في الحياة⁽⁴⁾.

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب: الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم، ج4، حديث رقم 2224، ص1393.

(2) أنيس، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ج2، ص671.

(3) رزوق، أسعد، موسوعة علم النفس، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط3، 1987، ص77.

(4) الشربيني، لطفي، موسوعة شرح المصطلحات النفسية، بيروت، دار النهضة العربية، ط1، 2001، ص254.

كما يعرف بأنه:

اتجاه إزاء الحياة، أو إزاء أحداث معينة، ينزع فيه الفرد إلى رؤية الجانب المشرق من الحياة والأحداث، وإلى الإيمان بأن هذا العالم هو خير العوالم الممكنة، وأن الخير سينتصر في النهاية⁽¹⁾.

ويعرف أيضاً بأنه:

نظرة استبشار نحو المستقبل، تجعل الفرد يتوقع الأفضل و ينتظر حدوث الخير، ويرنو إلى النجاح ويستبعد ما خلا ذلك⁽²⁾.

ويعرف بأنه:

استعداد انفعالي، معرفي معمم، ونزعة للاعتقاد أو للاستجابة انفعالياً تجاه الآخرين وتجاه المواقف، وتجاه الأحداث بطريقة إيجابية، وتوقع نتائج مستقبلية جيدة ونافعة⁽³⁾.

كما يعرف بأنه:

استعداد كامن داخل الفرد للتوقع العام لحدوث الأشياء الجيدة والإيجابية، أي توقع النتائج الطيبة الإيجابية للأحداث المستقبلية⁽⁴⁾.

إن التفاؤل قوة ذاتية عميقة كامنة في النفس تنزع لرؤية الأشياء الإيجابية والطيبة في الحياة.

وقد استوقف الباحثة التعريف التالي لهذا المصطلح:

أن تعتبر الماضي صندوق تجارب، والحاضر ساحة تحدي، والمستقبل ممر مضيء،

وأن تنظر للمستقبل بشوق⁽⁵⁾.

(1) الحفني، عبد المنعم، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، ج2، ص55+56.

(2) عبد الخالق، أحمد محمد، التفاؤل والتشاؤم (عرض لدراسات عربية) على شبكة الانترنت: www.gulfkids.com

(3) عرفات، فضيلة، التفاؤل والتشاؤم، على شبكة الانترنت 2009/3/12. www.alnoor.sae/article.asp?id

(4) المرجع نفسه.

(5) كيف تصبح متفائلاً على شبكة الانترنت: www.shameela.net

ففيه تعبير مغاير عما سبق من التعريفات لمفهوم التفاؤل؛ إذ نلمس منه الجانب العملي

للتفاؤل، أي الجهود المبذولة في السعي وراء تحقيق ما ترنو له النفس على أرض الواقع.

يلاحظ أن مصطلح الأمل أعم واشمل من مصطلح التفاؤل؛ فالتفاؤل يركز على

الجانب المشرق من الأمور والاستبشار بالخير وهذه جزئية من مفهوم الأمل، فنقول صاحب

الأمل متفائل.

ثانياً: الرجاء

1. الرجاء في اللغة: (1)

رجا: الرجاء من الأمل: نقيض اليأس رجاه يرجوه رَجَوْا ورجاءً ورجاوةً ومرجأةً

ورجأةً.

كما جاء في كتاب العين: (2)

رجا (رجو): الرجاء: نقيض اليأس رجا يَرْجُو رجاءً ورجى يَرْجِي وارتجى يرتجى

وترجى يرتجى ترجياً.

والرجا: ناحية كل شيء والاثنان: رَجَوَان والجميع: أَرْجَاء. والرَّجْوُ: المبالاة. يقال: ما

أرجو، أي ما أبالي، من قوله تعالى: ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ (نوح: ١٣) أي لا تخسافون ولا

تبالون.

وجاء في المعجم الوسيط (3):

رجاه: رَجَوْا ورجواً ورجاءً ورجاءةً ومرجأةً: أمّله. فهو راج.

(1) ابن منظور، لسان العرب، ج14، ص309.

(2) الفراهيدي، كتاب العين، ج2، ص105.

(3) أنيس، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ج1، ص333.

2. الرجاء في الاصطلاح

يعرف الرجاء بأنه:

تعلق القلب بحصول محبوب في المستقبل⁽¹⁾.

ويعرف أيضاً بأنه:

توقع نزول ما هو محبوب بعد الاستعداد واتخاذ معظم الأسباب⁽²⁾.

كما يعرف بأنه:

حسن الظن بالله في قبول طاعة وفقت لها أو مغفرة سيئة تبت منها⁽³⁾.

ويلاحظ أيضاً مما سبق بيانه أن مصطلح الرجاء يتداخل في المعنى مع مصطلح

الأمل، فتقول أنا أمل خيراً، أنا أرجو خيراً.

المطلب الثالث: المصطلحات المضادة للأمل:

هناك مصطلحات تقف في الطرف المقابل لمصطلح "الأمل"، منها:

أولاً: اليأس

1. اليأس في اللغة

هو القنوط وقيل: اليأس نقيض الرجاء، يئس من الشيء يئس ويئس، المصدر اليأس.

وفي التنزيل: ﴿أَفَلَمْ يَأْتِئِصِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَن لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (الرعد: ٣١)،

أي أفلم يعلم، وقال أهل اللغة: معناه أفلم يعلم الذين آمنوا علماً ينسوا معه أن يكون غير ما

(1) الجرجاني، علي محمد، التعريفات، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1983، ص109.

(2) الصاعرجي، أسعد محمد سعيد، الرجاء، دمشق، مكتبة الغزالي، ط1، 1994، ص10.

(3) قاطرجي، نهى، الرجاء، على شبكة الإنترنت: www.saaaid.net

علموه؟ وقيل معناه: أفلم ييأس الذين آمنوا من إيمان هؤلاء الذين وصفهم الله بأنهم لا يؤمنون. (1).

ويئس منه: (يئأس، ويئس) يأساً، ويأساً، انقطع أمله منه، وانتفى طمعه فيه، فهو يئس ويؤوس (2).

2. اليأس في الاصطلاح (Despair)

من خلال اطلاع الباحثة على مفهوم اليأس في الدراسات النفسية المعنية وجدت أنه ومفهوم القنوط يمثلان الشيء نفسه، لذلك لا يوجد اختلاف بينهما. يعرف اليأس على أنه:

حالة عاطفية حادة غير سارة، ترتبط بالتخلي من جانب المرء عن الأمل بالنسبة لبذل الجهد بنجاح في سبيل التوصل إلى هدف أو إشباع رغبة (3). ويعرف أيضاً بأنه:

فقدان الأمل، والإحساس بالعجز، وعدم المساندة، وفقدان التعاطف من الآخر ومعه، أي الإحساس بالاعتراب، والانغماس في مظاهر فقدان القيمة وفقدان الأمل لفقدان العلاقة بموضوعات الحب والاعتماد (4).

يلاحظ من التعريفين السابقين النظرة السوداوية القاتمة التي تركز على الجانب السيء لموقف أو مشكلة ما، وما يعتريهما من مشاعر سلبية تؤدي إلى نتائج سلبية في الأعم الأغلب.

(1) ابن منظور، لسان العرب، ج6، ص259.

(2) أنيس، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ج2، ص1062.

(3) رزوق، أسعد، موسوعة علم النفس، ص295.

(4) طه، فرج عبد القادر، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، ص897.

ويعرف أيضاً بأنه:

عدم رجاء وقوع شيء من الرحمة له فكأنه يقول دعوت الله كثيراً فلم يستجب لي بأن يرفع عني هذا الهم بل زاد، وقد دعوت الله أن يهلك الأعداء فلم يهلكهم⁽¹⁾.

يلاحظ من التعريف السابق حصر مفهوم اليأس بعدم وقوع شيء مما في النفس باستنادها على الدعاء فقط.

وترى الباحثة بأن هناك مفهومين لليأس:

1. يأس يأتي بعد محاولات عدة من الشخص لبلوغ شيء معين، والنتيجة الفشل.

2. يأس يأتي بعد الدعاء إلى الله تعالى.

النوع الأول ينطبق على الإنسان العامل، والنوع الثاني ينطبق على الإنسان غير العامل، فليس له جهد يذكر في الحياة وكلاهما مذموم.

ثانياً: التشاؤم

1. التشاؤم في اللغة:

شأم: الشؤم: خلاف اليُمن يقال: شأم فلانٌ أصحابه إذا أصابهم شؤم من قبله، ويقال: تشاءم الرجل إذا أخذ نحو شماله واشأم وشاءم إذا أتى الشأم، ويأمن القوم وأيمنوا إذا أتوا اليمين، والشأم: بلاد تذكر وتؤنث سميت بها لأنها من مشامة القبلة⁽²⁾.

وتشاءم: تطير⁽³⁾.

ويقال: رجل مشؤوم، وقد شئم وشأم فلان أصحابه، إذا أصابهم شؤم من قبله⁽⁴⁾.

(1) اليأس، مفهومه، ماهيته وعلاج الإسلام له على شبكة الانترنت: 2009/10/12

(2) ابن منظور، لسان العرب، ج12، ص314-315.

(3) أنيس، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ج1، ص469.

(4) الفراهيدي، كتاب العين، ج2، ص300-301.

2. التشاؤم في الإصطلاح (Pessimism)

يعرف بأنه:

موقف تجاه الحياة، أو فلسفة حياة تعبّر عن نفسها في النظرة القائلة بأنه من الأفضل للمرء ألا يوجد، وأنّ عدمه خير من وجوده، أو أن الإنسان يولد للتعاسة والشقاء⁽¹⁾.

كما يعرف بأنه:

اتجاه إزاء الحياة، أو إزاء أحداث معينة، ينزع فيه الفرد إلى رؤية الجانب المعتم من الحياة والأحداث وإلى الإيمان بأنّ هذا العالم هو شرّ العوالم، وأن الشر سينتصر في النهاية⁽²⁾.

ويعرف بأنه:

توقع سلبي للأحداث القادمة، يجعل الفرد ينتظر حدوث الأسوأ ويتوقع الشر والفشل وخيبة الأمل، ويستبعد ما عدا ذلك إلى حد بعيد⁽³⁾.

أيضاً يعرف بأنه:

استعداد شخصي أو سمة كامنة داخل الفرد تؤدي إلى التوقع السلبي للأحداث المستقبلية⁽⁴⁾.

ويعرف بأنه:

الميل الذي يحمل صاحبه على الحزن، والانقباض وخشية ظروف الحياة مهما كانت حسنة أو عادية⁽⁵⁾.

(1) رزوق ، أسعد، موسوعة علم النفس، ص70.

(2) الحفني، عبد المنعم، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، ج2، ص55-56.

(3) عبد الخالق، أحمد، التقاؤل والتشاؤم (عرض لدراسات عربية).

(4) عرفات، فضيلة، التقاؤل والتشاؤم.

(5) المرجع نفسه.

يلاحظ مما سبق من التعريفات لمصطلح التشاؤم الطابع السلبي في النظر للمجريات والأحداث، والطاقة الدفينة في النفس المليئة بالمخاوف، والتعويل على الجانب السيء للأحداث والمواقف.

ثالثاً: القنوط

1. في اللغة

ورد في لسان العرب ما مفاده⁽¹⁾:

قنط: القنوط: اليأس وفي التهذيب: اليأس من الخير، ويقال: شر الناس الذين يقنطون الناس من رحمة الله أي يُؤيسونهم.

وقنط قنوطاً: يئس أشد اليأس⁽²⁾.

2. في الإصطلاح

بما أن مصطلح القنوط يمثل الشيء نفسه لمصطلح اليأس فلا داعي لتكرار مفهومه اصطلاحاً.

يلاحظ مما سبق بيانه أن العلاقة بين مصطلح الأمل ومصطلح التفاؤل هي علاقة العام بالخاص، فالأمل أعم وأشمل من التفاؤل؛ فالتفاؤل يركز على جزئية معينة هي الاستبشار بالخير، والتركيز على الجانب المشرق للأمور، بينما الأمل يحمل معنى تحقيق رغبة أو هدف مع وجود درجة من اليقين تصاحب تلك الرغبة أو الهدف فنقول صاحب الأمل متفائل.

- بالنسبة للعلاقة بين مصطلح الأمل ومصطلح الرجاء هي علاقة تداخل في المعنى؛ فمصطلح الرجاء يدخل ضمن مفهوم مصطلح الأمل، فصاحب الأمل يرجو خيراً.

(1) ابن منظور، لسان العرب، ج7، ص386.

(2) أنيس، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ج2، ص762.

- بالنسبة للعلاقة بين مصطلح الأمل ومصطلح اليأس فهي علاقة الضد، فاليأس ضد الأمل فالإيأس يحمل نظرة سلبية للأمور بعكس صاحب الأمل الذي يحمل نظرة إيجابية للأمور.

- بالنسبة للعلاقة بين مصطلح التفاؤل ومصطلح التشاؤم فهي علاقة الضد؛ فالمتفائل يستبشر خيراً بعكس المتشائم الذي ينظر بسلبية لمجريات الأحداث إذ تعتريه نظرة سوداوية قاتمة للحياة.

- بالنسبة للعلاقة بين مصطلح اليأس والقنوط فهي علاقة اتفاق في المعنى فالإيأس هو القانط.

وبنظرة عامة لهذه المصطلحات تجد الباحثة أنها تكون طرفين متقابلين:

الطرف الأول إيجابي ويتكون من مصطلح الأمل، والرجاء، والتفاؤل.

الطرف الثاني سلبي ويتكون من مصطلح اليأس، والقنوط، والتشاؤم.

المبحث الثاني

مقومات الأمل

تبين الباحثة في هذا المبحث العناصر التي تمثل قوام الأمل وجوهره، وتعبّر عن لحمته وسداه، وتشكل الجوانب الأساسية التي يرتكز عليها.

المطلب الأول: الإيمان الصادق

"إنّ الهدف الأسمى لأية تربية صحيحة ناجحة هو توجيه الإنسان نحو الحياة الفضلى وتحقيق إنسانيته، وفي الوقت نفسه حمايته من الشرور والأخطار الصحية والنفسية الناجمة عن الفساد الأخلاقي والاجتماعي المحيط به، فالتربية عملية ذات وجهين، فهي من جهة بناء وتنمية، ومن الجهة الأخرى عملية وقاية وإصلاح"⁽¹⁾.

فالإنسان يحمل سمات وراثية واستعدادات ومواهب ويتمثل دور التربية في استثمارها وتنميتها وإخراجها إلى أرض الواقع، إذن هي في حالة كمون ولا تخرج إلى الواقع إلا من خلال تفاعلها مع المؤثرات البيئية ودور المربين في ذلك، من جهة أخرى تقي الإنسان من الانحراف والنتية... وتُصلح قدر الإمكان مما اعتدى تلك النفس من الاضطرابات التي مصدرها البيئة ومن يعيش فيها⁽²⁾.

وبما أن الإنسان يولد على الفطرة كما في حديث الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام، (كل مولود يولد على الفطرة...)⁽³⁾، والفطرة هي الإسلام (الإيمان بالله تعالى) فأنت تسلم بوجود خالق لهذا الكون، إذن الإيمان موجود في تلك النفس البشرية، "ودور التربية

(1) الجمالي، محمد، نحو تربية مؤمنة، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، ط1، 1977، ص40.

(2) أنظر: اسعد، يوسف ميخائيل، أنت تربي نفسك، القاهرة، دار غريب، ط1، 2001، ص7-8.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب: كل مولود يولد على الفطرة، حديث رقم 1852، ص489.

الإسلامية يتمثل في بناء الإيمان بالله تعالى عند الإنسان وتتميته؛ إذ هو الأساس الراسخ فيها ومن دونه يشاد البناء التربوي على أسس واهية تتذر دوماً بالانهيار والدمار هذا من جهة، ومن جهة أخرى فهي تدعم النزعة الداخلية فيه لعمل الخير بقوة تربوية واقية؛ إذ إنها تقيه من الفكر الضال العاثر المنحرف، وتقيه من الانحلال الأخلاقي والاجتماعي، وتقيه من الضلال⁽¹⁾.

إن فالتربية الإسلامية تزيد من تلك النزعة الداخلية لدى الإنسان وينعكس ذلك على سلوكياته، فيرضى ويشكر ويسلم ويستبشر خيراً ويتفاعل.

والإنسان هو الذي يقرر مصيره في أن يكون مؤمناً بالله أو غير مؤمن، سعيداً أم حزيناً، متفائلاً أم متشائماً، راضياً أم ساخطاً، هو وحده وليس غيره.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو كيف يكون ذلك؟

في الإنسان طاقة حيوية توجه سلوكياته، هذه الطاقة منبعها من الجهاز العصبي، والوسيلة أو الآلية في استخدام هذه الطاقة هي التفكير، فكلما كان التفكير في الاتجاه الإيجابي نجم عن ذلك أثر إيجابي والعكس صحيح، فبمجرد التفكير بالهموم والقلق يشعر الإنسان بالتعاسة، كأن يقول مثلاً: أنا إنسان غير سعيد فهو بذلك يرسل رسالة إلى عقله الباطن تنعكس سلباً على سلوكه، فتراه حزيناً كئيباً، أما لو فكر بالسعادة والراحة والأمل انسحب ذلك على سلوكه. فعندما يقول: أنا إنسان ناجح ينعكس ذلك بالإيجاب على سلوكه فيكون ناجحاً. إن الإنسان يستطيع أن يسيطر على سلوكياته بسيطرته على أفكاره⁽²⁾.

(1) أنظر: الجمالي، محمد، نحو تربية مؤمنة، ص 43، 45.

(2) أنظر: شحادة، عبد الله محمد، سعادتنا وهمومنا من صنع أفكارنا، دم. دن، ط 5، 2004، ص 37، 43.

والمؤمن يتميز بتفكيره الإيجابي؛ فهو ينظر إلى الأمور بمنظار الرضى والتسليم، والاستبشار بالخير والتفاؤل، فتفاؤله ونظرته الإيجابية للأمر تكون بقدر قوة وعمق إيمانه بالله تعالى.

ولقد أنزل الله عز وجل منهجاً قوياً ينظم ويضبط، ويقوم انحرافات السلوك الناشئة عن بُعد الإنسان عن ذلك المنهج الرباني، والنتيجة الحاصلة ضعف صلته بالله تعالى وفساد سلوكه، فبحسن الصلة بالله تعالى تتربى النفس وتزكو وتتهذب الطباع، وينضبط السلوك الإنساني وتتخلص النفس من أمراضها ولا يكون ذلك إلا بإيمان عميق قوي متين ناتج عن تفكير ومشاعر يتصفان بتلك الصفات⁽¹⁾، ذلك الإيمان الصادق الحقيقي، إيمان لا شبهة فيه وهذا ما نجده في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ (الحجرات: ١٥) وما أجمل ما عبر عنه سيد قطب في تفسيره للآية الكريمة:

قال إيمان تصديق القلب بالله ورسوله، التصديق الذي لا يرد عليه شك ولا إرتياب التصديق المطمئن الثابت المستيقن الذي لا يتزعزع ولا يضطرب، ولا تهجس فيه الهواجس، ولا يتلجج فيه القلب والشعور، فالقلب متى تنوق حلاوة هذا الإيمان واطمأن إليه وثبت عليه، لا بد مندفع لتحقيق حقيقته في خارج القلب، في واقع الحياة، في دنيا الناس، يريد أن يوحد بين ما يستشعره في باطنه من حقيقة الإيمان، وما يحيط به في ظاهره من مجريات الأمور وواقع الحياة، ولا يطبق الصبر على المفارقة بين الصورة الإيمانية التي في حسه، والصورة الواقعية من حوله، لأن هذه المفارقة تؤذيه وتصدمه في كل لحظة⁽²⁾.

(1) أنظر: العلي، محمد تيسير سليمان، الصلة بالله تعالى وأثرها في تربية النفس، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1997، ص17-18.

(2) قطب، سيد، في ظلال القرآن، القاهرة، دار الشروق، ط12، 1986، ج26، ص3349، 3350.

- إيمان يتسم بالخضوع والطاعة مع الرضا والتسليم، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا

دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (النور: ٥١).

- يتبع ذلك الإذعان، حرارة وجدانية قلبية، تبعث على العمل بمقتضيات العقيدة، قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ

رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيَمَارُتُوهَا يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ

حَقًّا ﴾ (الأنفال: ٢ - ٤).

- فنحن نريد ترسيخ الإيمان الذي لا يكون فقط عن اقتناع عقلي، بل بوصفه مشاعر

وأحاسيس، وميلاً قلبياً، وتفاعلاً، وخضوعاً، واستسلاماً لله تعالى، ومن ثم دافعاً له للعمل،

فالإيمان الحي هو الذي يدفع المسلم إلى مناجاة الله في السراء والضراء، والاعتصام به

عند الكروب والأهوال، وعندما يصبح الإيمان على تلك الصورة يكون مصدراً لابتهاج

الروح وراحة الفؤاد واطمئنان النفس^(١).

- فقوة الإيمان تكون بالاستقامة والطاعات والورع، وهذا هو حال الإنسان المتفائل المتربّع

على رصيد كبير من الأمل فهو: "يؤمن بأن الله معه وحافظه وممده، يأخذ بيده إذا سقط

ويسدده إذا زلّ ويمده إذا احتاج، ويجيبه إذا سأل، ويعينه إذا ضعف، وينصره إذا

جاهد"^(٢). قال تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكْتُوهُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَايَهُمْ

وَلَا حَسْرَةَ إِلَّا هُوَ سَادِمْهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ إِنْ مَا كَانُوا تُمَّ يَلْتَمُهُمْ بِمَا

عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (المجادلة: ٧).

(١) أنظر: بكار، عبد الكريم، بناء الأجيال، الرياض، دن، ط١، 2002، ص36.

الهاللي، مجدي، بناء الإيمان من خلال القرآن، القاهرة، مؤسسة إقرأ، ط١، 2005، ص10-11.

(٢) شديد، محمد، منهج القرآن في التربية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، 1991، ص140-105.

"قال المؤمن الحق يرى أن الأمور كلها بيد الله تعالى فيحسن ظنه بربه ويرجو ما عنده من خير وأمام عينيه قول الرسول الكريم فيما يرويه عن ربه (انا عند ظن عبدي بي وأنا معه حيث يذكرني)(1).

إنّ فهو محكم السيطرة على نفسه بسيطرته على أفكاره الناجمة عن انتباهه العقلي لمفردات الحديث، فهو يركز انتباهه على التفاصيل الإيجابية عندما يحسن الظن بالله عز وجل، وبالتالي ينشرح صدره، ويتفاعل خيراً ويسعد لأنه واثق بربه عز وجل(2).

فهو صاحب أمل كبير في روح الله وفرجه ومعيته ونصره؛ لأنه لا يقف عند الأسباب الظاهرة فقط، بل يتعداها موقناً أن لها خالقاً ومسبباً وهو الذي بيده ملكوت كل شيء، وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون، فيمتلئ قلبه توكلأً ورجاءً وأملاً(3). وهذا ما وصف الحسن البصري به المؤمن بأنه:

"طَلَقَ الْبَشْرَ، حَسَنَ الْخَلْقِ، كَرِيمَ بَنُوْلٍ، رَاحِمٌ وَصَوْلٍ، يُقَطِعُ فَيَصِلُ، وَيُؤْذِي فَيَحْتَمِلُ، وَيُهَانُ فَيَكْرَمُ، صَبُورٌ عَلَى الْأَذَى، مُحْتَمِلٌ لِأَنْوَاعِ الْبَلَاءِ، هَانَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَلَمْ يَبْنِ فِيهَا بَيْتاً، وَلَا جِدْدَ ثَوْباً، حَسَنَ الثَّقَةِ لَا يَظُنُّ بِاللهِ ظَنَ السُّوءِ"(4).

فالإيمان عامل مهم لبعث الأمل في النفس وتقويته في القلوب؛ ذلك لأنه من قوِي إيمانه بربه سبحانه وتعالى قلَّ في نفسه الالتفات إلى فعل البشر، واتجه بكليته إلى اللجوء إلى الله تعالى، وتخلص من سيطرة اليأس على نفسه(5).

ينقل محمد أبو صعيليك في كتابه (الأمل وأثره في حياة الأمة) على لسان المودودي في كتابه الحضارة الإسلامية ما نصه: "فإن الإيمان بالله يربي الإنسان على كيفية نفسية قائمة

(1) أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي، كتاب التوبة، باب: في الحض، على التوبة والفرح بها، ج9، حديث رقم 2675، ص62.

(2) أنظر: شحادة، عبد الله، سعادتنا وهمومنا من صنع أفكارنا، ص45.

(3) الإيمان يبعث في النفس الأمل على شبكة الانترنت 2007/6/7: www.amman-dj.com

(4) ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن، آداب الحسن البصري، تحقيق: سليمان الحرش، دمشق، دار النور، ط3، 2007، ص135.

(5) أبو صعيليك، محمد عبد الله، الأمل وأثره في حياة الأمة، دمشق، دار القلم، ط1، 1996، ص76-77.

على الثقة والرجائية لا تخذله بحال، ولا تدعه ليتغلب عليه اليأس والقنوط؛ إذ الإيمان كنز من الآمال الصادقة لا ينفد، ولا يزال يزود الإنسان برصيدٍ غير منقطع من قوة القلب، وطمأنينة الروح، ويلقي في روعه أنه لو طرد من كل باب من أبواب الدنيا، وتقطعت به الأسباب الظاهرة، وفارقت الوسائل المادية كلها، فإن الله غير خائله أبداً، فعليه أن يظل في كل حين من أحيانه واثقاً بعفو الله، راجياً نصرته وتأيبه⁽¹⁾

"ومن ثمرات الإيمان العميق الرجاء وعدم القنوط من رحمة الله؛ ذلك أن الله تعالى وعد عباده المؤمنين بما وعدهم به في كتابه المجيد، ومنعهم من القنوط؛ ومن شأن صاحب الإيمان العميق أن يؤمن بهذا الوعد الصادق من الرب القادر الرحيم"⁽²⁾ قال تعالى: ﴿قُلْ

يَكْبَادِي الَّذِينَ آمَرُوا عَلَنَ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ (الزمر: ٥٣)

أما النفس الخالية من الإيمان، فهي نفس قلقة، مرهقة، كئيبة، معذبة، ظمأة تحتاج إلى من يروي عطشها، محطمة، غير متفائلة ترى في الدنيا سواداً قاتماً لا غيره⁽³⁾، فقلبها ميت، خالٍ من نور الإيمان، بعيد الصلة عن الرحمن. وما أجمل هذه الأبيات التي قالها الحسن البصري في وصفه للنفس اليائسة الكئيبة، البعيدة عن الله عز وجل⁽⁴⁾.

ليس من مات فاستراح بميتٍ إنما المَيِّتُ ميتُ الأحياء
إنما المَيِّتُ من تراه كئيباً كاسفاً بألوه قليل الرجاء

هذه النفس هي التي اختارت بفكرها طريق الضلال وحكمت على نفسها بالنتية والضياع والخروج من رحمة الله تعالى. نفس متشائمة غير مطمئنة فقدت توازنها العقلي

(1) أبو صعيليك، محمد عبد الله، الأمل وأثره في حياة الأمة، ص 77.

(2) زيدان، عبد الكريم، أصول الدعوة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط3، 1988، ص 341.

(3) أنظر: ياسين، طه، عيون الأمل، دمشق، دار القلم، ط1، 2008، ص 48.

(4) ابن الجوزي، جمال الدين، آداب الحسن البصري، ص 33.

ووعيتها وإدراكها لإيجابيات الأمور، بحيادها عن الطريق القويم، الطريق إلى النور والهداية والإرشاد فانصب تفكيرها وأحاسيسها في قاع عميق لا نور فيه.

"إن فباالإيمان يتحرر الفكر البشري من الضغوط الواقعة عليه، فلا يصاب باليأس والقنوط؛ فهو يتجه إلى قوة عليا قادرة فيطمئن ويسلم، كما أنه محرر للنفس أيضاً من الأعباء والضغوط اليومية التي تعيشها فتعرف وتؤمن بأن النفع والضرر، والزيادة والنقصان، والنجاح والإخفاق، والسعادة والشقاء كله بيد الله عز وجل"⁽¹⁾، وهذا ما نجده في حديث الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم لعبد الله بن عباس: (يا غلام إني أعلمك كلمات: إحفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء، قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف)⁽²⁾.

كما أن الإيمان يرتقي بالإنسان ويجعل منه إنساناً إيجابياً بفكره وسلوكه، فلا يقعد ويتواكل، إنما ينجز ويعمل ويجتهد، (فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف)⁽³⁾، والإيمان ليس مجرد شعور يسكن في النفس ويتعمق في القلب، إنما هو كما قاله الحسن البصري: "إن الإيمان ليس بالتحلي ولا بالتمني ولكنه بما وقر في القلب وصدقته الأعمال"⁽⁴⁾. إذن فالعمل قرين الإيمان، والإنسان المتفائل هو كذلك عزمته قوية وهمته عالية، وإرادته صلبة متينة⁽⁵⁾.

(1) أنظر الأسمر، أحمد رجب، فلسفة التربية في الإسلام، عمان، دار الفرقان، ط1، 1997، ص202-203، 205.

(2) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب: ولكن يا حنظلة ساعة وساعة، ج7، حديث رقم 2518، ص203+204.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب: في الأمر بالقوة وترك العجز، حديث رقم 1840، ص486.

(4) ابن الجوزي، آداب الحسن البصري، ص47.

(5) أنظر، الأسمر، أحمد رجب، فلسفة التربية في الإسلام، ص206-207.

وهو معمق أيضاً لمفهوم المسؤولية، فالمتفائل يؤدي واجباته وانجازاته تجاه نفسه وتجاه غيره على أكمل وجه، فلا يتراخى ولا يقعد، إذ إن لديه حس عميق بالمسؤوليات التي تقع على عاتقه، فالمجتمع لا ينهض، ولا يتقدم إلا بمثل هذه العقلية⁽¹⁾.

وقديماً قال بعض الحكماء: "لولا الأمل ما بنى بنو بنياناً، ولا غرس غارس غرساً"⁽²⁾. وقال ابن الجوزي أيضاً: "من علامة كمال العقل علو الهمة، والراضي بالدون دنيء"⁽³⁾.

فصاحب الأمل يتميز بعقلية إيجابية، لا ترضى بالدون إنما تطمح لمعالي الأمور، وهو يعلم علم اليقين بأنه خليفة الله في هذه الأرض التي تحتاج إلى عمارة وبذل الجهود الجبارة لقيام دولة الإسلام.

وكما قال طرفة بن العبد: ⁽⁴⁾.

وأحسن فإن المرء لا بد ميتاً وإنك مجزي بما كنت ساعياً

كما أنه يعلم أيضاً بأن هناك جزاءً دنيوياً أو آخروياً لأي عمل يقوم به في حياته الدنيا.

تفكير لا يخرج إلا من إنسان واثق بنفسه وبقدراته، وواثق قبل ذلك بكرم الله ورحمته.

"وبالإيمان يكتسب الإنسان مناعة ووقاية من الأمراض النفسية قال تعالى: ﴿الَّذِينَ

آمَنُوا وَكَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (الأنعام: ٨٢) وقال

تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد:

٢٨)، وقال أيضاً عز وجل: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ

(1) أنظر، الأسمر، أحمد رجب، فلسفة التربية في الإسلام، ص 208.

(2) الإيمان يبعث في النفس الأمل، على شبكة الإنترنت.

(3) مطيري، عبد الكريم، الإنسان الصفر على شبكة الإنترنت 20/10/2005: www.swalflail.net

(4) الماوردي، علي بن محمد بن حبيب، الأمثال والحكم، تحقيق: فؤاد عبد المنعم، الدوحة، دار الحرميين، ط 1، 1983، ص 177.

وَأَلَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿التغابن: ١١﴾ فتنحقق للمؤمن سكينه النفس وأمنها وطمأنينتها، لأن

إيمانه الصادق بالله يمدّه بالأمل والرجاء في عون الله ورعايته وحمايته، فهو دائم التوجه إلى الله في كل ما يقوم به من أعمال ابتغاء مرضاة الله، لذلك فهو يشعر بأن الله معه دائماً وهو في عونه دائماً، وشعور المؤمن بأن الله معه كفيلاً بأن يبيث في نفسه الشعور بالأمن والطمأنينة⁽¹⁾.

"فالإيمان إشاعة للأمان، والأمان يبعث الأمل، والأمل يبعث السكينه، والسكينه نبع للسعادة، حصاها أمن وهدوء نفسي. فلا سعادة لإنسان بلا سكينه نفس، ولا سكينه نفس بغير إيمان القلب"⁽²⁾.

وهذا ما أشار إليه ابن تيمية في أن سعادة الإنسان وأمنه النفسي لا يتحققان إلا بالعبودية التامة لله تعالى وحبه له حيث يقول "فالقلب لا يصلح، ولا يفلح، ولا ينعم، ولا يسر، ولا يلتذ، ولا يطيب، ولا يسكن، ولا يطمئن، إلا بعبادة ربه وحبه والإنابة له، ولو حصل له كل ما يلتذ به من المخلوقات، لم يطمئن، ولم يسكن إذ فيه فقر ذاتي إلى ربه، من حيث هو معبوده ومحبو به ومطلوبه، وبذلك يحصل له الفرح والسرور واللذة، والنعمة والسكون والطمأنينة"⁽³⁾.

فمثل الإيمان في القلب مثل غرسه غرسها في الأرض عوداً كالسواك، فالتفت عليها الأرض؛ فإن أنت سقيتها وأمددتها بالتراب، وأضحيتها للشمس، فمن قريب تصير شجرة بأسفة في السماء، غلظ ساقها، وكثرت فروعها، وتمكنت من الأرض عروقها، وزكت ثمرتها⁽⁴⁾.

(1) نجاتي، محمد عثمان، القرآن وعلم النفس، دم، دار الشروق، ط1، 1982، ص242.
(2) الزهراني، علي، أثر القرآن في النفس، على شبكة الانترنت 2008/8/6: www.islamacademy.net
(3) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، العبودية، عمان، دار البشير، ط1، 1992، ص8.
(4) الترمذي، محمد بن علي بن الحسن بن بشر الحكيم، الأمثال من الكتاب والسنة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2003، ص103.

فقلب المؤمن عامر وملئ بنور من الله، يسير على هدى وبصيرة وإدراك ومعرفة، قلب متسع منشرح بنور الإيمان واليقين، ونرى ذلك في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ

لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ (الزمر: ٢٢)

"قال المؤمن أوسع الناس أملاً، وأكثرهم تفاؤلاً واستبشاراً، وأبعدهم عن التشاؤم والتبؤم والضجر، فهو يعتقد بقوة علياً تدبر هذا الكون لا يخفى عليها شيء، ولا تعجز عن شيء، الاعتقاد بقوة غير محصورة، ورحمة غير متناهية، وكرم غير محدود، الاعتقاد بإله قدير رحيم، يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، يمنح الجزيل، ويغفر الذنوب ويقبل التوبة عن عبادة ويعفو عن السيئات"⁽¹⁾.

وهذا ما يؤكد علماء الغرب اليوم في أبحاثهم العلمية من أن الإيمان بالله يساعد على شفاء بعض الأمراض المزمنة، ويساعد على علاج الاكتئاب واليأس، ومن أنه يجعل الإنسان أكثر سعادة وتفاؤلاً⁽²⁾.

إن نستطيع القول بأن السعادة هي الهدف الذي نسعى إلى تحقيقه وهذه السعادة لا تكون إلا بقلب عامر بالإيمان، متفائل دوماً، يرى ضوءاً ليس موجوداً ليقينه بقدرة الله تعالى ورجائه به عز وجل أولاً وبقدرته على إحكام زمام الأمور بفكره الإيجابي لها ثانياً. "فالإيمان هو المعين الصافي الذي يتزود منه المسلم ويثبته إذا ادلهمت الخطوب، ويمنحه القوة إذا أصابه الضعف، ويملاً قلبه باليقين إذا تسرب إليه اليأس والشك، فهو متى رسخ في قلب المسلم حطم الصعاب وتخطى الحواجز، واجتاز السدود، وتغلب على كل العقبات.

فهو مصدر تفاؤل المسلم، لأنه يمنحه القوة الحقيقية التي لا تقهر ولا تهزم؛ لأن المسلم يعلم أن الله هو القادر الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

(1) القرضاوي يوسف، الإيمان والحياة، دمشق، مؤسسة الرسالة، ط19، 2005، ص137+138.

(2) الكحيل، عبد الدائم، علماء الغرب، يقولون أن الإيمان بالله ضروري جداً للإنسان، على شبكة الانترنت:

كيف ييأس عبد وربه يناديه إن هو أدبر، ويفرح بتوبته إن هو أقبل، إله يجازيه
الحسنة بعشر أمثالها، والسيئة بمثلها، وإن تاب غفرها له.. إله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء
النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله عز وجل يبسط يده بالليل، ليتوب
مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار، ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها) (1).
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم، سقط على
بغيره، وقد أضله في أرض فلاة) (2).

فهو الإيمان الذي يبعث الحياة في النفس الميتة باليأس والقنوط، فإذا هي شعلة من
النشاط والهمة العالية، فإله هو الذي يبني في تلك النفس النفاؤل ويحيي فيها الأمل، ويجدد فيها
النشاط" (3).

المطلب الثاني: الشجاعة والصبر والثبات

تبدأ الباحثة هذه الجزئية بالسؤال التالي: كيف تكون الشجاعة والصبر والثبات مقوماً
للأمل؟

أولاً: لا بد أن تبين الباحثة كل سمة منها على حدة ثم بعد ذلك نصل إلى الرابط بينها.
سمة الشجاعة:

ما هي الشجاعة؟

تعددت الأقوال في معنى الشجاعة وفي وصفها كذلك، فمنهم من يقول إنها: الصبر
والثبات والإقدام على الأمور النافعة تحصيلاً وعلى الأمور السيئة دفعاً، وتكون في الأقوال
والأفعال.

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وأن تكررت الذنوب والتوبة، حديث
رقم 2759، ج9، ص79-80.

(2) أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب الدعوات، باب: التوبة، ج4، حديث رقم 6309، ص1126.

(3) عبده، محمد، التفاؤل من أخلاق الكبار، على شبكة الانترنت: 2008/3/5 www.ikwanonline.com

ومنهم من يقول إنها: استعداد المرء لأن يحمل على كاهله السلبيات التي ينذر الخوف بمقدمها من أجل تحقيق إيجابيات أكثر زخماً⁽¹⁾.

وهي أيضاً جرأة القلب وقوة النفس عند مواجهة الأمور الصعبة⁽²⁾.
وهي أيضاً: الثبات عند كل خطر، وضبط النفس أثناء مواجهة كل محنة، وذلك بالانتصار على الخوف، واعتماد الجسارة والإقدام، والتحلي بقوة الشكيمة ورباطة الجأش، والصبر على وقوع الشر وحضور الذهن عند الشدائد، وذهاب التشتت عن العقل وحضور التركيز والحصافة والكياسة والفتنة في كل موقف عصيب، والقدرة على احتمال النوائب وتقلبات الدهر⁽³⁾.

وقيل هي: ذلك العنصر من عناصر الروح الذي يوصف بأنه العنصر الجسور أو الملهم. وقيل هي: الصمود، وقيل هي الإرادة القوية، وهي تحمل أيضاً معنى التجاوز للعقبات والمحن والشدائد، أيضاً هي الذات المتفردة غير القابلة للتكرار، كما أنها تحمل عنصراً جوهرياً وهو تأكيد الذات فالإنسان الشجاع يسعى بقوة إلى تأكيد ذاته ووجوده⁽⁴⁾.

إن نلاحظ مما سبق أن الشجاعة تتضمن الصبر والثبات والعقل الحصيف الفطن الهادئ، والإرادة القوية، والتجاوز للعقبات والشدائد.

قال ابن القيم:

"إن الشجاعة من القلب وهي ثبات القلب واستقراره عند المخاوف وهو خلق يتولد من الصبر وحسن الظن بالله"⁽⁵⁾.

(1) الشجاعة، على شبكة الإنترنت: www.heartsactions.com

(2) أخلاق المسلم، على شبكة الإنترنت: www.aljayyash.net

(3) الخويلدي، زهير، الشجاعة هي قوة الإرادة، على شبكة الإنترنت 2009/7/30: www.doroob.com

(4) تيليش، بول، الشجاعة من أجل الوجود، ترجمة: كامل يوسف حسين، بيروت، المؤسسة الجامعية، ط1، 1981، ص25، 28، 37، 43، 86، 135.

(5) ابن قيم الجوزية، الروح، بيروت، دار الفكر، ط1، 1998، ص202.

وقال أيضاً في زاد المعاد:

والشجاعة من أسباب السعادة والسرور، فالشجاع منشراح الصدر، متسع القلب بشجاعته وبسالته وإقدامه، بعكس الجبن الذي يسبب الذلة وحقارة الحال⁽¹⁾.

إن فتحصيل السعادة لا يكون إلا بقلب ثابت صابر لا يتزعزع، مُحسن الظن بالله تعالى، فالشجاع هو العاقل الحصيف الفطن الذي يعرف نفسه جيداً أكثر من غيره فيرى مكامن استعداداته وطاقاته فيستغلها ويحسن ترجمتها على أرض الواقع.

"ولنا في خالد بن الوليد أسوة حسنة في شجاعته ورباطة جأشه وحزمه وثقته بالله عز وجل يوم سيره من الحيرة إلى اليرموك بطلب من أبي بكر الصديق لنجدة جيش المسلمين من هجوم الروم حيث وجد بينه وبين اليرموك أكثر من ألف كيلو متر ولا بد أن يسلك أقصى الطرق وأمنها بجيشه الذي يبلغ عشرة آلاف، فكان هناك من الطرق التي بها ماء وكلاً وليس بها حراس للروم، لكنه أطولها مسافة، وهو يريد أن يدرك اليرموك قبل أن يهجم الروم على جيش المسلمين. وبعضها كثير الماء والكلاً، لكنه مملوء بالقاطنين والحراس، وهو لا يخشى منهم إلا أن يعيقوه عن وجهته بعض تعويق، فمن السهل أن يقضي عليهم، لكنه قضاء لا يفيد في النصر الذي يأمله على جيش الروم، وبعضها لا ماء فيه ولا كلاً، وذو عقبات وشعاب، لكنه قصير وبعيد عن السكان والحراس، فكيف يجتاز بعشرة آلاف جندي ودوابهم هذا الطريق الوعر حتى يتغلب على ذلك؟ فطلب حذاقاً من أدلاء الصحراء، فعرفوه أن هذا الطريق لا يصلح لسير جيش، وإنما يسلكه الفرد الراكب، وحذروه من أن يخاطر بالمسلمين، ولكنه أبى إلا أن ينفذ رأيه وطلب أعلم رجل بالصحراء ولم يخالف مشورة سابقيه، وقال لخالد: إنك لن

(1) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: حمدي محمد نور الدين آل نوفل، القاهرة، مكتبة الصفا، ط1، 2002، ج1، ص219.

تطيق اجتياز الطريق الذي تريده ومعك خيلك وأثقالك، والله إن الراكب الفرد ليخشى هذا الطريق على نفسه، ولا يجتازه إلا مخاطر، إنك ستقضي خمس ليال طوال لا تصيب فيها ماء، وإن الطريق مضلل»⁽¹⁾.

«كما كان من خالد إلا أن صمم على رأيه وعزم على سلوك ذلك الطريق فقال للجند: استكثروا من الماء ومن استطاع منكم أن يصر (يربط) إذن ناقته على الماء فليفعل، فإنها المهالك إلا ما دفع الله، وطلب خالد عشرين جملاً عظماً سماناً وسقاها حتى امتلأت، فكانت هي صهاريج الماء التي اجتاز بها خالد أوعر جزء من بادية الشام في خمس ليال، وكلما نزل منزلاً استخرج ما في أكراش بعض الجمال من الماء فمزجه باللبن وسقاه للخيل، وبعد ثمانية عشر يوماً وصل خالد إلى اليرموك، وتولى القيادة وانتصر على جيش يزيد على جيشه اضعافاً مضاعفة من حيث العدد والعدة، فجيته كان أضعاف جيش الروم من حيث العقيدة والشجاعة والفداء»⁽²⁾.

شخصية تحمل في طياتها الشجاعة والنظرة المليئة بالتفاؤل والأمل والاستبشار بالخير بتحقيق هدفه ومبتغاه بحماية جيش المسلمين والنصر على العدو.

«فالتفاؤل وقود الروح، وهو حالة إيجابية تجعل صاحبها يرى الفرص المتاحة بدل أن يرى الفرص الضائعة، وينظر إلى ما يمتلكه بدلاً من أن ينظر إلى ما خسره. وهو يرى في الصعوبات فرصاً متاحة لا بد من استغلالها بعكس المتشائم الذي تتاح له الفرص فلا يرى إلا الصعوبات المحيطة بها»⁽³⁾.

(1) أنظر: الحوفي، أحمد محمد، البطولة والأبطال، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط1، 1967،

ص28-30. العقاد، عباس محمود، عقريه خالد، القاهرة، دار نهضة مصر، ط1، د.ت، ص129.

(2) الحوفي، أحمد محمد، البطولة والأبطال، ص29، 30.

(3) المدرسي، هادي، كن في جميع الأحوال متفانلاً، على شبكة الانترنت، www.balagh.com

وهكذا كان خالد بن الوليد شجاعاً مقداماً متفائلاً قد رأى أن الفرصة متاحة لابد من استغلالها وتطبيقها فقد رأى فيها نوراً مضيئاً ليصل إلى ما يريد.

إن فالشخصية المتفائلة هي شخصية شجاعة تبصر الأمور بدقة ومن الجهات جميعها، تغتنم كل فرصة مواتية، شخصية إيجابية تنظر إلى الجانب المشرق من الأمور والأحداث، حذرة ومتيقظة.

ولنا وقفة مع هذه الأقوال في وصف الشجاعة: (1)

- الشجاعة هي الصبر الجميل عند الشدائد.
- تظهر الشجاعة عند المخاطر الكبرى.
- الشجاع من يخلق من اليأس أملاً لأن اليأس فيه طعم الموت، ولأن الشجاعة تعني الحياة.
- الشجاعة هي ينبوع الخصال الحميدة ومعظمها منشؤها منها.
- رجل واحد لديه الشجاعة يمثل أغلبية.
- ليست الشجاعة أن تقول كل ما تعتقد بل الشجاعة أن تعتقد كل ما تقوله.

وقيل لبعض الحكماء ما الشجاعة؟

قال: العزم على التقدم، والتثبت قبل التتدم

وقيل: من الشجاع؟

قال: من لم تكن شجاعته لفوت الفرار، وبعد الأنصار (2).

كما أن لنا وقفة مع الشعر:

قال خالد بن الوليد

لا ترعبونا بالسيوف المبرقة
إن السهام بالردى مفرقة
والحرب دونها للعقال مطلقه
وخالد من دينه على ثقة (3).

(1) سليمان، سميرة، قالوا عن الشجاعة، على شبكة الانترنت 2004/4/17: www.moheet.com

(2) الماوردي، الأمثال والحكم، ص72، 73.

(3) عمر، محمد عطا، من الصفات الحميدة: الشجاعة، على شبكة الانترنت 2007/12/24: www.arababts.com

قال المتنبي:

وكلُّ شجاعةٍ في المرءٍ تغني
ولا مثل الشجاعة في الحكيم
وأشجع مني كل يومٍ سلامتي
وما ثبتت غلا وفي نفسها أمرٌ
فحب الجبان النفس أوردته البقا
وحب الشجاع الحرب أوردته الحربا
وقال عنتره بن شداد:

إذا كشف الزمان لك القناعا
ومد إليك صرفُ الدهر باعا.
فلا تخشِ المنية والتقيها
ودافع ما استطعت لها دفاعا⁽¹⁾.

إنّ فالشجاعة هي الدعوة إلى زرع الأمل في عصر الجذب وتحمل المسؤولية، والشجاع هو الذي يفهم حياته الخاصة ويعمقها بالتجارب ويجعلها منسجمة مع الحياة العامة، يقدم على الخطر دون خوف، وهو الذي يصبر على الألم دون شكوى وييدي من الحصافة وشدة القلب عند البأس الكبير والشجاعة هي أن تكون لك بصمة وجود في هذا العالم، ان تحدث أثراً مهماً في حياة الآخرين⁽²⁾.

فالمفائل يثبت وسط الأخطار ويتصرف حيالها كما يجب بهدوء وروية وفطنة، ويتميز بذاتية متفردة، صامدة متجاوزة للعقبات والمحن والشدائد، متوكلة على الله عز وجل وواقفة من قدراتها وطاقاتها.

سمة الصبر:

وأما الصبر فهو مقام من أرفع مقامات الصالحين، وخلق من أعظم أخلاق المؤمنين، ومنزلة من أجل منازل الصالحين، وشعبة من أبرز شعب الإيمان، وعروة من أوثق عرى الإسلام، كيف لا؟ وقد جعله القرآن الكريم مفتاح كل خير، وباب كل سعادة في الدنيا والآخرة⁽³⁾.

(1) أبيات فصيحة عن الشجاعة، على شبكة الانترنت <http://forums.graam.com:2009/7/20>

(2) الخويلدي، زهير، الشجاعة هي قوة الإرادة، على شبكة الإنترنت.

(3) القرضاوي، يوسف، الصبر في القرآن الكريم، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1984، ص59.

قال تعالى: ﴿ مَا عِنْدَكَ يُنْفَذُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا

يَسْمَلُونَ ﴾ (النحل: ٩٦)

وقال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ يُوقِنُ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا ﴾ (القصص: ٥٤)

وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقْ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (يوسف: ٩٠)

آيات كريمة تحث على الصبر، وتجزئ الصابرين الثواب العظيم، فمن يصبر ويحتسب ذلك ابتغاء مرضاة الله عز وجل هو إنسان مؤمن يوقن بفرج آتٍ لا محالة فهو في معية الله تعالى وما بعد الضيق إلا الفرج.

يقول أبو حامد الغزالي:

"إعلم أن الصبر نصف الإيمان باعتبارين وعلى مقتضى إطلاقين:

أحدهما: أن يطلق على التصديقات والأعمال جميعاً، فيكون للإيمان ركنان، أحدهما اليقين والآخر الصبر، والمراد باليقين المعارف القطعية بهداية الله عبده إلى أصول الدين، والمراد بالصبر العمل بمقتضى اليقين؛ إذ اليقين يعرفه أن المعصية ضارة، والطاعة نافعة ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة إلا بالصبر، وهو استعمال باعث الدين في قهر باعث الهوى والكسل فيكون الصبر نصف الإيمان بهذا الاعتبار.

ثانيهما: أن يطلق على الأحوال المثمرة للأعمال لا على المعارف، وعند ذلك ينقسم جميع ما يلاقيه العبد إلى ما ينفعه في الدنيا والآخرة أو يضره فيهما، وله الإضافة إلى ما يضره حال الصبر إلى ما ينفعه حال الشكر، فيكون الشكر أحد شطري الإيمان بهذا الاعتبار كما أن اليقين أحد الشطرين، بالاعتبار الأول. وبهذا النظر قال ابن مسعود: الإيمان نصفان نصف صبر، ونصف شكر^(١).

(١) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد، إحياء علوم الدين، بيروت، دار ومكتبة الهلال، ط1، 2004، ج4، ص81-82.

إذن فالإيمان هو فعل الطاعات وترك المعاصي وحياة الإنسان التي يعيشها إما نعمة تأتي له وإما مصيبة تنزل عليه، فالنعمة يشكر الله عليها، والمصيبة يصبر عليها.

وفي هذا يقول الإمام علي بن أبي طالب:

وعليكم بالصبر فإن الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد، ولا خير في جسدٍ لا رأس معه، ولا في إيمانٍ لا صبر معه⁽¹⁾.

ما أدق وما أعمق هذا الوصف، فالصبر من الإيمان كالرأس من الجسد، كلاهما لا ينفكان.

"والحياة لا تسير على نمط مستقيم، بل تسير على خطٍ متعرج، فهي مليئة بالعقبات والشدائد، والمؤمن هو الذي يصبر وينظر إليها على أنها دروس قيمة له وتجارب نافعة لدينه ودنياه فتتضح نفسه ويصقل إيمانه، ويذهب صدأ قلبه، فيثبت ويواجهها بشجاعة وعزم وإرادة قوية"⁽²⁾.

قال الحسن بن علي:

إن من علامة المؤمن قوة في دين، وحزماً في لين، وإيماناً في يقين، وصبراً في شدة، ويكون في المكاره صبوراً وفي الرخاء شكوراً⁽³⁾.

وقال علي بن أبي طالب:

الصبر صبران: صبرٌ على ما تكره، وصبرٌ عما تحب. وقال: لا يعدم الصبور الظفر

وإن طال به الزمان⁽⁴⁾.

(1) أبي طالب، علي بن، نهج البلاغة، بيروت، مؤسسة المعارف، ط1، 1990، ص697.

(2) القرضاوي، يوسف، الإيمان والحياة، ص163.

(3) الماوردي، الأمثال والحكم، ص185-186.

(4) أبي طالب، علي بن، نهج البلاغة، ص692، 717.

"فالوصول إلى المعالي يحتاج إلى قدر كبير من الصبر ولا بد منه، قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (هود: ١١٥) فصاحب الأمل يوقن بأن صبره على المحن والشدائد ما هو إلا تربية له، وصقل لمعدنه وتمحيص لما في قلبه، وزيادة لرصيده ومقامه عند الله عز وجل، فهو يرفع درجته ويضاعف من حسناته، ويكفر من خطاياها فينطهر^(١)، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها، إلا كتبت له بها درجة، ومحيت عنه خطيئة)^(٢).

لعلنا ندرك في هذا الحديث الشريف حلوة الثواب، والصبر على الأذى، وعظيم كرم الله عز وجل، فما من أذى ولو كان صغيراً يصيب الإنسان إلا محى عنه الله عز وجل خطيئة ورفع به درجة.

ولنا في يعقوب عليه السلام مثلاً في صبره على فقد ابنه يوسف، فكان يتجمل بالصبر أولاً وأخيراً، فقال بعد فراق ابنه يوسف: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف: ١٨) وقوله بعد فراق ابنه الصغير: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (يوسف: ٨٣) وهو ليس صبر اليائس القانط، بل صبر الأمل الراجي في فضل الله، الواثق بأن بعد العسر يسراً، وبعد الفرقة اجتماعاً^(٣).

إنسان قد ملأ عقله وقلبه بالإيمان المتين، والأمل العظيم في حصوله على مبتغاه، كيف لا! وثقته ورجاؤه بالله تعالى عميقان.

وفي هذا يقول الحسن البصري:

"أيها الناس إنكم لا تتألون ما تحبون إلا بترك ما تشتهون، ولا تتركون ما تأملون إلا

بالصبر على ما تكرهون"^(٤).

(١) أنظر: القرضاوي، يوسف، الصبر في القرآن الكريم، ص 22.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نمو ذلك، من الشركة يشاكها، ج 8، حديث رقم 2572، ص 129، 130.

(٣) القرضاوي، يوسف، الصبر في القرآن الكريم، ص 74-76.

(٤) ابن الجوزي، آداب الحسن البصري، ص 38.

كلام في غاية العمق، فبلوغ الأهداف والمرامي تحتاج إلى جهود جبارة، وآمال قوية مبنية على تلك الجهود، فالحياة محفوفة بالمتاعب والمشقات.

قال الشاعر:

لا تحسب المجدَ تمرّاً أنتَ آكله لن تبلغ المجدَ حتى تلغ الصبراً

وقال المتنبي:

تريني أنل ما لا ينال من العلا فصعب العلا في الصعب، والسهل في السهل

تريدين إدراك المعالي رخيصة ولا بد دون الشهد من إير النحل

إن التحلي بالصبر يتطلب خليطاً من الدافع لذلك (الرغبة)، والإدراك (الانتباه إلى

النفس من الداخل)، والممارسة (التدريب) فالصبر يمكن ممارسته بالتدريب مراراً وتكراراً

وليس شيئاً يمكن امتلاكه أو الاقتدار إليه، فهو كعضلات الجسم والكل لديه عضلات ولكن

البعض أقوى من البعض الآخر لأنهم يمارسون التدريبات الرياضية وكذلك الصبر يحتاج إلى

تدريب وممارسة⁽¹⁾.

"إن لا بد أن تكون لدينا الرغبة القوية للتحلي بالصبر، فإذا انعدمت لن يستطيع أحد

أن يجبر آخر على التحلي بها هذا أولاً، ثانياً لا بد أن يدرك الإنسان ذاته بأن ينتبه إلى

المواقف التي يكون فيها صابراً فيركز عليها ويحفظها، والمواقف التي لا يكون فيها صابراً

فيمارس سمة الصبر مرات عديدة لترسخ لديه.

فمثلاً التعامل مع الأطفال يحتاج إلى توافر هذه السمة لدى المربي فكيف يتصرف لو

أن طفلاً قد حطم شيئاً ثميناً يمتلكه ذاك المربي؟ في هذا الموقف ينصح الخبراء المعنيون

بتغيير المكان لبرهة أو بأخذ نفس عميق أكثر من مرة، ما الذي يحدث؟ إن قيام المربي بذلك

(1) ريان، إم جيه، قوة الصبر، الرياض، مكتبة جرير، ط1، 2004، ص7-8.

التمرين يعطي إشارة للجهاز العصبي بالاستجابة للاسترخاء، ففي خلال دقيقة، ترتخي العضلات والأكتاف وينخفض ضغط الدم وتقل سرعة ضربات القلب وبالتالي يصبح الجسد أكثر هدوءاً، ويُصبح قادراً على الاستجابة بطريقة أكثر فعالية، وسبب ذلك أنه قد أصبح أكثر صلة بطاقاته وقدراته العاطفية والذهنية، فلا يغضب ويندم بعد ذلك، فالحليم خيرٌ من القوي، ومن يحكم نفسه خير ممن يحكم مدينة⁽¹⁾.

وبالعزيمة والإصرار على تحقيق الأهداف، والاحتكاك والتفاعل الاجتماعي بالإضافة إلى التطوير المستمر، واكتساب المهارات تصبح تلك السمة بارزة في تصرفات المرء وسلوكياته⁽²⁾.

والمثقال هو الذي يرى أنّ حياته هي ثروته الحقيقية التي لا ينبغي أن يبدد أيّ لحظة منها في عناءٍ بلا جدوى أو في مخالطة من يجذبونه إلى الأسفل بل يغتتمها ويصبر على مواجهة ما يعترى حياته من عقبات.

وما أجمل ما عبّر عنه علي بن أبي طالب في أبيات من الشعر عن الصبر⁽³⁾:

وَدَاوِ جِوَاكَ ⁽⁴⁾ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ	أَلَا فَاصْبِرْ عَلَى الْخَدَثِ الْجَلِيلِ
فَقَدْ أَيْسَرْتُ فِي الدَّهْرِ الطَّوِيلِ	وَلَا تَجْزَعْ وَإِنْ أَعْسَرَتْ يَوْمًا
فَإِنَّ اللَّهَ أَوْلَى بِالْجَمِيلِ	وَلَا تَتَّظُنْ بِرَبِّكَ غَيْرَ خَيْرِ
وَقَوْلِ اللَّهِ أَصْدَقُ كُلِّ قَيْلِ	وَإِنَّ الْعُسْرَ يَتَّبِعُهُ يَسَارٌ
لَكَانَ السَّرِقُ عِنْدَ ذَوِي الْعُقُولِ	فَلَوْ أَنَّ الْعُقُولَ تَجَرُّ رِزْقًا
سَيُرَوَى مِنْ رَحِيقِ سُنْسَبِيلِ	وَكَمْ مِنْ مُؤْمِنٍ قَدْ جَاعَ يَوْمًا

(1) أنظر: ريان، إم جيه، قوة الصبر، ص 158، 159، 166.

(2) أنظر: أسعد، يوسف ميخائيل، بالعزيمة تتحقق أحلامك، القاهرة، دار غريب، ط 1، 1998، ص 58، 59.

(3) أبي طالب، علي بن، ديوان الإمام علي بن أبي طالب، شرح علي مهدي زيتون، بيروت، دار الجيل، ط 1، 1995، ص 103.

(4) الجوى: الحزن.

فبالصبر نغذي الأمل ونحن في ظلمة الانتظار، لأننا نتق بأنّ في النهاية ستكون هناك نتيجة طيبة. قال أحد الحكماء: إذا كنا نأمل في أشياء لن نتحقق في حياتنا، فإننا ننتظرها بالصبر⁽¹⁾.

سمة الثبات

إن ثبات المؤمن لهو دليل على سلامة منهجه وثقته به، وهو ضريبة الطريق إلى المجد والرفعة في الدنيا والآخرة، فكل عمل عظيم يحتاج تحقيقه إلى ثبات وقوة في التناول والأخذ، كما أنه طريق لتحقيق الأهداف⁽²⁾.

وصاحب الأمل يدرك أن ثباته هو في إرادته القوية، وعزيمته الجبارة، ووعيه السليم، ولا يكون ذلك إلا بإيمانه ومناقبه ومثله، وهذا ما حرص عليه الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام وغرسه وتعهده بالتنمية في نفوس المؤمنين⁽³⁾.

وقد حفل القرآن الكريم بآيات كثيرة تحث وتدفع المسلم لأن يثبت ولا يتزعزع، قال

تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ مَآمَنُوا إِذَا لَيْسَ فِيهَا فَاغْتَبُوا وَادَّكُرُوا اللَّهُ كَثِيرًا لَمَلِكُمْ تَقْلِحُونَ﴾
(الأنفال: ٤٥) دعوة للثبات.

وقال أيضاً عز وجل: ﴿وَكَايِنٍ مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيثِيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي

سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (ال عمران: ١٤٦) مؤمنون موصولون

بربهم وقال أيضاً: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ

(1) رايان، إم جيه، قوة الصبر، ص32.

(2) موسى، محمد حسن عقيل، الثبات، جدة، دار الأندلس الخضراء، ط1، 1997، ص17-19.

(3) أنظر: السيد، محمود أحمد، معجزة الإسلام التربوية، الكويت، دار البحوث العلمية، ط2، 1982، ص46.

أَقْدَامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَإِنَّهُمْ اللَّهُ تَوَابٌ الدُّنْيَا وَحَسَنَ تَوَابٍ الْآخِرَةِ ﴿١٤٨﴾ (آل عمران:

١٤٧ - ١٤٨) أنظر إلى جزيل الثواب وعظيم الأجر لمن يثبت ولا يتزعزع.

وقال أيضاً: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدِ جَمَعُوا لَكُمْ فَكَشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا

وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ (آل عمران: ١٧٣) .

قوة إيمان، وثبات متين راسخ لا تحركه العواصف والرياح مهما كانت قوية، استقامة على الهدى لا تتأتى إلا لإنسان قد ظفر بإيمان شارح للصدر، مثبت للفؤاد، ثقته بالله قوية، وأمله ورجاؤه به عز وجل هو المحرك والباعث لما عنده من طاقات دفينه كفيلاً بإخراجها إلى حيز الوجود.

وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له) (1).

أي كرم هذا! وأي دعوة هذه للثبات على الحق؟ فالرسول الكريم يقول (أمره كله خير) أي في الحالتين في السراء والضراء وهذا ليس لغير المؤمن، فهو يدرك أن الله معه في السراء والضراء ويكفيه ذلك (معية الله له) مصدر التفاؤل والأمل. وفي معرض هذا البيان قول مأثور للمجاهد عمر المختار:

"نحن لن نستسلم، ننتصر أو نموت" (2).

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، ج9، حديث رقم 2999، ص121.

(2) سليمان، سميرة، كلمات حكيمة من أفواه المشاهير، على شبكة الانترنت 2009/4/9: www.moheet.com

ويحفل التاريخ الإسلامي بنماذج رائعة في الثبات على الحق، "منها موقف ذلك
المجاهد العظيم الفذ الذي أذهل الإيطاليين وقذف في قلوبهم الرعب وهزهم وثبت حينما قبض
عليه وحوكم من قبلهم وكان يبلغ من العمر ثلاثة وسبعين سنة، ولنقف عندما تم استجوابه من
قبل ضابط إيطالي:

- هل أنت قائد العصيان ضد إيطاليا؟
- نعم، أنا هو.
- كم هو عدد المعارك التي شاركت فيها؟
- لا أذكر عددها لأنها كثيرة لا تحصى.
- منذ كم سنة تتولى قيادة العصيان؟
- منذ عشر سنوات.

وعلى هذا المنوال سارت المحكمة إلى أن حاول القاضي أن يغيره، فيحكم عليه بالعفو
العام مقابل أن يكتب للمجاهدين في ليبيا أن يتوقفوا عن جهاد الإيطاليين، فينظر إليه ويقول:
إن السبابة التي تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، لا يمكن أن تكتب كلمة باطل⁽¹⁾.
نموذج رائع في الثبات، عقيدة راسخة في النفس لا تثنيها أي مساومة وأي مفاوضة،
فالأمل والتفاؤل يحتاجان إلى مقوم يقومان عليه ويستندان إليه، فالمتفائل ثابت على دينه، يدرك
أن إيمانه بالله مصدر سكينته واطمئنانه وأن الله معه في جميع أحواله وناصره ومثبتته "وهو
أيضاً حصيف فطن يدرك أن قيمته بشعوره بالمسؤولية تجاه أفراد مجتمعه؛ فهو جزء من هذا
الكيان الذي يعيش ويحيا فيه، ومن ثم، لا بد من بذل الجهود الجبارة في تحصيل مراميه
وغاياته بوجود أشخاص يتسمون بمثل ما يتسم من تلك القوة الشارحة للصدر (الأمل) ومن ثم

(1) أنظر: موسى، محمد حسن عقيل، الثبات، ص 30-32.

النهوض بالمجتمع وصولاً به إلى القمة إنطلاقاً من حديث الرسول الكريم: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) (1). تلك التربية النبوية الرائعة الحريصة على تقديم النفع وتحصيل السعادة الدنيوية والآخروية فسعادة الإنسان في إطاره الاجتماعي بمشاركته الفعالة بعقله وقلبه ويده في شؤون مجتمعه" (2).

فصاحب الأمل هو إنسان إيجابي مشارك له بصمة وتأثير على أفراد مجتمعه.

يلاحظ مما سبق بيانه ما يلي:

إن الإيمان هو مولد لهذه السمات الثلاث، وإذا أمعنا النظر والفكر لوجدنا أن نقطة الارتكاز لسمتي الشجاعة والثبات هي الصبر فهو مفتاح كل شيء، فالشجاع يحتاج إلى الصبر وأن تكون سمته البارزة قولاً وفعلاً، وقد رأينا ذلك في موقف خالد بن الوليد، والثابت يحتاج أيضاً إلى الصبر وقد رأينا ذلك في موقف عمر المختار. إذن الصبر هو الرابط لكل من الشجاعة والثبات في شخصية المتفائل فنقطة تحكم أمله وتقاوله في صبره وشجاعته وثباته، فطالب النجاح ما الذي يجعله يصبر ويكد ويجتهد؟ إنه تقاؤه وأمله بالنجاح. وما الذي يجعل الزارع يكد ويتعب ويصبر على ذلك؟ إنه أمله ورجاؤه بالثمر.

الإيمان ← مولد للصبر ← مولد للشجاعة والثبات ← كلها تولد الأمل (وهو يستند إليها).

المطلب الثالث: الثقة بالنفس

تعتبر الثقة بالنفس إحدى الركائز الأساسية التي يبني عليها نجاح المرء في حياته، وفي تحقيق أمانيه، وإحالة أهدافه من نطاق الكمون إلى نطاق الواقع السلوكي، وهي الشعور بأن الطريق إلى مستقبل باسم مفتوح أمامه، وأن الصعاب أو العقبات الموجودة فيه يمكن

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العتق، باب: العبد راع في مال سيده، حديث رقم 2558، ص 450.

(2) أنظر: السيد، محمود أحمد، معجزة الإسلام التربوية، ص 146-147، 180، 151.

التغلب عليها والتوصل إلى الأهداف المرجوة بسهولة ويسر، وأن بذل الجهد في هذا المسعى لن يضيع، وعكس ذلك فاقد الثقة بنفسه⁽¹⁾.

إذن الواثق بنفسه لديه أهداف يسعى لتحقيقها وتطبيقها على أرض الواقع؛ فهو لا يتمنى فقط و ينتظر حصول ذلك دون بذل الجهود هذا من جهة، من جهة أخرى ينظر إلى الحياة نظرة إيجابية فيستبشر بالخير ويتوقع الأفضل ويعتبر الصعاب والعقبات مرحلة لا بد منها، وأنه سوف يتغلب عليها ويتخطاها ليصل إلى ما يريد.

"ومن غير الممكن اكتساب شخصية واثقة من دون بناء أساس راسخ من الاعتماد على الذات، فالشخص الذي يعتمد على نفسه هو شخص يثق بنفسه وبرباطة جأشه، وهو قادر على الوقوف على قدميه وحده، والاعتماد على الذات هو ليس فقط الاعتقاد بأن الإنسان يستطيع معالجة الأمور وتحقيق النجاح وحسب، بل هو أكثر من هذا، إنه امتلاك شجاعة الإنصات إلى الدوافع الداخلية لديه ليحصل على تلميح بشأن نوع النجاح الذي يرغب فيه، إنه يعني الحصول على التلقين من نفسه وليس الإنصات لشيء أو شخص خارج نفسه ليحصل على فكرة حول ما ينبغي أن يكونه أو يفعله أو يمتلكه"⁽²⁾.

إذن الثقة بالنفس ليست سمة تولد مع الإنسان إنما هي سمة يمكن اكتسابها إذا أصر الإنسان أن يعتمد على نفسه، ويدرك أن مكن نجاحه وتقواه هو في ذاته، فهو يمتلك قوة وطاقة وقدرات تستطيع أن تحركه وتحقق أهدافه.

"والمقاتل هو شخص يثق بنفسه وبقدراته ويطابق بين ما يقوله من كلام وبين ما يعتمل في عقله من أفكار وفي قلبه من مشاعر وأحاسيس"⁽³⁾.

فالإنسان يجذب الأشياء أو الأفكار التي تحظى باهتمامه (النجاح أو الفشل، المرض أو الصحة، الحب أو الكره....) فهو وحده الذي يتحكم بأفكاره، وبالتالي في ذاته فإذا كان يعلم

(1) أسعد يوسف ميخائيل، أنت تربي نفسك، ص 137-138.

(2) أنتوني، روبرت، الثقة التامة بالنفس، الرياض، مكتبة جرير، ط1، 2007، ص 19-20.

(3) أسعد، يوسف ميخائيل، أنت تربي نفسك، ص 95.

بالضبط ماذا يريد فإنه سيحظى باهتمامه ويطبقه على أرض الواقع. قال الحكماء: حقيقة ذاتك هي ما تعتقده في أعماق قلبك (العقل اللاواعي). فعقلك الواعي يختار ما يعتقد أنه صحيح، وعقلك اللاواعي يقبل دون مناقشة أي شيء يملئ عليه عقلك الواعي⁽¹⁾.

ورؤية الإنسان لذاته هي التي تحدد أكثر من أي شيء آخر كيفية رؤيته للعالم من حوله، وطريقة تعامله معه، كما تحدد الأشياء التي سوف يحصل عليها ويحققها في الحياة⁽²⁾. فإذا كانت رؤيته لذاته إيجابية انسحب ذلك على سلوكياته وسعى نحو تحقيق أهدافه والعكس صحيح، فكيفية رؤية الإنسان لذاته هي التي تصنع حياته إما بالسلب أو بالإيجاب.

"ويمكن القول أن الثقة بالنفس عبارة عن نسيج مترابط من ثلاث صفات عاطفية

نفسية هي:

1. إدراك الذات: أي التقييم للنفس ولاهتماماتها.
 2. قبول الذات: أي تقبل النفس بكل ما فيها من تعقيدات.
 3. الاعتماد على الذات: القدرة على استخدام ما يعرفه الإنسان عن نفسه للحصول على النتائج التي يرغب بها في حياته دون أن يقلقه دائماً قبول أو عدم قبول الآخرين له.
- فهي شكل عميق من احترام الذات القائم على إدراك السمات الإيجابية والسلبية وبعبارة أخرى أنها ليست الاعتقاد بأن الإنسان هو عظيم بقدر ما هي الفهم الصحيح للكيفية التي تجعله عظيماً، فكلما فهم الإنسان قدراته المنفردة بشكل أفضل، وكيف يستخدم هذه القدرات، انخفض شعوره بالعجز في الحياة مهما كانت الظروف⁽³⁾.

(1) أنظر أنتوني، روبرت، الثقة التامة بالنفس، ص 138.

(2) حنا، بول، ثق بنفسك وحقق ما تريد، الرياض، مكتبة جرير، ط3، 2005، ص 9.

(3) رايزان، إم جيه، الثقة بنفسك، الرياض، مكتبة جرير، ط1، 2005، ص 8-9.

يلاحظ الدقة والعمق لمفهوم الثقة بالنفس فهي تكمن في ذات الإنسان وتستلزم شقين، الأول المشاعر والعواطف والتي تكمن في تقبله لنفسه والشق الثاني يتمثل في الفكر والوعي والإدراك لذاته واعتماده على نفسه، وهذا هو حال المتفائل الذي ينظر بعمق لذاته فيستكشفها ويحللها فيعرف بالضبط كيف يخرج قدراته وطاقاته ويستثمرها ليستفيد منها، ويحقق أهدافه ومراميه فيكون لديه بصمة وأثر في هذه الحياة.

وقد ربي الإسلام في الإنسان احترامه لنفسه والعمل على الارتقاء بها، فهو مخلوق مكرم ومقدر ومفضل من خالقه ولا يجوز تحت أي مبرر إذلال نفسه أو تحقير ذاته، أو تعطيل قدراته⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٠).

فهو خليفة الله في الأرض ومن غير العدل أن يذل نفسه ويقل من شأنه ومكانته، بل لابد أن يضع نصب عينيه تلك المكانة المرموقة التي أعطاه إياها رب العزة، ويعمل جاهداً للحفاظ عليها وبذل الجهود الجبارة، والمتفائل هو الذي يعتبر تلك المكانة نقطة ارتكاز وانطلاق نحو الهدف الذي يبتغيه؛ فهو يستمد منها الطاقة التي بها يتحرك ويبذل الجهود الحثيثة ليصعد بها إلى القمة.

فالمفائلون يعرفون أن سر البقاء على القمة والشعور بجمال الأشياء يكمن في التأكد من تعزيز الصورة الذاتية بمعلومات وآراء إيجابية بصورة مستمرة، فهم يعرفون أنه من السهل أن يصبحوا إيجابيين في وقت قصير، كما أنه من الممكن أيضاً أن ينقلب عالمهم رأساً على عقب إذا سمحوا للأراء السلبية أن تتسلل إلى حياتهم⁽²⁾.

إن مما يساعد الإنسان على الثقة بنفسه أن يعرف قيمته الإنسانية وما كرمه خالقه به، وأن يكون شعوره بذاته حسناً راقياً، لما في ذلك من تأثير كبير في سلوكه فإذا كانت

(1) أنظر: الأسمر، أحمد رجب، فلسفة التربية في الإسلام، ص 486.

(2) حنا، بول، ثق بنفسك وحقق ما تريد، ص 13.

أفكاره ومشاعره عن نفسه توحى له بأنه جدير بحب الناس وثقتهم، وأنه صالح في مجتمعه وأنه يتحلى بالصفات الحميدة والأخلاق الطيبة، فإن سلوكه يكون في العادة متفقاً مع أفكاره ومشاعره والعكس صحيح⁽¹⁾.

وقد كانت التربية النبوية للمسلمين أكبر عنوان على غرس الثقة في نفوسهم، بما قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم من تخلصهم من مشاعر النقص والضعف والعصبية الجاهلية، وغير ذلك من النقائص التي كان الناس يعيشون في أجوائها ولا يشعرون بتفاهتها وعدم صلاحيتها لنفوسهم وعيشتهم⁽²⁾.

من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: (لا يحقر أحدكم نفسه، فسألوه: وكيف يحقر أحدنا نفسه يا رسول الله؟ قال: يرى أمراً لله عليه مقال ثم لا يقول فيه، فيقول الله عز وجل له يوم القيامة ما منعك أن تقول في كذا وكذا؟ فيقول: خشية الناس، فيقول: فإياي كنت أحق أن تخشى)⁽³⁾.

فرسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا كيف نحترم ذاتنا ونقدرها، ونبادر في التغيير ولا نخاف في ذلك لومة لائم، ولا نبقى سلبيين في تفكيرنا وسلوكياتنا بل نتقدم إلى الأمام ونغير المنكر والسلبيات التي لا تعود بالنفع على الأمة، فالوائق من نفسه واثق بدينه أولاً واخيراً من أنه الدين الحق، وهو الذي يفرز شخصية قوية جريئة في قول الحق، وتغيير المنكر، والتقدم نحو الأمام لصعود العلياء.

(1) الزين، سميح عاطف، معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط1، 1991، ج2، ص178.

(2) المرجع نفسه، ص178.

(3) أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ج4، حديث رقم 4008، ص361، 362.

سمات الواثقين بأنفسهم:

يمكن أن نحدد سمات من يثق بنفسه بالآتي بيانه:

1. يعرف طريقه ويخطط لحياته: فالواثق من نفسه يعرف طريقه جيداً، ويخطط لكل أمور حياته، ويحدد أهدافه بكل دقة، فلا يدع غيره يفكر له، لا يترك نفسه للظروف، لأنه هو الذي

يصنعها وليست هي التي تصنعه قال تعالى: ﴿ **أَمَّنْ يَمْشِي مَكْبَأً عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ**

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (الملك: ٢٢).

ولنا في رسول الله أسوة حسنة فقد كان يخطط لكل أموره، ففي الهجرة النبوية حدد

لكل واحد دوره، وماذا يفعل، وفي كل غزواته كان ينظم جيشه ويحدد لكل قائد هدفه.

2. لا يسمح للقلق أن يدمر حياته، فالواثق من نفسه تعلوه سكينه وطمأنينة، راضٍ غير ساخط

لا يتحسر على ماضيه، ولا يتسخط على حاضره ولا يخاف من مستقبله فهو في معية الله...

3. إيجابي بيبادر ولا يتردد، فهو يقدم على العمل بخطى واثقة ثابتة؛ إذ إنه يستند إلى المنهج

الرباني القائم على الحق، وهو يعي المسؤولية نحو نفسه ومجتمعه وأمته، كما أنه مقتنع بما

يفكر.

4. طموح ذو همة عالية، فهو لا يرضى بالدون، إنما يسعى إلى معالي الأمور فيبذل المزيد

من الجهود ليحقق أهدافه.

5. مسيطر على نفسه فهو متزن انفعالياً أي إنه يتميز برزاقته وهدوئه، غير مندفع وغير

متهور، فهو يحكم نفسه ويمسك بمقاليد تصرفاتها.

6. ينظر إلى انتقاد الآخرين له على أنه تطوير لشخصيته.

7. قادر على اكتساب الخبرات الحياتية وتعلم المهارات، فهو يؤمن بقدرته على الأداء وبالتالي بذل الجهود لتحقيق ما يريد.

8. يتميز بروح المثابرة، بمعنى أنه لا يترك ما بدأ بتنفيذه وعمله إنما يتمه حتى النهاية لتحقيق هدفه البعيد.

9. يصبر على المصائب ويتحمل الشدائد.

10. يتميز بأنه متزن نفسياً، أي إنه غير متقلب بين حالات نفسية متعارضة، فلا يتحول من حالة السرور إلى حالة الكدر، ومن حالة الارتياح إلى حالة الفقدان وهكذا.

11. يتميز بإصراره على تحقيق هدفه فهو لا يسمح لأي شخص، أو ظرف، أو حالة بالوقوف في طريقه⁽¹⁾.

هذه هي أهم سمات الواثق من نفسه والتي ترنو بصاحبها إلى العلياء والتقدم والتطور.

الطريق إلى الثقة بالنفس:

ولكي يصبح الإنسان واثقاً من نفسه لا بد له من:

أولاً: أن يحكم السيطرة على نفسه، وتبدأ السيطرة على النفس عندما يتخذ الإنسان قراراً بمراقبة نفسه وأن يعرفها حق المعرفة، أي أن يكون لديه ولع في الانتباه إلى عدم هدر طاقته النفسية وإيقائها لوقت الحاجة حتى يستطيع أن يقابل مشكلاته بكل هدوء وراحة أعصاب، والقدرة على مراقبة النفس والتحكم بها تمهيداً للسيطرة عليها لا تحصل إلا بالجهد الواعي والانتباه مرات ومرات لا حصر لها ويسبق ذلك الإرادة القوية التي تقهر المستحيل،

(1) أنظر: أنتوني، روبرت، الثقة التامة بالنفس، ص 174.

هميسة، بدر عبد الحميد، المسلم والثقة بالنفس، على شبكة الإنترنت: www.saaaid.net.

كيف تكسب ثقة عالية بالنفس، على شبكة الإنترنت: www.balagh.com

برنامج الثقة بالنفس خلال عشرة أيام، على شبكة الإنترنت: www.cabalagh.com

فالأفعال التي يقوم بها الإنسان لامتلاك نفسه والتحكم بها متحرراً من كل عبودية أمره سواء من الوعي أو اللاوعي تزيد شعوره الداخلي العميق بالثبات⁽¹⁾.

وحتى يحكم الإنسان السيطرة على نفسه لا بد من منهج يستند إليه ويسوس به نفسه ويطبقه ويستمر عليه، هذا المنهج هو الإيمان بالله تعالى ولا أدل على ذلك من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلاً جاء إلى النبي يستنصحه ويقول له: قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك؟ قال له الرسول: (قل آمنت بالله ثم استقم)⁽²⁾.

فمن المعروف أن أعظم شيء يسيطر على الإنسان المبادئ والعقائد حتى ولو كانت منحرفة وهذا ما نلاحظه عند الغرب؛ فهم يبذلون الغالي لعقائدهم الباطلة؛ لأن أي اعتقاد ينعقد عليه القلب وتتطوي عليه النفس يجعل في صاحبه من القوة في التثبيت به والدفاع عنه والتضحية لأجله، فما بالنا بالإيمان بالله تعالى الذي يعطينا أعظم أسباب القوة والثقة بالنفس⁽³⁾.

ثانياً: بالعلم والمعرفة يستطيع الإنسان أن يكتسب هذه السمة فعلمه يجعله يعرف الأجر والثواب من الأعمال، ويجعله يعرف الغايات والآمال من هذه الأعمال ومن ثم يجعله يقوى في عطائه وحركته وبالتالي ثقته بنفسه هذا من جهة، ومن جهة أخرى يجعله يستوعب الحقائق ويعرفها حق المعرفة فلا يتشكك ويضطرب، ومن جهة ثالثة بالعلم يستطيع مواجهة العقبات والمشكلات التي تعترض طريقه فيجد حلاً لها⁽⁴⁾.

لذلك نجد تركيز الإسلام على العلم والمعرفة وحثه على التعلم والنهل من صنوف العلوم والمعارف، فمعرفة النفس هي نقطة ارتكاز اكتساب الثقة بالنفس.

ثالثاً: التدريب

إن النجاح هو عبارة عن خطوات عملية لا بد منها، فالذي يتوق إلى اكتساب هذه السمة لا بد له من التجربة (إنزال ما يريد على أرض الواقع) ليظفر في النهاية بمبتغاه فمثلاً

(1) شهادة، عبد الله محمد، سعادتنا وهمومنا من صنع أفكارنا، ص 30 - 31.

(2) مختصر صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: في الإيمان بالله والاستقامة، حديث رقم 18، ص 13.

(3) بادحدح، علي عمر، الطريق إلى الثقة بالنفس، على شبكة الانترنت 2005/9/3:

www.islamicat.com

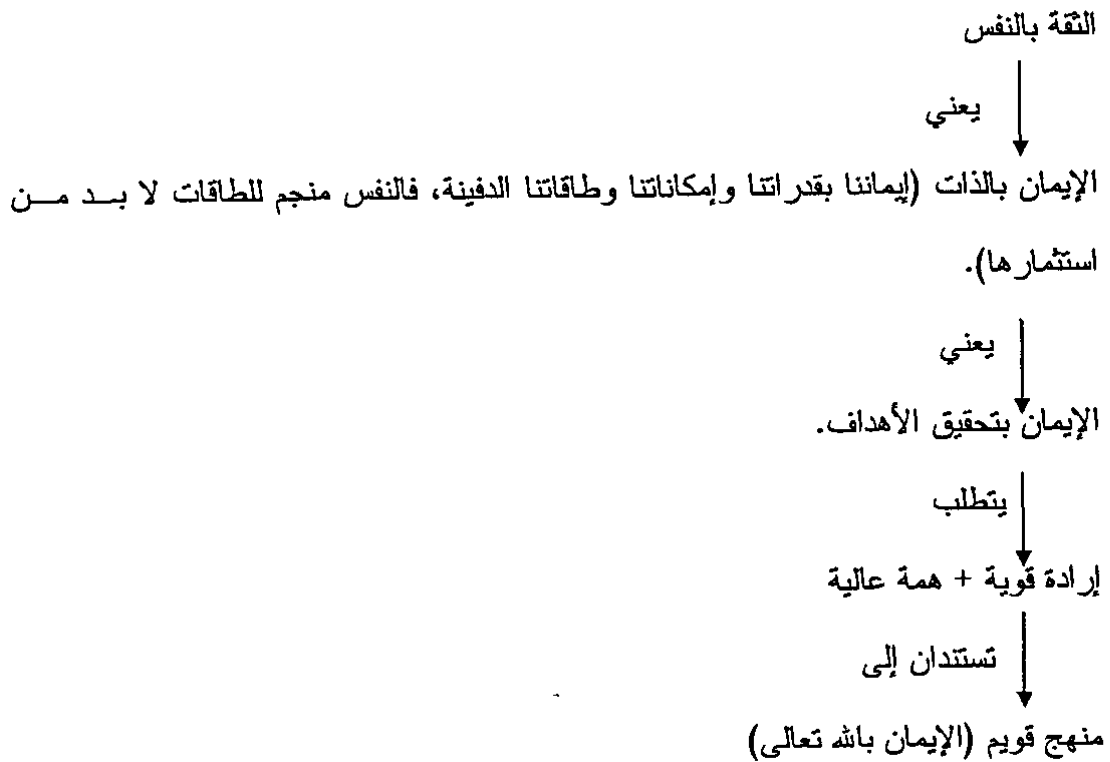
(4) المرجع نفسه.

الخطيب الجريء الواصل من نفسه لم تتولد لديه هذه السمة فجأة بل هي تجربة تلو تجربة إلى أن أصبح على تلك الهيئة من الثقة بالنفس⁽¹⁾.

رابعاً: العمل والإنجاز

وهذا هو جوهر الأمر كله، فالعمل هو الذي يعطي الثقة بالنفس، والإنجاز هو الذي يعزز القوة بالقدرة على تحقيق الشيء، فالعمل يعطي النفس الحماسة والقوة، لمواصلة الاستمرار في طريقها لتحقيق مرادها، وبلوغ أهدافها، وتاريخ أمتنا في هذا يؤكد لنا من خلال صفحات الأئمة والقادة والعظماء، إنما كانت مآثرهم مبنية على أعمالهم وإنجازاتهم⁽²⁾.
بهذه الخطوات نستطيع بلوغ هذه السمة واكتسابها وتحقيق أهدافنا ومرامينا والوصول إلى القمة.

ويمكن إجمال ما سبق بيانه عن الثقة بالنفس بالرسم التوضيحي التالي:



(1) بادحدح، علي عمر، الطريق إلى الثقة بالنفس، على شبكة الإنترنت.

(2) المرجع نفسه.

المبحث الثالث

أهمية الأمل في الحياة

تتوق النفس البشرية لمعرفة أهمية سمة ما، فتشغل تفكيرها بها، وتسابق غيرها لتحتل بشرف المكانة التي ستمتلكها إن هي أتقنت فن امتلاك تلك السمة.

من هذا المنطلق تبين الباحثة في هذا المبحث ما للأمل من أهمية بالغة في حياة الناس، فهو مصدر لكثير من الأمور التي تحظى باهتمام بالغ وتعتبر ركائز أساسية في تقدم أمة وتكمن هذه الأهمية فيما يلي:

أولاً: يعتبر الأمل مصدر تحريك ودفع للعمل، إذ إن العمل يحتاج إلى أداة تدفعه وتحركه وتحفزه له، وهذه الأداة هي الأمل، فالأمل قوة دافعة تشرح الصدر للعمل وتقوي دواعي الكفاح من أجل الواجب، وتبعث النشاط في الروح والبدن، وتدفع الكسول إلى الجد، والمداوم إلى المداومة على جده والزيادة فيه. فما الذي يدفع المزارع إلى الكد والتعب والجهد الكبير الذي يبذله إلا أمله في الله تعالى بالحصاد، وما الذي يدفع الطالب إلى الجد والمثابرة إلا أمله بالنجاح، وما الذي يدفع المجاهد للجهاد إلا أمله بأن النصر سيكون حليفه بإذن الله⁽¹⁾.

فالأمل باعث على الحركة ومفجر للطاقات الدفينة، ولولاه لأصاب النفس الذبول، والجمود وآثرت السكون، وعطلت طاقاتها، وفقدت بريق حياتها، والنهاية الأكيدة هي تخلف الأمة.

وهذا ما نلاحظه في موقف سيدنا يعقوب عليه السلام عندما قال لأبنائه ﴿يَبْنَؤُ

أَذْهَبُوا مَتَحَسُّوا مِنْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ زَوْجِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ زَوْجِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ

الْكَافِرُونَ﴾ (يوسف: ٨٧).

فقد ربط بين العمل وأمله في إيجاد ولديه، لذلك طلب من أبنائه البحث عنهما وأوصاهم ألا يياسوا من رحمة الله وقدرته عز وجل فاليأس من صفات الكافرين.

(1) أنظر: أبو صعيليك، محمد عبد الله، الأمل وأثره في حياة الأمة، ص 24.

ثانياً: الأمل عنوان الإيجابية في الحياة

فصاحب الأمل هو إنسان إيجابي له تأثير على غيره، له بصمة في هذه الحياة، فهو ليس ذاتاً منعزلة بل هو ذات منفتحة على الحياة، يخالط الناس ويصبر على أذاهم بقصد تصحيح الخطأ وتقويم الأعوجاج، فتراه مملوءاً بالنشاط والعمل عندما يكون غيره راكناً إلى الكسل، وتراه شجاعاً مقداماً لا يرهب أحداً عندما يسيطر الخوف على غيره، وتراه ينطق بالحق لا يخاف في الله لومة لائم عندما يصمت غيره⁽¹⁾.

إن فن تأثيره يمتد إلى غيره، فهو ليس صالحاً في ذاته فقط بل هو مصلح لغيره أيضاً⁽²⁾. وهذا ما حث عليه القرآن الكريم ودعا إلى تطبيقه قال تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: 104) كما نجده في ثنايا السنة النبوية الشريفة، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر)⁽³⁾.

ثالثاً: الأمل مصدر الأمن والسكينة:

وهذا ما نجده عند صاحب الأمل الذي لا يخشى شيئاً من فقد أو مصيبة، إذ تلوه نظرة استبشار وسكينة وأمن بعكس حال اليأس التي تلوه نظر الخوف والوجل من أي شيء قد يصيبه. فحال لسان المؤمن الأمل يقول ما الذي أخشاه والله معي وماذا بعد ذلك وهو في معية الله تعالى.

"فالأمل من مصادر الأمن والسكينة، ذلك الشعاع الذي يلوح للإنسان في دياجير الحياة فيضيء له الظلمات، وينير له المعالم، ويهديه السبيل، والذي به تنمو شجرة الحياة ويرتفع صرح العمران، ويذوق المرء طعم السعادة ويحس ببهجة الحياة"⁽⁴⁾.

(1) أنظر: الطحان، مصطفى محمد، التربية ودورها في السلوك، بيروت، دار المعرفة، ط1، 2006، ص29 الأسمر، أحمد رجب، فلسفة التربية في الإسلام، ص422.

(2) الباقري، محسن، مقومات الشخصية الإسلامية، بيروت، دار البيان العربي، ط1، 1990، ص91.

(3) أنظر: الأسمر، أحمد رجب، فلسفة التربية في الإسلام، ص423.

(4) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حديث رقم 4011، ج4، ص363.

(4) القرضاوي، يوسف، الإيمان والحياة، ص135.

رابعاً: "الأمل عنوان القوة واليأس عنوان العجز والضعف، والمسلم مأمور بعدم العجز (فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف) كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، والأمل ينافي العجز ويضاده وصاحبه ممتثل لأمر النبي الكريم، واليأس دافعه العجز، ولحمته وسداه الضعف، والله عز وجل يحب المؤمن القوي، وصاحب الأمل قوي في حياته وفكره وفي نظرته إلى الحياة؛ ذلك لأن الأمل دافع للحركة، باعث عليها، والحركة والعمل عنوان القوة، فالقوي هو الذي يتحرك ويحرك، والضعيف هو الذي لا يتحرك ولا يعمل على تحريك غيره، وكل أعمال الدنيا والآخرة تحتاج إلى توجه النفس لفعالها والإقدام عليها ولا يكون ذلك إلا لنفس يملؤها الأمل ويحدوها الرجاء وتملؤها القوة النابضة التي تعمل في معترك الحياة، لا تقبل بالسكون ولا تستصعب شيئاً⁽¹⁾.

إن صاحب الأمل هو إنسان فعال قادر على استخدام الوسائل المتوفرة مهما قل شأنها في صنع شيء له قيمة في الحياة، فهو محرك للطاقات والإمكانات التي يمتلكها. وشتان بينه وبين اليائس العاجز الكل قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجَّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (النحل: ٧٦) فالْيائس ليست لديه القدرة على تحريك شيء أو صنع شيء، فهو عالة على غيره، عاجز تماماً بعكس صاحب الأمل الوثاب إلى الخير، النافع لنفسه ولغيره، المبلغ لرسالته، والصانع لتاريخه، والناشر لفكره ودينه⁽²⁾.

خامساً: الأمل عنوان التجدد والتغيير

"ولو نظرنا إلى صاحب الأمل لوجدنا نفسه متوثبة إلى كل جديد، ساعية إلى كل تغيير يعود بالنفع على المرء وما حوله، فهي نفس مشرقة محلقة لا تستقر في مكان، ولا تقف عند

(1) أبو صعبيليك، محمد عبد الله، الأمل وأثره في حياة الأمة، ص 27-28.

(2) أنظر: باطاهر، ابن عيسى، فاعلية المسلم المعاصر، عمان، دار البيارق، ط 1، 1997، ص 45-46.

عقبة، تبحث عن التغيير لواقع صاحبها في كل مكان، فالتائب مثلاً مغيرٌ لحاله مجدد لواقعه، محرك لهفته، متلّاف لتقصيره السابق، أما صاحب اليأس فنجد نفسه جامدة لا تقبل التغيير ولا تطلب التجديد، ولا تبحث عن دافع محرك يحركها من مقامها التي هي فيه؛ فاليأس من رحمة ربه لا يقبل بنفسه على التوبة، لأنه قد أُشرب اليأس، وقطع مسارب الأمل من نفسه وكذا كل متخلف عن أي عمل دنيوي، أو أخروي بسبب يأسه، تجده لا يغير نفسه ولا يجدد قلبه، ولا يعمل على تحريك ساكن حوله فهو ميت في ثوب حي⁽¹⁾.

والعاقِل هو الذي يدرك ويعي أن النهوض بالأمة وتقدمها ورفيها لا يكون إلا بالتغيير، الذي يبدأ أول ما يبدأ بالنفس بما فيها من سلبيات ينبغي إزالتها، فإله عز وجل لا يغير قوماً إلا إذا هم هموا بتغيير ما بأنفسهم قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾ (الرعد: ١١) وتغيير ما بالنفس ليس بالأمر الهين إن لم تصحبه إرادة قوية، ورغبة أكيدة في هذا التغيير. وهذا ما هو موجود عند صاحب الأمل ففي نفسه طاقة عظيمة قوية تسعى إلى التغيير لتصل بذلك إلى المعالي⁽²⁾.

سادساً: الأمل مصدر للجاذبية

فصاحب الأمل هو محط أنظار الناس ومحط حاجاتهم، فإليه تلتجئ الجموع عند الملمات وتندفع إليه أصحاب الهموم والغموم؛ لما يمتلكه من صدر رحب، وقلب واسع، ونفس مشرقة، وطاقة مفعمة بالتفاؤل، والاستبشار بالخير، والإنسان بحاجة إلى نموذج وقدوة حسنة في بث الأمل وبعثه وإحيائه في النفس، فبطاقته وسمته هذه يجذب الناس إليه ويحفزهم، ويدفعهم إلى اكتساب تلك السمة⁽³⁾.

سابعاً: الأمل هو مصدر لبلوغ المعالي، فصاحبه لا يقبل المكث في مكان ما إلا لينطلق منه إلى ما سواه، فهو باحث عن رفعة نفسه، وسداد مسيره، وكثرة عطائه، وتغيير

(1) أنظر: أبو صعلبيك، محمد عبد الله، الأمل وأثره في حياة الأمة، ص 26-27.

(2) أنظر: بابلي، محمود محمد، التغيير سنة الحياة، جدة، دار المنارة، ط 1، 1997، ص 38.

(3) أنظر: المرجع نفسه، ص 97.

واقعه إلى الأفضل مطلوبه العلو ولا يرضى بالدون، فله نفس تواقّة، أما صاحب اليأس فمتأخر
عن أقرانه في نفسه عزوف عن كل مكرمة، راضٍ بما هو فيه وإن كان الدون، غير مبارح
لمكانه، مُحجم عند الإقدام، صامت عند الكلام، ضعيف الهمة عند مقارعة الخطوب، متبرم
عند اشتداد الكروب، لا توثب في همته ولا تحليق في نفسه⁽¹⁾.

هذا الينبوع مليء بالخير الوفير إن نحن دققنا وأمعنا النظر فيه، وارتكزنا عليه في
استشراف مستقبل مضيء مزهر مشرق مائل في عيوننا وقلوبنا.

(1) أبو صعبليك، محمد عبد الله، الأمل وأثره في حياة الأمة، ص 28-29.

الفصل الثاني

مصادر الأمل وبواعثه

المبحث الأول: العقيدة.

المبحث الثاني: العبادات.

المبحث الثالث: القدوة الحسنة.

المبحث الرابع: الاعتبار بأحوال الآخرين.

المبحث الخامس: صحبة المتفائلين.

المبحث السادس: التعاون والتعاقد

الفصل الثاني

مصادر الأمل ويومئذ

تمهيد

يحتاج المسلم إلى معين يغترف منه ما يعينه على مواجهة صعوبات الحياة وشدائدها بنفس صابرة ثابتة. هذا المعين يمدّه بأسباب السكينة والراحة والنظرة الإيجابية للأمر والتفاؤل والاستبشار بالخير، وهو في الوقت نفسه معين ومساند لصاحب الأمل.

لذلك جاء هذا الفصل مبيّناً المصادر والبواعث التي هي بمثابة مدد وسند لمن يحتاج

إلى الأمل.

جاء هذا الفصل في ستة مباحث هي على النحو الآتي:

المبحث الأول: العقيدة.

المبحث الثاني: العبادات.

المبحث الثالث: القدوة الحسنة.

المبحث الرابع: الاعتبار بأحوال الآخرين.

المبحث الخامس: صحبة المتفائلين.

المبحث السادس: التعاون والتعاقد

المبحث الأول

العقيدة

تبدأ الباحثة هذه الجزئية بالسؤال التالي: كيف تكون العقيدة مصدراً للأمل وباعثاً

عليه؟

وقبل الإجابة على السؤال المطروح تبين الباحثة مفهوم العقيدة كي يتبدى للقارئ مفاد

ذلك.

تعرف العقيدة بأنها: "مجموعة من قضايا الحق البديهية المسلمة بالعقل والسمع

والفطرة، يعقد عليها الإنسان قلبه، وينثني عليها صدره جزمياً بصحتها، قاطعاً بوجودها

وثبوتها، لا يرى خلاقها أنه يصح أو يكون أبداً"⁽¹⁾.

"وتظهر آثارها في سلوك العبد في أقواله، وأفعاله، وحبه، وبغضه، بطريقة شعورية

أو لا شعورية، لأنها تصدق بها النفوس، ويطمئن إليها القلب، وتكون يقيناً عند أصحابها لا

يمازجها ريب ولا يخالطها شك، فهي موجهة للسلوك، لأنها تقدم أساساً راسخاً ثابتاً من

التصورات الواضحة والمترابطة، والأهداف السامية، والحوافز الدافعة إلى السعي، الباعثة

على الأمل والتفاؤل والجد والوعي، ومتى استقرت في القلب وأصبح الإيمان بها إيماناً جازماً

استقامت الجوارح على الخير والحق والرشاد"⁽²⁾.

"فالعقيدة ليست ترفاً في التفكير، ولا نافلة للنفس، ولا حاشية على هامش الحياة، ولا

مظهراً من مظاهر الخوف أو الضعف، إنما هي فطرة الله التي فطر الناس عليها، وحاجة

ملحة للنفس والروح، وإذا فقدت تركت فراغاً في النفس لا يملأ، وجوعة في الروح لا تسد،

(1) الجزائري، أبو بكر، عقيدة المؤمن، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ط1، 1999، ص14.

(2) العلي، محمد تيسير، الصلة بالله تعالى وأثرها في تربية النفس، ص41.

وخراباً في الضمير لا يعمر، فهي قوة هائلة للمؤمن تصله بقوة الله التي لا تغلب، وتمده بعونه الذي لا ينفد، وترعاه بكنفه الذي لا يضام⁽¹⁾.

إنّ فهي منهج ثابت وواضح قائم على معرفة الله عز وجل ومعرفة أسمائه وصفاته، ومعرفة دلائل وجوده، ومظاهر عظمته في الكون، ومعرفة بكتبه التي أنزلها، ومعرفة بالقدر الذي يسير عليه نظام الكون في الخلق والتدبير، ومعرفة بعالم الغيب وما فيه من قوى الخير المتمثلة بالملائكة، وقوى الشر المتمثلة بإبليس وجنوده والمعرفة بما في هذا العالم من جنّ وأرواح⁽²⁾.

وصاحب الأمل هو إنسان مؤمن يستند إلى عقيدة ثابتة فيكون بذلك ثابتاً على مبدئه وعلى طريقه فلا يتزعزع، ويستند إلى عقيدة واضحة لا لبس فيها ولا غموض، ومن ثم يكون واضحاً في أفكاره وسلوكياته غير معقّد للأمر يشرح ويفسر بوضوح لغيره، ويستند إلى عقيدة مبرهنة، ومن ثم يعضد أفكاره وأقواله وسلوكياته ببراهين وأدلة دامغة لا تقبل الرد والظن، وهو لا يغالي في أفكاره وسلوكياته فلا يأمل كثيراً بحيث يتمنى ويقعده ذلك عن العمل، بل يأمل ويرجو الله تعالى مصاحباً في ذلك العمل؛ لأنه يستند إلى عقيدة حق لا باطل فيها.

المطلب الأول: الإيمان بالله تعالى وأثره في بعث الأمل:

"إن عقيدة المسلم تقوم على تعريفه بالله عز وجل وتقوية صلته به سبحانه فيعلم ويعي ويدرك أن الله عز وجل هو المالك لهذا الكون والمتصرف والحاكم فيه والمنظم له، فالكون كله بمادته وسننه منقاد لمشيئته قال تعالى: ﴿كُلُّ لَّهُ قَانُونٌ﴾ (البقرة: 116)، لذلك فهو يتوجه

(1) القاضي، سعيد إسماعيل، التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، القاهرة، عالم الكتب، ط1، 2004، ص128.

(2) أنظر: سابق، السيد، العقائد الإسلامية، القاهرة، الفتح للإعلام العربي، ط1، 1992، ص9، 10.

إليه مباشرة فيدعوه ويعبده ويستغفره قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (غافر: ٦٠)، وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا سألت فأسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله...) (1).

فهو خالقه والممد له في وجوده وبقائه، وبيده أمره ومصيره، وصاحب الأمل يحس بهذه الصلة ويقوّي شعوره بها ويستحضرها في نفسه، فهو يعترف بعظيم قدرة الله تعالى وقوته وتقديسه والخضوع له والطاعة لأمره والرضى بحكمه والتفويض إليه بعد استنفاد جهده وطاقته في عمله وتفكيره (2).

وإيمانه بأن لهذا الكون خالقاً واحداً يقتضي تحرير نفسه من سيطرة الغير، فعقيدته تدعوه إلى الإقرار بأن الله هو المحيي والمميت، والخافض والرافع، والضرار والنافع قال تعالى: ﴿ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَوْنْتُ أَهْلَ الْغَيْبِ لَاسْتَكْبَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ الشُّوْبُ إِنَّا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف: ١٨٨) ومن ثم النهوض والرقى والتقدم، فصاحب الأمل هو إنسان راقٍ وحر في تفكيره وسلوكه ومتقدم في كل ما يصنع، لا يخضع إلا لله عز وجل (3).

كما أن عقيدته تعلمه وتربي في نفسه أنه في حاجة مستمرة إلى الله عز وجل، بحيث لا يمكنه الاستغناء عنه عز وجل بأي حال من الأحوال (4) ففي الحديث القدسي يقول تعالى: (يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي! كلكم جانع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي! كلكم عارٍ إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم، يا عبادي!

(1) سبق تخريجه، ص 27.

(2) أنظر: مبارك، محمد، نظام الإسلام (العقيدة والعبادة)، دم. دار الفكر، ط1، 1981، ص 51، 52، 68.

(3) أنظر: سابق، السيد، العقائد الإسلامية، ص 74.

(4) أنظر: يالجن، مقداد، جوانب التربية الإسلامية الأساسية، بيروت، دار الريحاني، ط1، 1986، ج1، ص 173.

إنكم تخطؤون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على أفجر قلب رجل واحد، ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، قاموا في صعيد واحد فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي! إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفىكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه⁽¹⁾. ولسان حاله يقول دائماً ﴿ **الَّذِي**

خَلَقَنِي فَهوَ يَدِينُنِي ۗ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي ۗ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهوَ يَشْفِينِي ۗ وَالَّذِي

يُؤْتِيْنِي ثَمَرَهُ يُعِينُنِي ۗ وَالَّذِي أَلْطَمَ أَنْ يُغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ۗ (الشعراء: ٧٨ - ٨٢)

لذلك فهو يدرك أنه في معية الله، فيستمد قوته وإصراره وصلابته في الالتزام بمبادئه

وأفكاره الإيجابية من الله عز وجل فهو خير معين له.

ومن عقيدته يعلم بأن الله عز وجل جعله خليفته في الأرض وميزه بالعقل، ومن ثم

كان لزاماً عليه أن لا يعطل طاقاته وإمكاناته وقدراته بل يستثمرها ويستغلها بالاستناد إلى

المنهج الرباني⁽²⁾. قال تعالى ﴿ **وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْخَلْقَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ**

دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۗ (الأنعام: ١٦٥) وقال تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ**

(1) أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي، كتاب البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، ج16 حديث رقم 2577 ص133، 134.

(2) أنظر: المبارك، محمد، نظام الإسلام (العقيدة والعبادة)، ص58.

أَمْهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلْ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿النحل﴾:

(٧٨) وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون)^(١).

فصاحب الأمل إنسان حصيف فطن، يدرك مسؤوليته في هذه الحياة، فلا يعطل طاقاته باتجاه سلبي إنما يستغلها ويوجهها بشكل إيجابي، ويحوّل قناعاته الفكرية إلى تطبيقات عملية فيستفيد ويفيد فلا يقف مكتوف اليدين مستنداً إلى تفكيره فقط، بل هو إنسان إيجابي له بصمة وتأثير في الحياة إنطلاقاً من أنه خليفة الله في الأرض فيعمرها وينهض بأمرته لتصل إلى القمة. فهو يعلم علم اليقين أن مقصد عقيدته هو تحويل المعرفة التي قدمتها له إلى حركة فكرية وعاطفية ثم إلى قوة دافعة ليحقق مدلولها في الواقع، فيطور سلوكه ليحقق في كل مجالات الحياة وفي كل علاقاته عبوديته لله وتطبيق شريعته بالعمل الإسلامي المثمر في إعمار الكون^(٢).

وبإيمانه بالله تعالى يحصل على طمأنينة القلب وسكينة النفس، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ

آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿(الرعد: ٢٨) وقال أيضاً عز

وجل: ﴿مَوَازِينٍ أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴿(الفتح: ٤) فهو لا

يتوجه بالعبادة والدعاء إلا لله الذي خلقه وخلق هذا الكون قال تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ

بِلَدِّي فَظَرَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ خَيْفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿(الأنعام: ٧٩) وهو لا يتوكل

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، بشرح النووي، كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء، وبيان الفتنة بالنساء، ج17، حديث رقم 2742، ص57، 58.

(٢) أنظر: النحلوي، عبد الرحمن، التربية بالآيات، بيروت، دار الفكر المعاصر، ط1، 1989، ص25.

إلا على الله وحده فهو خير وكيل وخير سند وخير معين له في هذه الدنيا، قال تعالى: ﴿ قَالَ

يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ يَتْنٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقْنِي مِنهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكُمْ إِلَىٰ مَا

أَنْهَكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (هود:

٨٨) فهو لا يشعر أنه وحده في الميدان يصارع الحياة وكوارثها ومصائبها، إنما يشعر بأن الله

يقف بجواره ويحميه قال تعالى: ﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ﴾ (إبراهيم:

١٢) وقال أيضاً عز وجل: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ (الطلاق: ٣) وهو يعلم بأن

حياته وزرقه وأموره كلها بيده سبحانه، فهو يتلقى منه المبادئ والمثل والشرائع والقوانين^(١).

ومتى اطمأن القلب وسكنت النفس شعر الإنسان ببرد الراحة، وحلاوة اليقين، واحتمل

الأهوال بشجاعة، وثبت إزاء الخطوب مهما اشتدت، ورأى أن يد الله ممدودة إليه، وأنه القادر

على فتح الأبواب المغلقة، فلا يتسرب إليه الجزع ولا يعرف اليأس إلى قلبه سبيلاً^(٢)، قال

تعالى: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ

الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُوهُمْ مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

(البقرة: ٢٥٧).

وهذا هو حال صاحب الأمل فهو يتميز باستقراره النفسي وهدوء سريره وثقته بالله

تعالى ورجائه به عز وجل؛ لأنه يعلم علم اليقين بأن الله تعالى ممدد بتلك الراحة النفسية

(١) أنظر: سابق، السيد، العقائد الإسلامية، ص 75.

عمر، عمر أحمد، منهج التربية في القرآن والسنة، دمشق، دار المعرفة، ط 1، 1996، ص 75، 76.

العيسوي، عبد الرحمن، الإسلام والصحة النفسية، بيروت، دار الراتب الجامعية، ط 1، 2001، ص 66.

(٢) سابق، السيد، العقائد الإسلامية، ص 75 - 76.

والاطمئنان القلبي وسكون النفس، فيفكر ويعمل بهدوء، فنقطة ارتكازه في إعانة نفسه على الالتزام بمبدئه وفكره وسلوكه وإفادة غيره هي تلك الراحة والطمأنينة الباعثة على الهمة العالية والإرادة القوية، فيبقى على خطاه ومنهجه الذي ارتضاه.

وإيمانه بالله تعالى يشعره بالقوة والعزة والكرامة قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ

وَالْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (المنافقون: ٨)، فالمؤمن قوي يستمد قوته من قوة

الله عز وجل فتظهر عليه علامات القوة والجرأة، ففي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف)^(١)، منزلة عظيمة تحرك الهمة وتدفع المسلم لأن يفتنهما، "فكرة المؤمن الحقيقية هي إيمانه بربه وثقته به عز وجل؛ ذلك أنه يعلم أن الأمور كلها بيده سبحانه، وأن الخلق محتاجون إليه، وأنه هو وحده الذي يحاسبهم على أعمالهم، ومتى رسخ هذا في نفس المؤمن رفع رأسه، واتجه بقلبه إلى الله، ورفض أن يذل نفسه لما سواه، وحرص دائماً على توثيق صلته بينه وبين مولاه وعاش والدنيا كلها في يديه"^(٢).

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوتنا في ذلك فقد ضرب بنفسه أروع المثل في اعتزازه بالله تعالى واعتماده عليه، ففي لحظات الحزن والألم الذي يصهر النفوس ويبدد قواها، كانت صلته بربه تملأ قلبه وتبدد خوفه وضعفه^(٣)، فقال قولته الخالدة لعمه أبي طالب: "والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه"^(٤).

(١) سبق تخريجه، ص 28.

(٢) سعادة، إبراهيم، الإسلام وتربية الإنسان، الزرقاء، مكتبة المنار، ط 1، 1985، ص 144.

(٣) المرجع نفسه، ص 145.

(٤) كفوري، صفي الرحمن، الرحيق المختوم، مصر، دار الوفاء، ط 19، 2007، ص 93.

والمسلم يعي أن عزته وكرامته وقوته في عقيدته، فيقتبس منها ما يعينه ويشجعه ويحفزه ويبعث في نفسه الأمل والتفاؤل والاستبشار بالخير، وشعوره بالعزة يجعله ينطلق بأفكاره ليجسدها على أرض الواقع. فهذه الأمة ستتهض وسترتقي بعقيدتها الراسخة المتينة.

"صاحب الأمل هو إنسان يشعر بالرضى وما يتبعه من قبول وهدوء وسعادة واطمئنان نفسي، ومنبع شعوره هذا من إيمانه القوي المتين، فالرضى من المشاعر النفسية؛ الإيجابية النافعة في التمتع بالصحة النفسية لأن عكس الشعور بالرضى هو الشعور بالسخط والرفض والغضب والتبرم، وهذه كلها مشاعر سلبية لا نجدها عند صاحب الأمل المتفائل المستبشر بالخير"⁽¹⁾، فراضاه عن قناعة قلبية وعقلية، قلبية نابعة من إيمانه بالله تعالى وعقلية لأنه يعلم أن تبرمه وسخطه لا يأتي بخير أبداً (فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط)⁽²⁾، بل سيجلب له متاعب نفسية وجسدية هو في غنى عنها.

"والإيمان بالله يمثل أكرم صلة بين الإنسان وخالقه، ذلك أن أشرف ما في الأرض الإنسان، وأشرف ما في الإنسان قلبه، وأشرف ما في القلب الإيمان، ومن ثم كانت الهداية إلى الإيمان أجل نعمة وأفضل آلاء الله على الإطلاق قال تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا

عَلَيْكُمْ إِنْ لَمْ يَمُنُّوا بِاللهِ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُمُوهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الحجرات: ١٧) وقال تعالى:

﴿وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْإِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ

الرَّاشِدُونَ﴾ (الحجرات: ٧) فالإيمان بالله هو عقيدة تملأ القلب وتصدر عنها آثارها كما

يصدر عن الورد شذاه⁽³⁾.

(1) أنظر: العيسوي، عبد الرحمن، الإسلام والصحة النفسية، ص 47، 75.

(2) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب: ما جاء في الصبر على البلاء، حديث رقم 2398، ج 7،

ص 123 وقال حديث حسن غريب.

(3) أنظر، سابق، السيد، العقائد الإسلامية، ص 69.

المطلب الثاني: عقيدة الإيمان بالملائكة وأثره في بعث الأمل:

إن عقيدة المسلم تقوم على الإيمان بالملائكة والتشبه بخصالهم الكريمة من السمو والرفعة، والاهتمام بمعالي الأمور، ومن القيام بالحق والخير، والاستقامة والإخلاص في العمل، ومن الوعي واليقظة التامة، وضبط الشهوات والملذات والحاجات المادية، ومن ثم يصبح أكثر صلاحاً وأحسن تربية (1).

والمسلم بإيمانه بالملائكة يستمد منهم صفات السمو والرفعة والاهتمام بمعالي الأمور فلا يرضى بالدون إنما طموحه وهدفه وصوله إلى القمة، كما يستمد الوعي واليقظة التامة فلا يصدر منه إلا ما هو حسن، ويتميز بتعاونه مع غيره على الحق والخير، وهذا من شأنه أن يقوي الأمل في نفسه؛ إذ إن صاحب الأمل يتميز بالحركة والنقاء والنفوس الوثابة البناءة المثمرة المعطاءة. فإيمانه بالملائكة هو منبع اكتسابه خصالهم الكريمة.

المطلب الثالث: الإيمان بالكتب السماوية وأثره في بعث الأمل:

إن عقيدة المسلم تقوم على الإيمان بالكتب الإلهية فمنها يستمد المنهج الرشيد الذي رسمه الله تعالى للإنسان ليصل بالسير عليه إلى كماله المادي والأدبي (2).
وصاحب الأمل يفكر ويخطط وينظم أموره كلها بناء على منهج واضح، يرشده في كل ما يقوم به، فلا يتخبط ويتصرف بعشوائية، بل هو مُحكَمٌ لذاته فكراً وعملاً.

المطلب الرابع: الإيمان بالرسول وأثره في بعث الأمل:

إن عقيدة المسلم تقوم على الإيمان بالرسول، ذلك الإيمان الذي يقدم للإنسان النموذج الصالح ليفتدي به، ويستمد من تعاليمهم وشرائعهم نظاماً للحياة بكل جوانبها، وهو النظام الوحيد المناسب للناس، لأنه من لدن حكيم خبير (3).

(1) أنظر: عمر، عمر أحمد، منهج التربية في القرآن والسنة، ص 83.

سابق، السيد، العقائد الإسلامية، ص 11.

(2) أنظر: سابق، السيد، العقائد الإسلامية، ص 11.

(3) أنظر: عمر، عمر أحمد، منهج التربية في القرآن والسنة، ص 97.

وصاحب الأمل إنسان يتخلق بأخلاق الرسل ويتأسى بهم فيكون بذلك قدوة حسنة لغيره، فالتربية بالقدوة لها أكبر الأثر في النفس وأعمقها وهي لا تقل أهمية عن التربية الناجمة عن القناعة العقلية أو الإثارة العاطفية نحو الخير والحق⁽¹⁾، فبسلوكياته وطريقة تفكيره الإيجابية يؤثر على غيره ويدعوهم إلى التأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم والرسول الكرام فيما كانوا عليه من أمل وتفاؤل رغم ما لاقوه من أقوامهم من تعذيب وتكذيب، كما في حادثة الهجرة عندما بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم سراقه بن مالك بسوراي كسرى بقوله: "كيف بك إذا لبست سواراي كسرى؟"⁽²⁾

قدوة حية بعثت الأمل في هذه النفس، فأحيتها باسم الإيمان والعقيدة المتينة، فهذان السواران كانا أعظم من الجائزة التي وضعتها قريش لمن يمسك برسول الله صلى الله عليه وسلم، فالتربية بالأفعال أجدى منها بالأقوال.

المطلب الخامس: الإيمان باليوم الآخر وأثره في بعث الأمل:

إن عقيدة المسلم تقوم على الإيمان باليوم الآخر، وهي أقوى باعث على فعل الخير وترك الشر⁽³⁾، فإيمانه باليوم الآخر يجعله يفعل الخير في جميع أقواله ويريده لكل الناس، حتى الذين يقابلونه بالشر؛ لعلمه بأن كل إنسان سيجازي على عمله، كما يجعله متحملاً للمسؤولية فيقوم بالواجب على أكمل وجه، ويجعله يصبر على الشدائد ويتحمل المشاق، ويجعله أيضاً حريصاً على قول الحق وتأييد العدل، ونصرة المظلوم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما يجعله يجاهد بماله ونفسه في سبيل الله، لرد العدوان وقمع الظلم ونشر الدين، وهذا ما يجعل المجتمع في غاية القوة والصلاح، ويجعل الأمة في أوج العزة والمنعة⁽⁴⁾.

(1) عمر، عمر أحمد، منهج التربية في القرآن والسنة، ص 97.

(2) الصلابي، علي محمد، السيرة النبوية، المنصورة، مكتبة فياض، ط1، 2007، ج1، ص355.

(3) سابق، السيد، العقائد الإسلامية، ص 11.

(4) عمر، عمر أحمد، منهج التربية في القرآن والسنة، ص 105.

إذن فصاحب الأمل لديه باعث قوي على فعل الخير المتمثل بتعليم من حوله كيفية التفكير الإيجابي الناهض وإنزاله على أرض الواقع، وكيف يتحكم بذاته ويوجهها الوجهة الإيجابية، فلا يفكر ولا يأمل إلا بما هو خير، بعكس اليأس الذي يتصف بتفكير سلبي لا يأتي بخير مطلقاً إذ تعلق تفكيره نظرة تشاؤم مليئة بالإحباط والاكتئاب.

المطلب السادس: الإيمان بالقدر وأثره في بعث الأمل:

وهي عقيدة تقوم على الإيمان بالقضاء والقدر والتي تزود الإنسان بقوى وطاقات تتحدى كل العقبات والصعاب⁽¹⁾، "قال المؤمن العاقل متى رسخ في ذهنه حقيقة القضاء والقدر وامتلاً قلبه عقيدة بأن كل ما يجري له من نعم، وما ينزل به من مصائب، أمر محتوم مرسوم، مراد الله تعالى، مقضي بقضائه، ومحدد بتقديره، ومنفذ بقدرته"⁽²⁾، فهو يمنع اليأس والحسرة حينما يحاول الإنسان تحقيق شيء ويفشل فيه لأنه يرضى بالنتيجة التي قدرها الله له؛ فهو أعلم منه بمصلحته قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٢١٦) وهذا ما يجعل الإنسان يبذل جهده ويستعين بربه لتحقيق ما ينفعه⁽³⁾.

وإيمانه بالقضاء والقدر يؤدي به إلى الإقدام والشجاعة، فالأعمار مقدره والأجال محتومة، وهذا ما يجعله يجاهد بشجاعة لنصرة الحق وإزهاق الباطل، فلا يهاب الموت ولا يفر من لقاء العدو، كما يجعله قوي الإرادة ماضي العزيمة لانه يعلم أن مصيره بيد الله وحده فيتوكل عليه ويسير بخطوات ثابتة إلى غايته قال تعالى: ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (التوبة: ٥١) كما يجعل النفس راضية مطمئنة لأنها تعلم أن الله هو الذي يعطي ويمنح، ويعز ويذل والخير بيده وهو على كل شيء

(1) سابق، السيد، العقائد الإسلامية، ص 11.

(2) الميداني، عبد الرحمن، العقيدة الإسلامية وأسسها، دمشق، دار القلم، ط 4، 1986، ص 801.

(3) عمر، عمر أحمد، منهج التربية في القرآن والسنة، ص 109 - 110.

قدير⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذَلُّ مَنْ تَشَاءُ بِرَبِّكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِعَمْرِ حَسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ (آل عمران: ٢٦ - ٢٧).

وصاحب الأمل لديه طاقة كبيرة وقوة عظيمة تتحدى كل العقبات والصعاب التي تعترض طريقه فيصمد ويثبت أمامها بل يتحداها؛ فهو يوقن بأنها مرحلة قصيرة الأمد ستزول؛ بل إنه ينظر إليها على أنها تجربة سيستفيد منها وسيخطاها بشجاعة، وإرادة قوية وهمة عالية، ليصل في النهاية إلى غايته ومبتغاه. وهذا كله يستمد من إيمانه بالقضاء والقدر، بعكس اللئس الذي يعتريه الخوف والجبن تجاه المصاعب والعقبات، فنتثيه وتضعفه فلا يقدر على مواجهتها وتخطيها؛ لضعف إيمانه أولاً، وعدم فهمه الصحيح لعقيدة القضاء والقدر فهو كالريشة في مهب الريح.

قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ (الحديد: ٢٢ - ٢٣).

يقول سيد قطب:

"إن هذا الوجود من الدقة والتقدير بحيث لا يقع فيه حادث إلا وهو مقدر من قبل في تصميمه، محسوب حسابه في كتابه، لا مكان فيه للمصادفة، ولا شيء فيه جزاف، وقبل خلق الأرض، وقبل خلق الأنفس كان في علم الله الكامل الشامل الدقيق⁽²⁾.

"فكل ما يحدث للإنسان في هذه الدنيا هو بقضاء الله عز وجل وقدره، وهو سهل ويسير على الله غير عسير؛ لأنه هو الخالق وهو أعلم بما خلق، يعلم ما كان وما سيكون وما لا يكون. والإخبار بذلك هو لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من نعيم في الدنيا، ولا تفرحوا فرح

(1) عمر، عمر أحمد، منهج التربية في القرآن والسنة، 110.

(2) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج6، ص3493.

بطر بما هو آت، فلا تأسوا على ما فاتكم؛ لأنه لو قدر شيء لكان، ولا تفرحوا بما جاءكم أو أعطاكم، أي لا تفخروا على الناس بما أنعم الله به عليكم، فإن ذلك من قدر الله ورزقه لكم⁽¹⁾.
إن فكل ما في الكون هو بأمر الله تعالى، وكل المصائب معلومة لله تعالى، مكتوبة في اللوح المحفوظ قبل إيجاد الخليقة، وحفظ ذلك وعلمه هيّن يسير على الله تعالى، ومن يعلم بذلك تهون عليه المصائب، فيصبر ويحتسب الأجر والثواب ويصمد⁽²⁾.

"ومن المعلوم أن المرحلة الأولى لبناء الإنسان وتكوينه في التربية الإسلامية هي مرحلة تثبيت العقيدة بأسسها وتميئتها في القلوب، ليعرف حقيقة رسالته في الحياة، ويعرف مسؤولياته التي سيحاسب عليها بين يدي الله سبحانه وتعالى"⁽³⁾.

كما تعد هذه المرحلة منبع الصحة النفسية السوية والسليمة، فالتربية الحقة هي التي تقوم على العقيدة الإسلامية، والتي بها تستقيم حياة الإنسان، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً كتاب الله وسنة نبيه)⁽⁴⁾،
"فضعف الإيمان يؤدي إلى امتلاء النفس بالأمراض النفسية كالقلق والاكتئاب والإحباط واليأس والتشاؤم والخوف والضياع.... بعكس قوة الإيمان الباعث على الهدوء والسكينة والاستقرار وحماية الإنسان من أخطار الانفعالات"⁽⁵⁾.

إن صاحب الأمل يتميز بشخصية إسلامية قوية في عقيدتها التي هي محور بنائها، شخصية واعية مسؤولة، حسيمة تدرك رسالتها في الحياة الدنيا، وتعي النعم التي أكرمها الله

(1) الزحيلي، وهبة، التفسير المنير، بيروت، دار الفكر المعاصر، ط1، 1991، ج27، ص326، 337.

(2) المرجع نفسه، ص329.

(3) عمر، عمر أحمد، منهج التربية الإسلامية في القرآن والسنة، ص110.

(4) رواه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب آداب القاضي، باب: ما يقضي به القاضي ويفتي به المفتي، ج10،

ص10

(5) أنظر العيسوي، عبد الرحمن، الإسلام والصحة النفسية، ص63.

بها من طاقات وقدرات لا بد من استثمارها وعدم تعطيلها، تعلم بأن الله وحده المتصرف في هذا الكون فتطمئن، شخصية تتمتع بصحة نفسية سوية خالية من الأمراض النفسية، شخصية تسير بخطوات ثابتة؛ لارتكازها على منهج رباني ثابت فلا تتخبط؛ فهي تتمتع بعقلية منظمة للأمور مخططة لها، شخصية ملأى بالمشاعر النبيلة المستقاة من صفات الله عز وجل، شخصية لا ترضى بالدون بل تطلب معالي الأمور وغيرها الكثير، بعكس حال اليأس تلك الشخصية البائسة الضعيفة المتشائمة المعطلة لقدراتها السلبية في تفكيرها وسلوكياتها، والتي لا تتمتع بصحة نفسية سوية؛ فهي تجر نفسها بتفكيرها إلى كثير من الأمراض النفسية، شخصية قلقة، حائرة، محبطة، خائفة، جبانة... لا يُعَوَّل عليها في أي أمر؛ فهي ضعيفة الإيمان، وشتان بينها وبين الشخصية المتفائلة المستبشرة بالخير، الناظرة للأمور بنظرة إيجابية الباعثة على رفع الهمم والناهضة للأمة.

إن التمسك بالعقيدة الإسلامية ورسوخها في النفس وتمثلها في الجوارح هي إحدى أسباب النصر والتمكين لهذه الأمة التي هي أملها المنشود، فلا بد من تغيير العقيدة الفاسدة التي رسخت في نفوس المسلمين اليوم واستبدالها بالعقيدة الربانية المتمثلة بقوة الصلة بالخالق عز وجل، والامتثال لأوامره فهو يقول في محكم كتابه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١) فتغيير حال الأمة لا يكون إلا بتغيير النفس أولاً ليتغير حال الأمة كما كانت من قبل.

والعقيدة بما فيها من خصائص ومنافع كما سبق بيانها تبعث الأمل في النفس وتدعم صاحب الأمل فيبقى ثابتاً على موقفه.

المبحث الثاني

العبادات

تعتبر العبادات الترجمة العملية للعقيدة والمرسخة لها في النفس إن تمت تأديتها كما يجب، فالعقيدة تبقى فكرة ضعيفة حتى تدفع إلى العبادة، فإذا فعلت العبادات قويت العقيدة واستقرت في القلب فهي التي تجعل العقيدة حية في النفس، وتنقلها من حيز الفكر إلى حيز القلب، فتكون بذلك قوة دافعة لها حرارتها ونورها فستان بين من يعلم عقلياً بوجود الله ومن يحس ويشعر بحسه وبجميع جوارحه بوجود الله تعالى وهيمنته عليه، وأنه معه حيثما حل أو ارتحل⁽¹⁾، ويقرأ ذلك في الكتاب العزيز ﴿الَّذِينَ تَرَى أَنَّهُمْ يُكْفِرُونَ بِاللَّهِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِمَّا يَعْبُدُونَ أُولَٰئِكَ أَعْدَاءُ اللَّهِ وَمَا لِلشَّامِتِينَ بِاللَّهِ مِن عَاقِبَةٍ ۚ وَبَدِيعَةُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَإِذْ يُبَيِّنُ لِلنَّاسِ آيَاتِهِ لِيُرْءَوْا ۚ وَإِذْ يُخَالِصُ الَّذِينَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ ۚ وَاللَّهُ يَهْتَدِي لِقَوْمٍ يُسَبِّحُونَ ۚ﴾ (المجادلة: ٧).

وسمة صاحب الأمل هي الترجمة العملية لأفكاره وأهدافه فيسعى جاهداً إلى تطبيقها على أرض الواقع، مستمداً ذلك من تأديته للعبادات التي هي بمثابة الشاحن للطاقة الموجودة لديه، والشاحذ لهيمته، والمولدة لقوته، والصاقلة لمعدنه النفسي. فيمضي قدماً نحو الأمام منغمساً في معركة الحياة أقوى وأمضى فالإنسان الحي هو الذي يعمل ويتحرك ويحرك غيره. "كما أن العبادة تكريم لبني آدم؛ فهي السبيل الوحيد للتخلص من الرق والعبودية لغير الله تعالى، ذلك أن الإنسان بطبيعته محتاج إلى من يستعين به في قضاء حاجاته المتجددة، إلى قوة أعلى منه، إلى رب يرعى شؤونه، إلى معبود يعب،. فإن لم يكن الله تعالى فلا بد أن

(1) أنظر: عمر، عمر أحمد، منهج التربية في القرآن والسنة، ص 113.

إسماعيل، شعبان محمد، العبادة في الإسلام، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ط1، 1980، ص 33.

يكون مخلوقاً وأيهما أشرف للإنسان، عبودية تؤدي إلى الحرية؟ أم عبودية تؤدي إلى الذل والاسترقاق، وسلب الخصائص الإنسانية⁽¹⁾.

وفي هذا يقول ابن تيمية:

"وكل من استكبر عن عبادة الله لا بد أن يعبد غيره، فإن الإنسان حساس يتحرك بالإرادة، والإنسان له إرادة دائماً، وكل إرادة لا بد لها من مراد تنتهي إليه، فلا بد لكل عبد من مراد محبوب هو منتهى حبه وإرادته. فمن لم يكن الله معبوده ومنتهى حبه وإرادته، بل استكبر عن ذلك، فلا بد أن يكون له مراد محبوب يستعبده غير الله، فيكون عبداً لذلك المراد المحبوب: إما المال، وإما الجاه، وإما الصور، وإما ما يتخذها إلهاً من دون الله: كالشمس، والقمر والكواكب إلى غير ذلك"⁽²⁾.

إن فالعبادة هي ينبوع الحرية والتخلص من الرق والذل والخضوع لغير الله تعالى، وهي بذلك تبعث في نفس المسلم إشراقاً أمل وتفاؤل فينطلق بطاقاته وقدراته ليضع بذلك بصمته في الحياة. فهو يفكر بحرية ويعمل بحرية ويربي بحرية فتسمو روحه وترتقي وتسعد.

يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه في مراتب العبادة:

"إن قوماً عبدوا الله رغبةً فتلك عبادة التجار، وإن قوماً عبدوا الله رهبةً فتلك عبادة

العبيد، وإن قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار"⁽³⁾.

فالعبادة معين يغترف منه المسلم حريته فيسمو بروحه وفكره وطاقاته، متجاوزاً كل

القيود التي تقف حائلاً بينه وبين انجازاته التي تعود بالخير الوفير على أمته.

(1) إسماعيل، شعبان محمد، العبادة في الإسلام، ص 27.

(2) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، العبودية، ص 65.

(3) أبي طالب، علي بن، نهج البلاغة، ص 730.

"وهي غذاء الروح، فصلة العبد بالله تعالى ومناجاته هي التي تمده بمدد يومي لا ينفد ولا يغيض، فالقلب الإنساني دائم الشعور بالحاجة إلى الله تعالى، وهو شعور أصيل صادق لا يملأ فراغه شيء في الوجود إلا حسن الصلة بالله عز وجل، وهذا ما تقوم به العبادة إذا أدبت على وجهها"⁽¹⁾.

وفي هذا يقول ابن تيمية:

"القلب فقير بالذات إلى الله من جهتين: من جهة العبادة... ومن جهة الاستعانة والتوكل... فالقلب لا يصلح ولا يفلح ولا ينعم ولا يسر ولا يلتذ ولا يطيب ولا يسكن ولا يطمئن إلا بعبادة ربه وحده والإتابة إليه"⁽²⁾.

إن العبادة هي مدد بالطمأنينة والسكينة والراحة والسعادة والسرور والضياء، وما الأمل إلا كذلك؛ إذ إن صاحب الأمل يتسم باطمئنان قلبي وسكينة نفس، وراحة، وسعادة لا مثل لها فهو يغترف من معين العبادة تلك السمات. وهذا ما يجعله ينظر إلى الحياة بنظرة إيجابية ملؤها السعادة والتفاؤل والاستبشار بالخير.

"إن أداء العبادات المفروضة علينا من صلاة وصيام وزكاة وحج تكفر الذنوب، وتبعث في الإنسان الرجاء في مغفرة الله وعفوه، ويقوي فيه الأمل في الفوز بدخول الجنة، ويثبت في نفسه الشعور بالأمن والطمأنينة"⁽³⁾، فعن حذيفة بن اليمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (فتنة الرجل في أهله وولده ونفسه وجاره يكفرها الصيام والصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)⁽⁴⁾.

(1) القرضاوي، يوسف، العبادة في الإسلام، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط6، 1979، ص97.

(2) ابن تيمية، العبودية، ص10.

(3) أبو شهبه، هناء يحيى، السنة النبوية وتوجيه المسلم إلى الصحة النفسية: مؤتمر السنة النبوية والدراسات المعاصرة، جامعة اليرموك، إربد - الأردن، 17-18/4/2007، نشر جامعة اليرموك، إربد- الأردن، 2007، ص14..

(4) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الفتن، باب: الفتنة التي تموج كموج البحر، ج7، حديث رقم 2259، ص37.

ولنرَ كيف تكون الصلاة والصيام والزكاة والحج مصدراً للأمل أو داعماً لصاحب

الأمل؟

المطلب الأول: أثر الصلاة في بعث الأمل في النفس:

الصلاة زاد روحي يعين على مشقات الحياة، وصلة بين العبد وربّه فهي:

1. الصلاة سبب لمحو الذنوب:

ونلاحظ ذلك من حديث المصطفى عليه أفضل الصلاة والتسليم (أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء قالوا: لا يبقى من درنه شيء قال: فكذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا)⁽¹⁾. وقوله (الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن)⁽²⁾.

وحيثما يدرك المسلم هذه النعمة التي منّ الله بها عليه، فيعود إنساناً نظيفاً خالياً من الذنوب، تبعث في نفسه الأمل والتفاؤل، والعمل من جديد بحيوية وهمّة عالية.

"ففي مناجاة العبد لربه في صلواته غذاء روحي، وشحنة تنير قلبه وتشرح صدره، وترفعه من الأرض إلى السماء وتدخله إلى ربه من غير باب، وتوقفه بين يديه بلا حجاب ويكلمه بلا وسيط ولا ترجمان، فيناجيه غير بعيد، ويستعين به ويسأله فيسأل غنياً غير بخيل، وتكاد تشف روحه وتصفو نفسه فتسمع كلام الله"⁽³⁾.

ويعبر الرسول الكريم عن قوة الصلة بين العبد وربّه في الصلاة فيقول: (إن الرجل إذا دخل في صلاته أقبل عليه بوجهه فلا ينصرف عنه حتى ينقلب أي يرجع أو يحدث حدث

(1) أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: المشي على الصلاة، ج3، حديث رقم 667، ص173.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي، كتاب الطهارة، باب: الصلوات الخمس، ج2، حديث رقم 233، ص116.

(3) إسماعيل، شعبان محمد، العبادة في الإسلام، ص109.

سوء⁽¹⁾، فأى كرم وفضل هذا! وأي معية وإقبال مشرق هذا! وأي دفء وسكينة وأمن بعد هذا!.

فعندما يدرك المسلم أنّ صلاته مصدرٌ لمحو ذنوبه بحيث يكون كالصفحة البيضاء، يعطيه ذلك الأمل والتفاؤل، فيبدأ من جديد بنفس تملؤها الراحة، والطمأنينة، والعزيمة، والهمة العالية.

فالنفس الخالية من الذنوب هي نفس صافية، زكية، خفيفة، متفائلة، بعكس النفس المليئة بالذنوب، فهي ثقيلة، مظلمة، عابسة، محبطة يملأ كيانها اليأس.

2. تعين على مجابهة الصعاب وتحمل المشاق. قال تعالى ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا

لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْغَافِلِينَ﴾ (البقرة: ٤٥) ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى.

فالصلاة تريح الإنسان مما يعانيه من هموم الحياة، وتضع عن كاهله ما ينوء بحمله من الأثقال؛ لأنه يفوض الأمر إلى الله تعالى، ويستمد منه العون والتوفيق، فيصبح قرير العين مسرور الفؤاد⁽²⁾، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (حُبب إليّ الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة)⁽³⁾.

وصاحب الأمل يواجه مشكلاته وعقباته بقوة وعزيمة ثابتة مستمداً ذلك من صلاته؛ فهي تعينه وتريحه من الهموم وتحرره من القلق، فتبعث في نفسه طاقة جديدة ليشرع بالنشاط والحيوية في كيانه.

3. الصلاة مصدر للشعور بالقوة والعزة والثقة التي يستمدّها من قوة الله عز وجل وعزته ونصره وتأييده، فيتحرر من عبودية الشهوات والأهواء ومن وساوس الشيطان، فهو يملك بأن

(1) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب الصلاة، باب: المصلي يتختم، ج1، حديث رقم 1023، ص539، إسناداه صحيح ورجاله ثقات.

(2) عمر، عمر أحمد، منهج التربية في القرآن والسنة، ص117.

(3) رواه النسائي في سننه، كتاب عشرة النساء، باب: حب النساء، ج7، حديث رقم 3940، ص61.

يتصل بخالق الكون، ويحظى بشرف مناجاته، فيستمع إليه ويرد عليه، ويستجيب إلى دعائه⁽¹⁾.

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْعَزِيزُ الرَّؤُوفُ وَالْمُؤْمِنِينَ وَاللَّيْسَ الْمُتَّقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (المنافقون: ٨).

وفي الحديث القدسي: (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله: حمدني عبدي، وإذا قال: الرحمن الرحيم، قال الله: أثنى عليّ عبدي، وإذا قال العبد: مالك يوم الدين، قال الله: مجدني عبدي، وإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين، قال: هذا بيني وبين عبدي، فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل)⁽²⁾.

وإدراك مثل هذه النعمة، يبعث في نفس المسلم الأمل والرجاء والتفاؤل بأن هناك قوة وعزة وثقة لا مثيل لها يكتسبها المسلم من الله عز وجل، فتفيض في نفسه طاقة وحيوية ونشاطاً تجعله يقبل على هذه الحياة بمشقاتها وصعابها بنظرة ملؤها التفاؤل والخير.

4. الصلاة وسيلة لتطهير المسلم من الرذائل والصفات السيئة قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾

﴿وَدَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ (الأعلى: ١٤ - ١٥) فالمواظبة عليها تربي في نفسه الضمير الحي الذي

يبعث على الخير، ويحض عليه ويمنع الشر ويحذر منه لهذا نجد الآية الكريمة تقول: ﴿أَتْلُ

مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِئَلَّا تُفْحَشَ وَالْمُنْكَرَ﴾

(العنكبوت: ٤٥) فصلاة المسلم من قراءة وقيام وركوع وسجود وخشوع وتدبر تجعله يعيش

في لحظات مع ذكر الله ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (طه: ١٤)

وهذا يولد في نفسه دوافع نفسية معاكسة؛ لميله البشري إلى الوقوع في الفاحشة والمنكر الذي يزينه له شياطين الإنس والجن⁽³⁾.

(1) أنظر: شديد، محمد، منهج القرآن في التربية، ص 225، 226.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب: وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، ج 2، حديث رقم 395، ص 106، 107.

(3) أنظر: إسماعيل، شعبان محمد، العبادة في الإسلام، ص 102.

الشريف، محمد كمال، سكينه الإيمان، دمشق، دار ابن كثير، ط 1، 1996، ص 243.

وهذا ما يبعث الأمل والتفاؤل في نفس المسلم فيعاهد نفسه بالألا يقع ضحية اليأس من رحمة الله وكرمه وعفوه ورضاه إن أقبل بنفس ملؤها الرضا والرجاء والاستبشار بالخير. وهذا هو حال صاحب الأمل الذي يجدد أمله ورجاءه بصلته بالله عز وجل.

5. "الصلاة تعين المسلم على تركيز الذهن؛ فهو في صلاته يصرف وساوس الشيطان عن نفسه، ويطرد هموم الدنيا من قلبه، ويركز ذهنه على التفكير في معاني الآيات التي يقرأها، ويحصر نشاطه العقلي في مناجاة الله والتضرع إليه"⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿يَبْتَغِي أَمْرَ الصَّلَاةِ وَأَمْرَ

بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (لقمان: ١٧) فاقتران العزيمة بالصلاة برهان على أنها تهب المؤمن قوة تتجدد بأدائه العبادة واستمراره على إقامة الصلاة، والعزم قوة داخلية تندفع بها النفس متجاوزة الأهواء ومتحدية مطامع الشيطان⁽²⁾.

وصاحب الأمل يستمد من صلاته قوة التركيز والانتباه إلى الجوانب الإيجابية لأي موضوع يطرح، وإلى أفكاره وأهدافه ليجعل منها واقعاً معاشاً يثمر بالخير، فالإنسان الإيجابي والمتفائل هو إنسان يتميز بقوة تركيزه وانتباهه، فيبدع ويخترع ويكتشف ليصل إلى القمة.

6. "الصلاة وسيلة لغرس الفضائل في نفس المسلم كفضيلة الكرم وفضيلة الثبات وهما من أكرم الخصال والفضائل وأشرفها، فالمصلي إذا أفاض الله عليه النعم والآلاء لا يستأثر بها، بل يشرك فيها غيره قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِنَّمَا سَأَلَ لَشْرًا جُرُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِنَّمَا سَأَلَ لِحَفِيدٍ

مَنْعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ (المعارج: ١٩ - ٢٣) وتطبعه بطابع

(1) عمر، عمر أحمد، منهج التربية في القرآن والسنة، ص117.

(2) أبو زائدة، عبد الفتاح، الإيمان وحقيقة العبادة في الإسلام، طرابلس، صحيفة الدعوة الإسلامية، ط2، 1992، ص230.

الأخلاق الحسنة وتجعله عضواً نافعاً في المجتمع الذي يعيش فيه، وتجعل منه خلية حية تعمل وتنتج ويعم خيرها جميع الناس⁽¹⁾.

وصاحب الأمل إنسان يتسم بفضيلة الكرم، فيكون سراجاً منيراً لغيره، ممن يتوقون ويحتاجون إلى تلك الشعلة الوضوء، فلا يبخل عليهم بل يدلهم على الطريق، ويثبت أمام صعوبات الحياة والعقبات التي قد تعترض طريقه، فالصلاة هي بمثابة باعث على الأمل في نفس المسلم، وصاحب الأمل هو بمثابة الدعامة للمسلم في مواجهة صعوبات الحياة.

7. الصلاة وسيلة للأمن والسكينة والطمأنينة والسعادة، فعندما يدرك المسلم أنه في حفظ الله ورعايته وخصوصاً في صلاة الفجر حيث يقول الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه: (من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيء فيدركه فيكبه في نار جهنم)⁽²⁾، وعندما يعلم دعاء الملائكة له بالرحمة والمغفرة ما دام في الصلاة حيث يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يحدث، تقول: اللهم أغفر له اللهم أرحمه)⁽³⁾، وعندما يدرك أن محافظته على الصلاة سبب في وراثة الجنة، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ يَحْفَظُونَ ﴿١٠١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠٢﴾ الَّذِينَ يَرْتَدُونَ إِلَيْهِمْ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (المؤمنون: ٩ - ١١).

كل هذا الكرم السابغ والنعم التي لا تحصى وما سبق بيانه يبعث الأمل في النفس، فالسكينة والأمن والطمأنينة من مقتضيات الأمل، فصاحبه ذو شخصية تتميز بالاستقرار النفسي، والاطمئنان القلبي، والسرور الداخلي، إذ كيف يقبل على ما في هذه الحياة من صعوبات وعقبات إلا بتلك السمة (الأمل)؟

(1) إسماعيل، شعبان محمد، العبادة في الإسلام، ص 102، 103.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة، ج 5، حديث رقم 657، ص 161.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب: الحدث في المسجد، حديث رقم 445، ص 130.

المطلب الثاني: الصيام وأثره في بعث الأمل في النفوس:

تكمن أهمية الصيام في إمداد المسلم بالأمل من خلال ما يأتي:

1. في الصيام جلاء لقوة المسلم ومجابهته للصعاب والمشقات والتغلب عليها، ففي صبره

على جوعه وعطشه وملذاته إرضاءً لله تعالى يتعلم أن يصبر على الصعاب وتحمل

المشقات وأكبر دليل على ذلك ما سجله المؤمنون من الانتصار على الكافرين في

غزوة بدر التي كانت في شهر رمضان⁽¹⁾.

وصاحب الأمل يحتاج بين الحين والآخر إلى ما يعضده ويسانده ويدعمه في مواجهته

للصعاب والمشاكل وتحمله وصبره عليها، فيستمد ذلك الصبر من صيامه لله تعالى، حيث أنه

ألزم نفسه الصبر على شهواته وملذاته إرضاءً لله تعالى فمن باب أولى أن يصبر على صعاب

الحياة. قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَوْفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (الزمر: ١٠)

2. الصيام وسيلة لتقوية إرادة المسلم، فالذي يقاوم دوافعه الفطرية يصبح قوي الإرادة،

يملك نفسه ويسيرها على طريق الشرع⁽²⁾.

وهذا يعطي صاحب الأمل باعثاً وحافزاً لأن يغير ما بنفسه وما في نفوس الآخرين

من رواسب لعادات أو صفات سلبية لينهض ويرتقي بنفسه أولاً وبهم ثانياً.

3. في الصيام نيل لمرضاة الله تعالى ومغفرة للذنوب لحديث الرسول الكريم (من صام

رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيماناً

واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)⁽³⁾، وعندما يدرك المسلم ذلك الثواب والعطاء

الكريم من الله تعالى، يعطيه الأمل فيتفاعل ويستبشر خيراً وينعكس ذلك على سلوكه

من الناحية الإيجابية، فلا يعمل إلا ما يعود عليه وعلى غيره بالخير.

(1) أنظر: أبو زائدة، عبد الفتاح، الإيمان وحقيقة العبادة في الإسلام، ص 163.

عمر، عمر أحمد، منهج التربية في القرآن والسنة، ص 123.

(2) عمر، عمر أحمد، منهج التربية في القرآن والسنة، ص 124.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: للترغيب في قيام رمضان، ج 3، حديث

رقم 760، ص 42.

4. في الصيام تعويد للنفس على الانضباط والنقيد بالأوامر واجتناب النواهي، لأن الصوم يتطلب نموذجاً فريداً من السلوك⁽¹⁾، وفي ذلك يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه)⁽²⁾.

وهذا يجعل من صاحب الأمل شخصية منضبطة ملتزمة بالأوامر ومجتنبة للنواهي، بحيث تتسحب سلوكياتها على الآخرين، فتكون قدوة حسنة في ذلك؛ فالمجتمع المتقدم والراقي والناهض هو مجتمع موجد لمثل هذه الشخصيات المنضبطة.

5. الصيام هو سبيل إلى الصحة وقوة الجسد وهذا ما ثبت طبيياً، إذ إن الصيام يمنح أعضاء الجسد قسطاً من الراحة وهذا له انعكاس جيد على صحة الإنسان، وهذا ما يدفع بعض الأطباء إلى أن ينصحوا مرضاهم بالصيام أو تقليل نسبة الطعام حتى يتخلصوا من بعض الأمراض النازلة بهم⁽³⁾، فالخضوع للعادة وتلبية رغبات النفس واستسلامها لشهواتها هي التي تؤدي إلى الضعف وتغلب باعث الشهوة على باعث العقل والضمير، والصيام يأمر بالضبط وتفوق الإرادة وتهيئة النفس لمواجهة شهواتها، فيجعل من نفسه رقيباً يقظاً عليها⁽⁴⁾، وهذا ما يرشد إليه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحدٌ أو قاتله فليقل إنني صائم إنني صائم)⁽⁵⁾.

(1) أبو زريق، ناصر أحمد، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عمان، دار البشر، ط1، 2002، ص51.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب: من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم، ج1، حديث رقم 1903، ص331.

(3) أبو زريق، ناصر أحمد، أصول التربية الإسلامية، ص51.

(4) شديد، محمد، منهج القرآن في التربية، ص231.

(5) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصوم، باب: فضل الصيام، ج4، حديث رقم 1151، ص33.

وعند إدراك صاحب الأمل لذلك العطاء الجزيل، يعطيه دفعة قوية باعثة على العمل، والنهوض وعدم الركون إلى الكسل والراحة، بل يبذل المزيد من العطاء والجهود الجبارة الناهضة بالأمة، فهو في تيقنه بالقوة التي سيستمدّها من صيامه تجعل منه إنساناً بانياً معمّراً متقدماً في أفكاره وسلوكه لا يرضى بالدون، إنساناً طموحاً ذا إرادة قوية وهمّة عالية. وعندما يدرك أن في صيامه مانعاً يحول دون ارتكاب الرذائل، لعلمه أن صيامه هو الله تعالى وسيلقى الأجر عليه يدفعه ذلك إلى أن يضبط نفسه ويسيطر عليها بعقله وضميره فلا يدع مجالاً لشهواته أن تتحكم بنفسه، فالحصول على الشيء أو الرغبة فيه يحتاج إلى تلك الشخصية القوية المسيطرة على نفسها.

6. الاستبشار بالأجر العظيم للصائمين: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا دخل رمضان فتحت أبواب السماء وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين) (1).

عندما يمعن المسلم النظر العميق في هذا الحديث الشريف، فيدرك عظيم فضل الله تعالى وكرمه ورحمته به، تشرق في نفسه بارقة من الأمل والتفاؤل والرجاء، فيتسابق لأعمال الخير، ويعاهد نفسه بعدم العصيان، وأن يتخلق بالأخلاق الفاضلة، وأن ينهض بالمجتمع ويعمره، فتحقيق الأمل المنشود يحتاج إلى شخصية متفائلة عاملة، مخططة، منظمة، متحلية بالأخلاق الحسنة والفضائل.

المطلب الثالث: الزكاة وأثرها في بعث الأمل في النفوس:

إن فريضة الزكاة ليست مجرد أمر لحل مشكلة الفقر فحسب إنما هي منهاج تربوي متكامل، وعلاج عملي أصيل لضعف النفس وتطهيرها من داء الشح والأثرة وعبادة المال (2). كيف يكون ذلك؟

- عندما يعلم المسلم أنه مستخلف على هذا المال ينفق منه في حدود الشرع فيقرأ ذلك في

قوله تعالى: ﴿ **ءَامِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ ۖ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا مِمَّ**

أَجْرِكُمْ ﴾ (الحديد: ٧) ويعلم بجزيل ثواب الله تعالى.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب: هل يقال: رمضان أو شهر رمضان، ج1، حديث رقم 1899، ص330.

(2) شديد، محمد منهج القرآن في التربية، ص233.

- وعندما يعلم أن أداءه لفريضة الزكاة فيه تطهير وتزكية لنفسه فيقرأ ذلك في قوله تعالى:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ (التوبة: 103) (1).

- وعندما يعلم أن أداء فريضة الزكاة له أثر كبير في ملء النفس المؤمنة بالرضا والسعادة، بإعطائه الآخرين من مال الله، فهو بذلك يدخل السرور إلى قلوبهم ويستشعر برضاه عن نفسه ويدرك أنه بعمله الصالح قد اقترب من الصورة المثالية للمؤمن التقي المستخلف في الأرض (2).

الزكاة وغيرها من الصدقات هي عطاء مجسد، يتجلى فيه قمة النضج النفسي عند المسلم، لأن المسلم الناضج نفسياً هو المسلم المعطاء، وهو الذي يتحلى بالأخلاق الفاضلة الناهضة بالمجتمع (3).

فإيمان المزكي بأن الله عز وجل سيعوضه عما أنفقه يبعث في نفسه الأمل؛ فهو لن يخسر بإخراج زكاة أمواله، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ ﴾ (سبا: 39).

وإيمانه بالثواب العظيم للمنفق قال تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَكْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: 261) يبعث في نفسه الأمل والارتياح ويدفعه ذلك إلى الجد والمثابرة فقلن يضيّع الله عز وجل جهداً مبدولاً خالصاً لوجهه الكريم.

(1) أنظر: شديد، محمد منهج القرآن في التربية، ص 234-237.

(2) أنظر: الشريف، محمد كمال، سكينه الإيمان، ص 259.

(3) المرجع نفسه، ص 257.

هذه هي الشخصية التي تتربع على رصيد كبير من الأمل، شخصية تتميز بعطائها وسخائها وكرمها، ببذلها الجهود الجبارة الساعية للنهوض بأفراد مجتمعها والارتقاء بهم نحو العلياء، شخصية تعطي ما عندها من ذلك البريق ليتجسد في شخصيات أخرى فيسمو بها وتكن معول عطاء وبذل، فهي تسعى لتعليم غيرها كيف تحمل في ثناياها تلك الشعلة، وتتنظر بنظرة يعلوها التفاؤل والاستبشار بالخير، عندما تعلم الأجر والثواب الذي أعده الله تعالى للمحسنين والملتزمين، الذين يعطون ولا يمنعون، وينفقون فلا يقتصرون، ولا يسرفون، إنما هم كما وصفتهم الآية الكريمة ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ (الفرقان: ٦٧).

من هذه الشخصية نبني مجتمعاً متماسكاً متعاضداً يبذل النفيس والغالي بنفس راضية تعلوها السعادة والراحة لإدخالها السرور والسعادة على قلوب غيرها، وهذا هو حال صاحب الأمل.

المطلب الرابع: الحج وأثره في بعث الأمل في النفوس:

لعبادة الحج أثرٌ واضحٌ في إمداد النفس بالأمل، ويظهر ذلك من خلال ما يأتي:

1. عندما يدرك المسلم أن أداءه لفريضة الحج هو كفارة للذنوب، فيقرأ ذلك في قول المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم: (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه) (1).

فهو يضع ذنوبه عن كاهله ليستأنف حياة نظيفة لا يدنسها بشيء من الخطايا، فتسمو نفسه إلى درجات في سلم الكمال، ويعاهد نفسه ألا يعود لمثل هذه الخطايا، وأن يقبل على الله عز وجل بقلب طاهر نظيف لا يخرج منه إلا ما هو طيب (2).

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب: في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، ج5، حديث رقم 1350، ص125.

(2) عمر، عمر أحمد، منهج التربية في القرآن والسنة، ص125.

مثل هذا العطاء الجزيل والكرم السابغ والفضل العظيم يعطي المسلم الأمل والتفاؤل والاستبشار بالخير والثقة بالنفس، فيقبل على الحياة بنظرة جديدة مليئة بالأعمال الصالحة وبهمة عالية وعزيمة لا تفتن.

2. عندما يدرك أن فريضة الحج هي رقابة صارمة على سلوكه ومحاسبة لتصرفاته فلا

يصدر عنه إلا ما كان موافقاً للشرع⁽¹⁾. قال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ رَزَقَ فِيهِنَّ

لُحْجًا فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَسَلِّمُهُ اللَّهُ وَكَرَّوُوا فَإِنَّ

خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴿البقرة: ١٩٧﴾.

فهذه من شأنها أن تجعل المسلم يضبط نفسه ويسيطر عليها، فلا يسمح لها بالتجاوز والعصيان، إنما يوجهها نحو الخير، فتكون بذلك خلية حية منتجة تعم فائدتها على الجميع وهذا ما عليه صاحب الأمل تلك الشخصية البانية المعمرة الذي لا يصدر منها إلا الخير للجميع، وعندما يعلم المسلم أن الله عز وجل سيثيبه على ما يفعله من خير يعطيه أملاً وتفاؤلاً وهذا يدفعه إلى مزيد من الأعمال الصالحة.

3. يُعتبر الحج إنجازاً هاماً في حياة المسلم؛ لما فيه من المشقة والنفقة الكبيرة، والإنجاز مطلب نفسي هام في حياة المسلم؛ إذ عندما يحقق المسلم الكثير من الإنجازات فإن ذلك يجعل حياته ذات معنى؛ فهو يوجه طاقاته وقدراته نحو عمل صالح تعم فائدته عليه وعلى غيره، فيرضى عن نفسه وتعلوه السعادة والاطمئنان والراحة النفسية، وهذا الرضا يحقق له العافية والتوازن النفسي ويحميه من الأمراض النفسية بعكس ما لو كان ساخطاً عليها وكارهاً لها فإن ذلك يؤدي بها إلى الاكتئاب والقلق⁽²⁾.

وهذا ما يساند ويشجع صاحب الأمل على أن يسير على الطريق الذي ارتضاه لنفسه؛ فهو يوقن أن سعادته وراحته واطمئنانه هو في تحقيق هدفه الذي يسعى إليه، فهو بذلك ينظر

(1) اسماعيل، شعبان، محمد، العبادة في الإسلام، ص 133.

(2) أنظر: الشريف، محمد كمال، سكينة الإيمان، ص 324، 325.

إلى نفسه نظرة تقدير واحترام فيحاول قدر المستطاع أن يحافظ على تلك النظرة والمكانة لنفسه فيبقى في دربه ليوصله إلى القمة. ثم إن الرضى من النفس والتمتع بالصحة النفسية الجيدة تعطي المسلم أملاً ونظرة متفائلة ومستبشرة بالخير فتدفعه نحو المضي قدماً ليحقق انجازات عظيمة مثمرة.

4. يدرك المسلم من خلال سعيه بين الصفا والمروة أن الله معينه وليس بخاذله وأنه لا يتخلى عن عبادته، فيعطيه ذلك أملاً وتفاؤلاً فيسعى جاهداً ليحقق أهدافه، فلا ييأس ولا يقنط حتى ولو وجد جداراً منيعاً يحول بينه وبين مسعاه ومبتغاه؛ لأنه يوقن بأن الله معه وأن عمله وجهده لن يضيع وسيثمر، كما فعلت هاجر وهي تسعى بين الصفا والمروة بحثاً عن الماء لولدها إسماعيل سبع مرات حتى اهتدت إلى مبعثها.

5. إن أداء فريضة الحج يؤدي إلى ترسيخ الإيمان، وذلك بالطواف بأول بيت وضع لعبادة الله تعالى في الأرض⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: 96).

كما ويربي في النفس التصميم على أي عمل يريد أن يحققه، مستشفاً ذلك من تصميم إبراهيم عليه السلام على ذبح ابنه إسماعيل امتثالاً لأمر ربه، ورضا الابن بذلك، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا بَنِئِا أَمْعَلْ مَا تُؤْمِرُ مَسْجِدِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْعَبِيدِ﴾ (الصافات: 102)

ويغرس الحج في النفس الفضائل والأخلاق الكريمة، متذكراً بذلك سيرة الرسول الكريم حينما يزور البقاع التي نشأ فيها عليه الصلاة والسلام، فيعاهد نفسه أن يتخلق بأخلاقه ويتصف بفضائله، ويتذكر ما عاناه في سبيل الدعوة إلى الإسلام، فيتمسك بهذا الدين ويصبح داعية له، يضحى بنفسه لنصرته⁽²⁾.

(1) أنظر: عمر، عمر أحمد، منهج التربية في القرآن والسنة، ص125.

(2) أنظر: المرجع نفسه، ص125، 126.

وهذا يزيد من إيمان صاحب الأمل بنفسه وبقدراته ويعطيه التصميم على تحقيق أهدافه والمضي قدماً نحو الأمام.

6. في الحج دعوة وتربية للنفس على التسامح والصبر على الأذى، فبالتالي يسامح من يسيء له ويصبر على أذاه، فيكون بذلك قدوة حسنة لبناء مجتمع قوي متماسك سليم⁽¹⁾.
وعندما يدرك المسلم أن صبره على الأذى، وثباته في مواجهة المحن والصعاب له الأجر والثواب عند الله تعالى، وأنه بذلك الموقف يكون قدوة حسنة لغيره، يعطيه الأمل والتفاؤل، فيدفعه إلى التمسك بتلك الأخلاق الحسنة والفضائل.

المطلب الخامس: العبادات الأخرى وأثرها في بعث الأمل في النفوس:

العبادات لا تقتصر فقط على التي فرضها الله تعالى علينا، إنما تمتد لتشمل كل قول أو فعل يحبه الله ويرضاه، سواء كان ظاهراً أم باطناً، ومن ذلك ما يكون مصدراً وباعثاً على الأمل.

وفيما يلي بيان لذلك:

أولاً: الدعاء:

خلق الإنسان ضعيفاً لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله، وبالتالي فانه تعالى يتولاه بعنايته ورعايته، لذلك لم يتركه لنفسه يضل في بيداء الكون الفسيح، فطلب منه أن يلجأ إليه عند الحاجة، وأن يستعين به وحده ليصرف عنه سوءه وليدفع عنه نوازل الدهر⁽²⁾. قال

تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ ﴾ (غافر: ٦٠) وقال: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي

فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (البقرة:

١٨٦).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله تعالى إياها، أو صرف عنه من سوء مثلها، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم) فقال رجل

(1) أنظر: أبو زريق، ناصر أحمد، أصول التربية الإسلامية وإساليبها، ص 52.

(2) إسماعيل، شعبان محمد، العبادات في الإسلام، ص 159.

من القوم: إذا نكث. قال: (الله أكثر) (1)، وقوله أيضاً عليه الصلاة والسلام: (إن الله حييٌ كريم، يستحي إذا رفع الرجل يديه أن يردهما صفراً خائبين) (2)، وقوله أيضاً: (الدعاء مخ العبادة) (3)، أي أنه في القمة إذ له مكانة عظيمة وهو سيد العبادات وأقربها وأحبها إلى الله وهو مفتاح الرحمة وهو كنز حقيقي.

فالدعاء تنمية لقوة الإحساس الروحي، وتوثيق للصلة الدائمة بالله والارتباط به والاعتماد عليه، ليحصل الاستغناء الذاتي بالله عمّن سواه، فيلجأ إليه المسلم في محنه وشدائده، وعند إساءته ومعصيته، فهو واثق أنه يقبل على ربّ رؤوف رحيم، يمدّه بالعون ويقبل منه التوبة، فتطمئن نفسه وتزداد ثقته بقدرته على مواصلة حياة الصلاح، وتجاوز المحن والشدائد (4).

وبهذا الاطمئنان والراحة والسكينة والمغفرة يقبل المسلم على حياته بنفس عامرة مليئة بالأمل والرجاء والتفاؤل والنظرة الإيجابية للأمور فيبذل المزيد من الجهود والأعمال الصالحة؛ فهو يؤمن أن الله تعالى معه ولن يخيب رجاءه.

ثانياً: تلاوة القرآن الكريم:

من العبادات التي تكون مصدراً وبعثاً على الأمل الإكثار من تلاوة كتاب الله سبحانه وتعالى لنتأمل النصوص الكريمة:

- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا

وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ كَفْحَةً لَّن تَبُورَ ﴿٣٠﴾ لِيُؤْتِيَهُمُ أَجْرَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ

غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣١﴾ (فاطر: ٢٩ - ٣٠).

(1) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب: انتظار الفرج وغير ذلك، ج9، حديث رقم 3568، ص215.

(2) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب: كرم الله في استجابته دعاء عباده، ج9، حديث رقم 3551، ص205.

(3) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب: الدعاء مخ العبادة، ج9، حديث رقم 3368، ص92.

(4) السبتي، أبو مصطفى، مفهوم العبادة في الإسلام، على شبكة الانترنت: www.balagh.com

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه إلا أنزلت عليه السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه) (1).

- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة، طعمها طيب، وريحها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها) (2).

- وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: (يجيء القرآن يوم القيامة فيقول: يا رب حنة، فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يا رب زده فيلبس حلة الكرامة، ثم يقول: يا رب ارض عنه، فيرضى عنه، فيقال له: اقرأ وارتنق، ويزاد بكل آية حسنة) (3).

- وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: (اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه) (4) وغيرها من الأحاديث.

هذا العطاء الجزيل والثواب العظيم الذي أعدّه الله تعالى لمن يقرأ القرآن ويتدبر آياته حرياً بأن يبعث في نفس المسلم الأمل والرجاء في الفوز برضا الله تعالى والفوز بالجنة التي

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الدعوات، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، ج9، حديث رقم 2699، ص22.

(2) مختصر صحيح مسلم، كتاب فضائل القرآن، باب: مثل من يقرأ القرآن ومن لا يقرؤه، حديث رقم 2104، ص560.

(3) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب: الذي ليس في جوفه قرآن كالبيت الخرب، ج8، حديث رقم 2916، ص117+118.

(4) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل قراءة القرآن، ج3، حديث رقم 804، ص93.

أعدّها لعباده المتقين، فعندما يركز ذهنه على هذه الناحية المشرقة والباقة العطرة يقبل على الطاعات بقلب عامر مليء بالسعادة والاطمئنان والراحة النفسية، قلب لا يجد لليأس مكاناً، فهو موصول بالعزیز الرحيم، فيسعى جاهداً لترجمة ما في هذا القرآن الكريم إلى مثل حي مشرق يضيء بنوره المجتمع الذي يعيش فيه.

ثالثاً: الذكر:

"والذكر عبادة يحبها الله ويغدق على صاحبها الثواب والأجر العظيم وهو عبودية القلب واللسان وهو جلاء القلوب وصقالها، ودواؤها إذا غشيها اعتلالها، يحفظ الله به على المؤمن كل شيء، ويكون عوضاً له عن كل شيء، وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ما لم يغلقه العبد بغفلته، وذكر الله من أعظم أسباب الثبات على الطريق، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيْتَهُمْ فَيُكَلِّمُهُمْ وَأُذَكِّرُوا اللَّهُ كَثِيرًا لَمَلِكُمْ مُقَلِّبُونَ﴾ (الأنفال: ٤٥). إن ذكر الله إتصال بالقاهر القوي الذي لا يغلب، وثقة بالله الذي ينصر حزبه وأوليائه، ولذا لا يُنسى في أحلك المواقف فهو أعظم معين على الثبات^(١).

فذكر الله وتقديسه وتسبيحه من أجل الأعمال، وأفضل الطاعات فهو عبادة الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، كما أنه وظيفة كل كائن في السموات والأرض^(٢)، قال تعالى: ﴿تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (الإسراء: ٤٤).

ومن الآيات الكريمة التي تحت على الذكر والتسبيح:

(١) العفاني، سيد، تثبت أفئدة المؤمنين بذكر مبشرات النصر والتمكين، القاهرة، مكتبة معاذ بن جبل، ط١، 2000، ص470-472.

(٢) إسماعيل، شعبان محمد، العبادة في الإسلام، ص161.

قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ

الْقُلُوبُ ﴾ (الرعد: ٢٨).

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۖ وَسَبِّحُوا بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾

(الأحزاب: ٤١ - ٤٢).

وقوله تعالى: ﴿ أَتَلَّ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقْرَأَ الصَّلَاةَ إِكْرَامًا يُضَاهِي

عَنِ الْقِحْيَانِ وَالْيَدِّ وَالْوَقَارِ ۚ وَذَكَرَ اللَّهَ حَكِيمًا ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (العنكبوت: ٤٥).

فالذكر له فضائل وثمرات كثيرة فهو سبب في زيادة الخير في البيت الذي يذكر فيه

الله. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مثل البيت الذي يذكر الله فيه، والبيت الذي لا يذكر

الله فيه مثل الحي والميت)^(١).

- وهو كفارة المجلس الذي يذكر فيه الكلام الرديء.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من جلس مجلساً كثر فيه لغظه فقال قبل أن يقوم من

مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا غفر له

ما كان في مجلسه ذلك)^(٢).

- وبه يستطيع المسلم أن يكسب ألف حسنة. قال رسول الله: (أيعجز أحدكم أن يكسب كل

يوم ألف حسنة؟ فيسأله سائل من جلسائه: كيف يكسب أحدنا ألف حسنة؟ قال: يسبح

مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة، أو يحط عنه ألف خطيئة)^(٣).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد، ج3، حديث رقم 779، ص70.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب: ما يقول إذا قام من مجلسه ذلك، ج9، حديث رقم 3429، ص131.

(٣) مختصر صحيح مسلم، كتاب الذكر، باب: فيمن سبح مائة تسبيحة، حديث رقم 1909، ص503.

- ويقول الرسول الكريم: (كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان

إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم) (1).

- ويقول أيضاً عليه الصلاة والسلام: (لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة،

وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده) (2).

- وعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله: (ألا أدلك على كلمة من كنوز الجنة،

قلت: بلى فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله) (3).

وغيرها من الأحاديث النبوية الحاتة على الذكر وأهميته ومنزلته الجليلة.

عبادة تأسر قلب المسلم بالخير الوفير غير المنقطع، عبادة تغدق على صاحبها السكينة

والراحة والطمأنينة والسعادة، فينشرح صدره ويتفاعل، ويعمر قلبه بالأمل؛ ذلك ان السكينة

والراحة والطمأنينة والسعادة من مقتضيات الأمل التي تمد صاحبه بقوة وعزيمة وهمة عالية

ويبقى على صلة بالله تعالى يعينه ويأخذ بيده، وهذا يدفعه إلى الصمود والثبات على مبدئه

وطريقه، فيحقق أهدافه، وينهض بمجتمعه بأفكاره وأهدافه التي يحولها إلى واقع معيش مليء

بالخير والعطاء.

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الدعوات، باب: فضل التهليل والتسبيح والدعاء، ج9، حديث رقم 2694، ص20.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الدعوات، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، ج9، حديث رقم 2700، ص23.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الدعوات، باب: استجاب خفض الصوت بالذكر، ج9، حديث رقم 2704، ص28.

المبحث الثالث

القلوة الحسنة

مهما يكن لدى المرء من قدرات ومواهب وأساليب يستثمرها لتربية ذاته وتركيتها، فإنه لا يستغني عن وجود قدوة من بني جنسه تكون له نبراساً في سيره إلى ربه. فعليه أن يحرص على اختيار شخص استجمع قدراً كبيراً من الفضل والتقوى يكون له قدوة في أمور الخير والهدى، ويرجع إليه في السراء والضراء مستفيداً من رأيه ومشورته فيما يلم به من أحداث ومواقف. فالقدوة تأثير كبير في تكوين شخصية الفرد وصلها حيث إن الإنسان ميال بطبعه إلى التقليد والمحاكاة⁽¹⁾.

وقد أدرك مربونا هذه الطريقة في التربية وأوصوا بالاعتماد عليها؛ فصلاح الطفل مرهون بصلاح المربي، وفي هذا قال عتبة بن أبي سفيان لمعلم أولاده: "ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك؛ فإن عيونهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما صنعت، والقبيح عندهم ما تركت. علمهم كتاب الله ولا تملهم فيه فيتركوه، ولا تتركهم فيه فيهجروه، وروهم من الحديث أشرفه، ومن الشعر أعفه، ولا تقلهم من علم إلى آخر حتى يحكموه، فإن ازدحام الكلام في السمع مشغلة في الفهم، وعلمهم سير الحكماء وأخلاق الأدباء، وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء قبل معرفة الداء"⁽²⁾.

فالقدوة واقع حي ملموس يدعو إلى الامتثال بالعمل قبل القول، ولذا فالتربية بالقدوة أبلغ وأكثر تأثيراً من التربية بالمقال، فلسان الحال أبلغ من لسان المقال⁽³⁾.

إن صلاح المؤمن هو أبلغ خطبة تدعو الناس إلى الإيمان، وخلق الفاضل هو السحر الذي يجذب إليه الأفتدة ويجمع عليه القلوب، فبعمله وفكره يهدي إلى الحق؛ لأنه مثل حي

(1) أوجي، هارون، الأسوة الحسنة ودورها في التربية الناجحة، على شبكة الإنترنت 2008/4/11:

www.hiramagazine.com.

(2) سحنون، محمد، آداب المعلمين، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، تونس، مطبعة المنار، ط2، 1972، ص 48.

(3) انظر: النشمي، عجيل جاسم، معالم في التربية، الكويت، مكتبة المنار الإسلامية، ط1، 1980، ص175.

متحرك للمبادئ التي يعتقها⁽¹⁾. وفي هذا يقول مالك بن دينار: "إِنَّ الْعَالَمَ إِذَا لَمْ يَعْمَلْ بِعِلْمِهِ زَلَّتْ مَوْعِظَتُهُ عَنِ الْقُلُوبِ كَمَا تَزُلُّ الْقَطْرَةُ عَنِ الصَّخَا"⁽²⁾. فتخلق الداعي بما يدعو إليه أقرب إلى نفوس السامعين وأدعى إلى الاستجابة⁽³⁾.

فمن السهل علينا أن نتخيل منهجاً متيناً سهلاً لكل ما نريد وما نرغب إلى تحقيقه، لكن هذا المنهج يبقى حبراً على ورق معلقاً في الفضاء ما لم يتحول إلى حقيقة واقعة تتحرك في واقع الأرض، ما لم يتحول إلى بشر يترجم بسلوكه وتصرفاته ومشاعره وأفكاره مبادئ المنهج ومعانيه. عندئذ فقط يتحول المنهج إلى حقيقة، يتحول إلى حركة. لذلك لا بد لنا من قدوة حسنة نحتذي بحدوها، ونستنير بمعارفها، ونستفيد من تجاربها⁽⁴⁾.

ووجود القدوة الحسنة الباعثة على الأمل هي ما يحتاجه المسلم اليوم؛ ليواجه واقعاً مريراً قد أحاط به من جميع الجهات والتفّ عليه كما تلتف الأفعى على فريستها، هذه القدوة تكون له بمثابة الدرع المتين والحصن المنيع من تسلل اليأس والإحباط إلى نفسه؛ فالإنسان بحاجة إلى من يسانده ويعضده ويقف إلى جانبه ويأخذ بيده ويرشده إلى منابع الخير.

قدوة تجسد العمل الإيجابي المفعم بالحيوية والنشاط والقادرة على إحداث التغيير والنهوض بالمجتمع والرقي به، وهو الناتج عن تفكير عميق وواع وفعال وقادر على إحداث التأثير في نفسها أولاً وفي غيرها ثانياً، فهي تسيطر على سلوكياتها وتضبطها وتوجهها الوجهة النافعة متوكلة بذلك على الله عز وجل مستعينة به في كل الأوقات، قال تعالى: ﴿فَإِنَّا

(1) الغزالي، محمد: القدوة الحسنة على شبكة الإنترنت 2004/4/10: www.islamweb.net.

(2) جرار، مأمون فريز، صور ومواقف من حياة الصالحين، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1995، ج9، ص56.

(3) عيسى، كمال محمد، خصائص مدرسة النبوة، جدة، دار الشروق، ط1، 1982، ص132.

(4) انظر: قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية، بيروت، دار الشروق، ط4، 1985، ج1، ص180.

عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١﴾ (آل عمران: 159)، فلا تفكر في الأمور السقيمة

وتركن إليها بل تنتظر بإيجابية نحو الحياة لأنها توقن بأن التفكير السلبي لن يعود عليها بالخير هي ومجتمعها⁽¹⁾.

قدوة لديها هدف وغاية تسعى من أجل تحقيقهما لذلك تتميز بأنها صاحبة همة عالية لا تفتقر ولا تمل ولا تقيدها قيود حتى تحقق ما تريد، وهي تعلم في قرارة نفسها أن الطريق ليس مكللاً بالورود والرياحين بل هو محفوف بالمخاطر والمكاره، لذلك لا بد من المخاطرة بالوقت والنفس والمال والجهد وسلوك كل طريق وقرع كل باب حتى تصل إلى مبتغائها⁽²⁾، قال ابن قتيبة: نو الهمة إن حُطَّ فنفسه تأبى إلا علواً، كالشعلة من النار يصوبها صاحبها وتأبى إلا ارتفاعاً⁽³⁾.

شخصية تتطلع إلى معالي الأمور وتبذل أقصى ما في وسعها، لتحقيق هدفها المرجو وغايتها المأمولة. متفائلة فيما ترنو إليه، لا وجود لليأس والنشأوم في تفكيرها وسلوكياتها. بل تجعل من فشلها خطوة نحو الأمام.

قدوة تتميز بتركيزها على إيجاد الحل لأي مشكلة تواجهها؛ لأنها توقن بأن هناك حلاً لكل مشكلة، بالإضافة إلى أنها تستفيد من التحديات والصعوبات التي تواجهها محولة إياها إلى مهارات وخبرات قوية وتجارب تستند إليها، ثم إنها لا تدع هذه التحديات والصعوبات تؤثر على أركان حياتها (الركن الصحي، والعائلي، والمهني والاجتماعي وتمادي) بل على العكس

(1) انظر: شحادة، عبد الله، سعادتنا وهمومنا من صنع أفكارنا، ص 69.

(2) انظر: فؤاد إيهاب، إيقاظ الهمم، الإسكندرية- مصر، دار الدعوة، ط1، 2008، ص 20، 27، 28.

(3) الدينوري، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، عيون الأخبار، دم، المؤسسة المصرية العالمية للتأليف والترجمة، ط1، 1963، ج1، ص 231.

تكون أقوى في مواجهة تلك الصعوبات ولا تعطيتها قوة أكثر مما تستحق، فتعيش حياتها

باتزان تام وتركز على الحل في الوقت نفسه؛ فهي تنظر بتفاؤل، وبوجود مخرج لها⁽¹⁾.

قدوة تتميز بثباتها على المبدأ، فهي تؤمن بالفكرة التي تدعو إليها، ووثيقة من نفسها،

تواجه المخاطر بثبات، وصبر، موقنة بأن فكرها سيتلقى قبولاً من الغير، فما من ظلمة تدوم

إلا ويلبها فجر مشرق حامل للخير وباعث على الأمل.

قدوة تتميز بحسن الخلق، من الرفق بالناس واللين معهم وحسن العشرة. قال تعالى:

﴿ وَلَا تَسْتَوِي لِحَسَنَةٍ وَلَا لِسَيِّئَةٍ أَدْفَعُ بِأَلْفِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَدٌّ ۗ ﴾

حَبِيبٌ ﴿٢١﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُرْوَجَةٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ (فصلت: ٢٤ - ٣٥) ،

وقال رسول الله ﷺ: (إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف

وما لا يعطي على ما سواه)⁽²⁾، فبالرفق والتيسير واللين تفتح مغاليق القلوب ويدعى الناس إلى

الحق لا بالعنف والشدة والزجر، قدوة تعلو وجهها الابتسامة وبطوح البشر من محيائها، قال

الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام: (لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك

بوجه طلق)⁽³⁾، قدوة تضبط نفسها عند الغضب وتسيطر على المواقف، وتدرأ الفتن

والخصومات، وتحسن الوصول إلى الهدف وتحظى برضا الله والناس، قال رسول الله ﷺ:

(ليس الشديد بالصرعة، وإنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب)⁽⁴⁾، قدوة مطبقة لمبدأ

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بروية وحكمة، فتصدى للمنكر فتزيله، وتتصح المسلمون

فالدین النصیحة، قال رسول الله ﷺ: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع

(1) انظر: الفقي، إبراهيم، قوة التفكير، القاهرة، إيداع للإعلام والنشر، ط1، 2008، ص252.

(2) مختصر صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب: إن الله يحب الرفق، حديث رقم 1785، ص474.

(3) مختصر صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب: في تعاهد الجيران بالبر، حديث رقم 1782، ص474.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب: الحذر من الغضب، حديث رقم 6111، ص1141.

فبلسانه فإن لم يستطع فبقلمه وذلك أضعف الإيمان⁽¹⁾، فتتهى كل من سلك طريق اليأس واعتلته النظرة التشاؤمية للأحداث، فاليأس هو عدم الإيمان بقدره الله مطلقاً، إذ إن من أسس الإيمان أن نؤمن بالقدره المطلقة لله تعالى، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنَ رِزْقِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنَ رِزْقِ اللَّهِ إِلَّا الْكُفُورُونَ﴾ (يوسف: ٨٧) قدوة تدخل السرور على القلوب، فتحرص على أن تنتشر المسرة في الربوع التي تحلها، وتشيع بين أهلها الأناج والمودة والغبطة، كالكلمة الطيبة والبسمة الودود، والمواساة المسلية وغيرها مما يفتح القلوب على المحبة ويجعلها عامرة بالبشر والتفاؤل⁽²⁾.

وغيرها من الأخلاق الحسنة التي تجعل من المجتمع الإسلامي مجتمعاً متماسكاً متيناً راقياً إنسانياً مسؤولاً منضبطاً تسود فيه القيم الإنسانية العليا، والود والابتسام بين أفراد وجود القدوة الحسنة المتحلية بتلك الفضائل قولاً وعملاً.

إن نظرة عميقة ودقيقة وواعية لوجود مثل هذه القدوة الحسنة، مما يبعث الأمل في النفس والتفاؤل وانسراح الصدر فهي جالبة للخير وساعية لنهوض الأمة بتحقيق هدفها ومبتغاها وثباتها على المبدأ إيماناً منها بدورها في تربية نشء مسلم قوي يقود هذه الأمة إلى العليا كسابق عهدا، فتحلها بالفضائل والأخلاق الحسنة مدعاة للإقبال عليها والتأسي بها والنهل منها. وبالتالي تسهم في تكوين مجتمع راقٍ متقدم ومتطور.

مثال حي يثير في نفس البصير العاقل قدراً كبيراً من الإعجاب والتقدير والمحبة فيميل إلى الخير، ويحاول تقليد ما استحسنته وأعجب به، بما تولد لديه من حوافز قوية تحفز له لأن

(1) مختصر صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: من الإيمان تغيير المنكر باليد واللسان والقلب، حديث رقم 34، ص 16.

(2) انظر: الهاشمي، محمد علي، شخصية المسلم، الرياض، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط 1، 2004، ص 178، 179، 190، 195، 235، 263، 264.

يعمل مثله. قدوة حسنة متحلية بالفضائل العالية تعطيه قناعة بأن بلوغ هذه الفضائل من الأمور الممكنة، التي هي في متناول القدرات الإنسانية، فشاهد الحال أقوى من شاهد المقال⁽¹⁾.

فالقدوة الصالحة في بعث الأمل من أكبر العوامل المؤثرة في القلوب والنفوس، فهي مثل أعلى ترنو إليه الأعين، وتتجذب لجماله النفوس، ومن أعظم وسائل التربية ترسيخاً وتأثيراً⁽²⁾، فعندما يرى المسلم أمامه قدوة حسنة لا تيأس ولا تحبط بل تسير بخطوات ثابتة راسخة لتحقيق هدفها مستبشرة بالخير ومتفائلة، توقن بأن ما بعد الضيق إلا الفرج، وإن مع العسر يسراً، تصبر وتثابر، تخطط وتعمل، ولا تقتر عزميتها، تجعل من الصعوبات والتحديات تجارب وخبرات تستفيد منها، واثقة من النجاح، متوكلة حق التوكل على القوي العزيز، فإنه سيندفع إلى تقليدها ومحاكاتها والسير على نهجها لينهض بمجتمعه ويقوده نحو الريادة.

ولنا في رسول الله أسوة حسنة، ننهل من معينه ونسير على خطاه، ونجدد عهدنا معه، فهو القدوة المتجددة على مر الأجيال، والمتجددة في واقع الناس، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرٍ﴾ (الأحزاب: ٢١) ، فمن كان يرجو الله ومثوبته لا بد أن يسير على منهج رسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه ويحتذي حذوه، فهو الذي ثبت على دعوته بالرغم مما لاقاه من صنوف الأذى والصعوبات الجمة، لكنه عليه الصلاة والسلام صمد وثبت وصبر وأبى إلا أن يتم ما بدأه، آملاً ومتفائلاً من التمكين لدين الله عز وجل، معلماً المسلمين أن بالتوكل على الله والعزيمة والهمة العالية،

(1) انظر: البلاغي، عبد الحميد، القدوة الحسنة، على شبكة الإنترنت، 2002/8/6:

www.islammemo.com. أهمية القدوة الحسنة في تبليغ الدعوة، على شبكة الإنترنت، 2010/4/1:

www.balagh.com

(2) علوان، عبد الله، تربية الأولاد في الإسلام، بيروت، دار السلام، ط1، 1978، ج2، ص653، 956.

والمثابرة، والعمل الدؤوب، والتحلي بالفضائل والقيم العليا، والصبر، والنظرة المفعمة بالأمل والتفاؤل لا بد أن يحققوا ما يريدون.

فنتذكر موقفه عليه الصلاة والسلام مع عمه أبي طالب حينما ظن أن عمه مسلمه وخائله ومتمخل عن نصرته، فقال قولته الشهيرة: "والله يا عم، لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه⁽¹⁾.

ثبات على المبدأ، ونفس موقنة بأن الله عز وجل سيمكّن هذا الدين وسينتشر في بقاع المعمورة، ونظرة مليئة بالأمل والتفاؤل، موقف يمنح النفس القوة والثبات على المبدأ، ومواجهة أية عقبات والتصدي لها، فصاحب الأمل هذا هو حاله.

وننتذكر موقفه عليه الصلاة والسلام عندما ذهب إلى الطائف يدعوهم إلى الإسلام فلم يجد إلا الصد والإعراض والأذى منهم، ودعا دعاءه المعروف (اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي وهواني على الناس... إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي) فنزل جبريل عليه وناداه وقال له إن الله قد سمع قول قومك لك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال له: إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال النبي الكريم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً⁽²⁾.

نفس أملة ومتفائلة بوجود جيل جديد موحد لله تعالى. موقف يعلمنا أن نتفاعل ونستبشر خيراً، وأن نصبر على الأذى الذي قد يصيبنا في دعوتنا لفكرة أو منهج معين. نظرة إيجابية للأمر وليست سلبية وتشاؤمية وهذا هو حال المسلم المتفائل.

وما هذا إلا غيض من فيض، فسيرته العطرة منهج عملي يدعو إلى الاقتداء به حتى يرث الله تعالى الأرض ومن عليها. قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْمَلِئِينَ ﴾ (الأنبياء:

١٠٧)، وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سبا: ٢٨).

(1) كفوري، صفي الرحمن، الرحيق المختوم، ص 93.

(2) الصلاحي، علي محمد، السيرة النبوية، ج 1، ص 284، 285.

فالحياة من دون قدوة حسنة داعية إلى الأمل والتفاؤل والاستبشار بالخير، حياة خالية من المؤثرات الإيجابية التي تدعو إلى النهوض والرقى وصعود سلم الريادة، فوجود القدوة المجسدة للقيم والمبادئ والمثل العليا والطموح والرغبة والأمل هي بمثابة النهر الذي يفيض بمائه على الزرع فيثمر فيأكل منه الإنسان والحيوان. فكأنها تحيي في النفوس الصفات الإيجابية التي في حالة كمون، وبحاجة إلى من يخرجها من جديد ويطبّقها على أرض الواقع، ويبني حضارة زاهية وراقية ملأى بالقيم والمثل والطموح والآمال.

المبحث الرابع الامتبار بأحوال الآخرين

إنّ نظرة فاحصة ملؤها الدقة والعمق والإدراك للناجحين والعظماء ممن واجهوا الصعوبات، والشدائد والمحن، وكانت لديهم رغبة شديدة وحافزاً قوياً في التخلص منها حريةً بأن تبعث الأمل في النفس وتحببها من جديد وتتنظر إلى الحياة بنظرة إيجابية مفعمة بالنشاط والحيوية.

هؤلاء هم من وجدوا في كل صعوبة فرصة للتقدم، هم من قهروا محنهم وشدائدهم بتفائلهم وأملهم ورجائهم واستبشارهم الخير، فصبروا وثبتوا وواجهوا ما كان معترضاً طريقهم في نشر مبادئهم وتحقيق أهدافهم، فوصلوا إلى غايتهم.

"إنّ التفاؤل لا غنى عنه لمن أراد أن يخطو للأمام ويصعد القمم، إنه السلاح الذي يقهر الخوف واليأس في النفس، إنه الصخرة التي يتحطم عليها كل صعب متشدد، إنه الوسيلة التي لا عوض عنها لمن أراد مصارعة المستحيل والتغلب عليه. ومن فقد التفاؤل والأمل كان كمن دخل معركته بلا سلاح يقاتل به عدوه، بل إنه فقد القدرة على القتال والحافز على الاستبسال؛ فقد دخل معركة خاسرة لا محالة"⁽¹⁾.

لا بد أن يعتبر المسلم بأحوال غيره ممن جاوزوا المحن والشدائد وثبتوا وصبروا، بل إنهم نظروا إليها على أنها تجارب صقلت خبراتهم في الحياة، ممن كانوا على يقين تام بقدره الله عز وجل بزوال هذه المحن وانجلاتها فما بعد الضيق إلا الفرج، ممن كانوا أصحاب همة عالية وعزيمة قوية لا يتطرق إليها ضعف أو وهن، ممن كانوا يحدثون التغيير في الأحداث السلبية فيفكرون في طرق للتخلص منها وتغيير مسارها نحو الاتجاه الإيجابي، مبشرين غير

(1) عبده، محمد، التفاؤل ... من أخلاق الكبار على شبكة الإنترنت.

مفكرين، ميسرين غير معسرين، متفائلين غير متسائمين، تحمل جعبتهم مدداً ضخماً من الأمل والرجاء. وهم يصدق عليهم قول الرسول ﷺ: (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى)⁽¹⁾، فهم إيجابيون مثابرون عاملون مغيرون لأنفسهم ولمن حولهم للأفضل.

فينظر في عالم مجاهد مناضل ملأ الدنيا وشغل الناس في حياته وبعد مماته، كان قوياً في علمه وتعليمه، قوياً في دعوته وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، قوياً في جهاده، لم تثنه المحن التي تعرض لها عن دعوته بل تقبلها بنفس راضية وهمة عالية وإرادة قوية لا تقهر. إنه العالم والإمام ابن تيمية.

فقد عانى ابن تيمية في حياته من الحسد الذي سبب له المحن المتتابة، فكل ذي نعمة محسود، والحسد يكون على قدر النعمة، فقد أبهر الناس بعلمه ومنطقه ولفت أنظارهم بجرأته في الحق وقوته في الجهر به، فقد عاش في زمن سيطر فيه على العقول والقلوب مذهبية ضيقة، جعلت المسلمين شيعاً متباعدة متناحرة، كما سيطر عليها الفكر الصوفي بما دخله من خلل في السلوك وانحراف في المعتقد لدى بعض دعائه وأتباعه، كما تسلل إلى عقول كثير من أهل العلم الفكر اليوناني والفلسفة اليونانية، فما كان منه إلا التصدي لها وإظهار الحق بمنطقه السليم والذي على إثره وقع في محنة طويلة امتدت سبع سنوات عانى فيها صنوف الظلم والتعسف والتهمر والحبس، لكنه رحمه الله كان ذا نفسية عجيبة، فلم يضق بالسجن والظلم الذي لحق به بل رحب به، وقال: إن فيه خيراً ومصالحةً كبيرة، وقد روى عنه تلميذه ابن القيم أنه قال: ما يصنع أعدائي بي؟ إن جنتي في قلبي، وبستانتي في صدري، أين رحمت فهي معي لا

(1) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة، باب: الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، حديث رقم 2461، ج7، ص165، 166.

تفارقني. إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة. وقال: المحبوس من حُبس قلبه عن ربه، والمأسور من أسره هواه⁽¹⁾.

نفس متفائلة تكتنز منجماً من الأمل والرجاء والاستبشار بالخير، وأن الأحوال لا بد أن تتغير لكن تحتاج إلى صبر وعزيمة ونفس مغيرة لحالها ولحال غيرها بالتأثير المباشر (القدوة) أو غير المباشر (الإطلاع)، نفس لم تتثن أمام القهر واليأس والظلم والحبس بل تجاوزته بإرادتها الصلبة وعزيمتها القوية، نفس مطمئنة يسكن قلبها اليقين بقدرة الله بتحويل هذه المحنة إلى منحة والشدة والكرب إلى فرج.

لقد عانى من خصومه وحسدهم وانتقامهم لأنفسهم، ولكنه تقبل ذلك بنفس راضية، وقلب مطمئن، لأنه كان صاحب رسالة، لا صاحب هوى، وطالب حق لا طالب دنيا ومنصب⁽²⁾.

لقد كان آية من آيات الله، أنارت طريق الخير والصلاح، فقد كان له فضل عظيم على المسلمين في حثهم على الجهاد. إذ جمع الجيوش وسهر على الثغور لمواجهة التتار، وكان يتصدى للمرجفين والمنهزمين ويحثهم على البقاء والثبات. فكان بذلك مجاهداً من الطراز الأول ورجل الساعة في الوقت الذي تراجع فيه القادة العسكريون، وهرب فيه كثير من العلماء، فكان عامل ثبات ونصر في ساعات الشدة⁽³⁾، ومن عجب أمره أنه كان يحلف للأمرء والناس إنه إن وقع القتال فإنهم منصورون على التتار، وكانوا يعجبون منه ويقولون: قل: إن شاء الله! فيقول: إن شاء الله تحقيقاً، لا تعليقاً يقولها وهو واثق من النصر لا متوقع له فحسب⁽⁴⁾!

(1) انظر: جرار، مأمون فريز، صور ومواقف من حياة الصالحين، مرجع سابق، ج10، ص109، 112، 113، 116، 125، 126.

(2) انظر المرجع نفسه، ص129.

(3) انظر: أبو شرار، محمود موسى، من مواقف القدوة في المحن، عمان، دار البشير، ط1، 1993، ص88، 90.

جرار، مأمون فريز، صورة ومواقف من حياة الصالحين، ص136.

(4) جرار، مأمون فريز، صورة ومواقف من حياة الصالحين، ص143، 144.

شخصية قوية الإيمان، أملها ورجاؤها بالله كبير، تُبعث الأمل في النفوس وتُحييه من جديد وتدفعها للمضي قدماً إلى الأمام.

وينظر في حال الإمام أحمد بن حنبل الذي تعرّض لمحنة عظيمة هي محنة القول بخلق القرآن هو وعلماء عصره وفقهاؤهم وقضاتهم فنُبت هو ونفر قليل من العلماء، فسجن وعُذّب فما كان منه إلا الثبات ومواجهة المحنة بصبر وعزيمة قوية وإرادة صلبة، فقد وقف في وجه الإرهاب الفكري الذي سعى لفرض رأيه بقوة السوط والسيوف، والتهديد بقطع الأرزاق والأعناق، فضرب مثلاً رائعاً للثبات على ما يؤمن به بالرغم مما لاقاه من الضرب والسجن والتضييق⁽¹⁾.

وينظر في حال بعض العلماء في العصر الحديث الداعية والمجاهد والمناضل والعالم المفكر العلامة أبو الأعلى المودودي، من أبرز قادة الفكر والدعوة والإصلاح في عصره، قائد الجماعة الإسلامية في باكستان، الذي كان له دور بارز في مناهضة الفكر الغربي العلماني الهادف إلى القضاء على عقيدة المسلمين، بالكتابة والخطابة وعقد الندوات والمحاورات والعمل على تطبيق النظام الإسلامي في باكستان. وقد تعرض لمحنة السجن لكن ذلك لم ينثه عن تحقيق هدفه ورسالته في جعل القانون الأساسي لباكستان هو الشريعة الإسلامية، فضرب بذلك مثلاً خالداً في الثبات والصمود في مواجهة الشدائد⁽²⁾.

"وينظر لحال الداعية الجزائرية عبد الحميد بن باديس الذي ناهض بفكره وعلمه ونشاطاته وكتاباته وجهوده الاستعمار الفرنسي الذي استهدف فرنسة الجزائريين وتحويل الجزائر إلى مستعمرة فرنسية، فأخذ على عاتقه تعليم الصغار اللغة العربية والدين الإسلامي وإحياء معاني القرآن في عقولهم وعزة العروبة في صدورهم، فهم أمل الأمة المرجو الذين لم

(1) انظر: الجزائري، أبو بكر، العلم والعلماء، جدة، دار الشروق، ط2، 1986، ص339.

جرار، مأمون فريز، ص116-128.

(2) أنظر الجمعة، عبد الله صالح، عظماة بلا مدارس، العبيكان، الرياض، ط1، 2007، ص175-185.

زقزوق، محمود حمدي، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي، القاهرة، مطابع التجارية، ط1، 2004، ص107-110.

تفسدهم بدع الرجعيين، وعمادها الذي سيشرق مهما طالت ظلمة الليل، فقد كان حال المسلمين في الجزائر في تدهور من جهة الاستعمار الفرنسي.

ومن جهة أخرى البدع والضلالات والانحرافات التي خيبت على عقول كثير من المسلمين، فعاهد نفسه أن يغيّر الأحوال فقاوم وناهض وعمل وبذل الجهود العظيمة في رفع الظلم والاضطهاد وإحياء اللغة العربية والدين الإسلامي في نفوس الشعب الجزائري، ولم تنته الشدائد التي تعرّض لها، بل زادت من إصراره وعزيمته في تحقيق رسالته وهدفه، فقد ظل ذلك المشعل الوهاج الذي تستنير به القلوب المؤمنة في ليل الاستعمار الفرنسي الطويل، وظل يعمل في المساجد ويدرس الصغار والرجال تحت بصر الاستعمار ورغم أنفه، ولم تزياله صلابته ولا وهنت عزيمته، كان إيمانه بالمستقبل قوياً، أثار ذلك في مواطنيه الثقة بالنفس وألهب صدورهم بالعزم، وأمدهم بالأمل الكبير، واجتاز بهم حاجز اليأس، فرسم بذلك منعطفاً حاداً في تاريخ المجتمع الجزائري في ظل الاستعمار الرهيب⁽¹⁾.

شخصية فذة قاومت الاستعمار بحنكة وذكاء متقدّ وأمل وتفاؤل، شخصية لم تملّ بل حاولت مرة تلو الأخرى لتتجح في مساعيها ومراميها ويسير على خطاها الكثير ممن هم أمل الأمة وصنّاع الحضارة، شخصية بتاريخها تبعث الأمل والاستبشار بالخير فما من ظلم يدوم مع نفس تطمح للحرية والأمن والأمان ومقاومة الاستعمار.

فالمؤمن هو الراجح بكل الأحوال بإذن الله، قال رسول الله ﷺ: (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له)⁽²⁾.

وينظر في حال شخصية أمريكية مسلمة، كان لحياتها سلسلة من التحولات، مالكوم أكس أو مالك شياز الذي انتقل من قاع الجريمة والانحدار إلى تطرف الأفكار العنصرية ثم إلى الاعتدال والإسلام، شخصية تميزت بحدة الذكاء، وعدم الخضوع للذل والاضطهاد، وأن

(1) انظر: طلفاح، خير الله، عباقره من العرب، بغداد، دار الحرية للطباعة، ط1، دت، ص161-186.

(2) سبق تخريجه، ص43.

لا مكان للمستحيل، شخصية أثبتت وجودها وحضورها وتحقيق هدفها والوصول إلى مبتغائها، شخصية واجهت محنة السجن بالصبر والإرادة القوية ففيه تخلى عن كثير من عاداته السيئة وقام بتعليم نفسه فعكف على قراءة الكثير من المؤلفات، وفيه أسلم، شخصية قاومت تطرف الأفكار بالتغيير ومحاولة تغيير من يمثلونها فدفع حياته ثمناً في مقاومة ذلك التطرف السلبي⁽¹⁾.

وينظر إلى حالة الداعية والمجاهد والمناضل أحمد ياسين مؤسس وزعيم حركة المقاومة الإسلامية في فلسطين (حماس) الذي لم يثنه شلله وعجزه عن تحقيق هدفه ورسالته في مقاومة الصهاينة المحتلين، الذي واجه المحن التي تعرض لها بالصمود والصبر والمقاومة والمضي قدماً نحو رفع راية الإسلام، وتحرير وطنه من الطغاة المتجبرين، شخصية أثبتت أن العجز البدني لا يثني من عزيمة النفس القوية الصامدة عن تحقيق هدفها ومبتغائها ورسالتها في الحياة الدنيا، بل بالعكس تعطيها قوة، وإرادة صلبة، وعزيمة لا تفتر⁽²⁾.

إن هؤلاء وغيرهم هم أصحاب التغيير الذين يؤمنون بأفكارهم ويعملون عليها ويحولونها إلى واقع معيش، ليصلوا بذلك إلى أهدافهم⁽³⁾.

هؤلاء مقتنعون أن لديهم رسالة ينبغي تقديمها للآخرين، بحيث تتم ترجمتها على أرض الواقع بغض النظر عن الصعوبات التي سيواجهونها، فهم مدركون لما سيحدث ومستعدون لها⁽⁴⁾.

هؤلاء متميزون بفاعليتهم البناءة فهم لا يرددون الكلام فقط، بل يعملون على ترجمته، ينظرون إلى الحياة بنظرة إيجابية والتي هي عامل في الفاعلية والعزم وتجسيد لمبدأ التوكل على الله الذي يربط فيه المسلم بين الثقة بقدر الله وبين الأخذ بالأسباب⁽⁵⁾.

(1) انظر: الجمعة، عبد الله صالح، عظماء بلا مدارس، ص 165-173.

- مالكوم إكس على شبكة الإنترنت: www.wikipedia.org.

- قصة إسلام الزعيم الأمريكي مالكوم إكس على شبكة الإنترنت: www.quran-m.com.

- الرجل الذي مات واقفاً! مالكوم إكس على شبكة الإنترنت: www.saaed.net.

(2) انظر: أحمد ياسين، على شبكة الإنترنت: www.wikipedia.org.

(3) انظر: الطحان، مصطفى، شخصية المسلم المعاصر، مصر، دار التوزيع الإسلامية، ط1، 1988، ص31، 34.

(4) انظر: سلام، سيد جمعة، شخصية المسلم كما يجب أن تكون، المنصورة، مكتبة الإيمان، ط1، 2007، ص115.

(5) المرجع نفسه، ص115، 118.

هؤلاء يصدق فيهم حديث المصطفى صلوات الله وسلامه عليه: (اكلفوا من العمل ما تطيقون، فإن خير العمل أدومه وإن قل)، وفي رواية أخرى (عليكم بما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا)⁽¹⁾. فهم لم يملوا ولم يستسلموا بل ثابروا وجاهدوا حتى حققوا رسالتهم وأهدافهم.

إن من يقلب صفحات التاريخ القديم والحديث يجد شخصيات كثيرة سارت نحو تحقيق هدفها وهي موقنة بمواجهة الصعوبات والملمات لكن ذلك لم يفتر من عزيمتها ويقهر إرادتها، بل كانت تحمل في جعبتها الأمل الكبير الذي دفعها إلى الأمام لتحقيق رسالتها في الحياة، وهذا بعد ذاته ناهض للهمم، وباعث للأمل، والتفاؤل في النفوس التي امتلكتها اليأس والعياذ بالله وحال دون وصولها لأهدافها وتحقيق رسالتها، ومواجهتها للمحن والشدائد، فالناجحون لا بد أن يواجهوا الخطوب والملمات التي تعترض طريقهم في الوصول إلى غاياتهم وأهدافهم، والمسلم لا بد أن يكون له بصمة في هذه الحياة القصيرة، ويكون قدوة حسنة لغيره، تستثير الهمم، وتوجد قوة، وثقة بالنفس لا تنزعزع.

فلا بد للمسلم أن يعتبر بحال غيره ممن لم يقعه العجز، ولم يركن للسهل من الأمور، ولم يرض بالدون، ولم يستسلم للذل والهوان، ولم يركن لليأس والفشل، ولم ينظر للحياة نظرة تشاؤمية لا تستطيع تغيير الأحوال.

(1) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب: المداومة على العمل، حديث رقم 4240، 4238، ج4، ص485-487.

المبحث الخامس صحة المتفائلين

للصحة أثر عميق في توجيه النفس والعقل، ولها نتائج مهمة فيما يصيب الجماعة كلها من تقدم وتأخر، ومن قلق أو اطمئنان⁽¹⁾؛ فهي تعاون وعطاء متبادل، وهي تغذي الأخلاق وتستثمر المبادئ⁽²⁾.

فإن كان الصاحب يتحلى بأخلاق حسنة وفضائل ومثل عليا، ويتميز بعقل موقر يهدي إلى مرشد الأمور، وصاحب دين دال على الخيرات، فإنه يسهم بهذه الخصال في رقي أصحابه وسمو أفعالهم وسلوكياتهم، وما يرافق ذلك من اطمئنان قلبي ونفسي، وهذا من شأنه أن يرقى بمجتمعه وينهض به، أما الصاحب الآخر فإنه وبال على غيره، يؤخر مجتمعه ولا يرقى به.

"وقد عني الإسلام بهذه الصلة التي تربط بين الأصحاب، إذ أنهم يتأثرون ببعضهم بعضاً، فهو دين تجمُّع وألفة، ونزعة التعرف إلى الناس والاختلاط بهم أصيلة في تعاليمه، فهو لم يقم على الاستيحاش، ولم يدع أبناءه إلى العزلة العامة، والفرار من تكاليف الحياة، ولم يرسم رسالة المسلم في الأرض على أنها انقطاع في دير، أو عبادة في صومعة، فالدرجات العالية لم يُعدها الله تعالى لأمثال أولئك المنكمشين الضعاف"⁽³⁾. (فالمسلم إذا كان مخالطاً للناس ويصبر على أذاهم خيرٌ من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم)، كما قال رسول الله ﷺ⁽⁴⁾.

(1) الغزالي، محمد، خلق المسلم، القاهرة، نهضة مصر، ط10، 2005، ص172.

(2) هادي، محمد، الصدقة والأصدقاء، الكويت، مؤسسة دار البيان العربي، ط3، 1989، ص11.

(3) الغزالي، محمد، خلق المسلم، ص172.

(4) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة، باب: مخالطة الناس مع الصبر على أذاهم خير من عدمه، ج7، حديث رقم 2509، ص197.

"والصحبة من القضايا الملحة في حياة الإنسان، وترتبط بشكل أو بآخر بمصيره؛ فالصاحب له تأثير عميق في صاحبه وهو ليس تأثيراً فجائياً ملموساً ليتعرف فيه بسهولة على موقع الخطأ والصواب، بل هو تأثير تدريجي يومي وغير ظاهر، ومن ثم كان لزاماً على الإنسان أن ينتقي أصحابه وأن يبتلو حقائقهم ليطمئن إلى معدنها"⁽¹⁾، فالرسول الكريم يقول: (الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل)⁽²⁾.

لذلك لا بد من توخي الحذر والحيطه عند اختيار الأصحاب، فيجالس ويصاحب الأخيار منهم، لأنه سيتأثر بهم ويحذو حذوهم. وفي هذا يقول عدّي بن زيد العبّادي⁽³⁾:

إذا كنتَ في قومٍ فصاحب خيارهم ولا تصحب الأردى فتزدى مع الردى
عن المرء لا تسأل وسلّ عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي
قال إبراهيم الخواص: دواء القلوب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبير، وخلاء
الباطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين.
والعرب تقول: لولا الوثام لهلك الأنام، أي: لولا أنّ الناس يرى بعضهم بعضاً فيقتدي
بهم في الخير لهلكوا.

وقال بعض البلغاء في ذلك: من خير الاختيار صحبة الأخيار، ومن شر الاختيار مودة الأشرار. لأنّ للمصاحبة تأثيراً في اكتساب الأخلاق، فتصلح أخلاق المرء بمصاحبة أهل الصلاح وتفسد بمصاحبة أهل الفساد⁽⁴⁾.

(1) انظر: الغزالي، محمد، خلق المسلم، ص 175، هادي، محمد، الصدّاقة والأصدقاء، ص 29.

(2) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب: من يؤمر أن يجالس، حديث رقم 4833، ج 3، ص 265.

(3) ناصيف، إميل، أروع ما قيل عن الصدّاقة، بيروت، دار الجيل، ط 1، 2003، ص 156.

(4) الصحبة، على شبكة الإنترنت، 2009/9/1: www.muslim.net.

"وصحبة المتفائلين معين يغترف منه الإنسان الخير الكثير، فهم قادرون على إحداث التأثير الفعال في غيرهم، لما يتميزون بوعيهم لذاتهم (وهو ما يحمله المتفائل عن نفسه من تصورات ذهنية تصنع فارقاً كبيراً في تحديد مسار حياته، وتحديد استجابته للأحداث من حوله) بمعنى آخر يعرف مواضع قوته وضعفه، وتحديد أهدافهم في الحياة فالسير إلى غير اتجاه الهدف جهد ووقت ضائعان، والتخطيط لمعرفة الطريق لا بد منها، والتركيز على أمر محدد يعطي صاحبه قوة مذهلة فيما يركز عليه، والتفكير الإيجابي المتفائل المعتمد على رصيد من العمل والجهد والبذل، والصبر وطول النفس، فالمتفائلون يستحضرون النهايات السعيدة والنتائج المبهرة التي سيجنونها حينما يواصلون سبيلهم ويصبرون على عقباته ومعوقاته"⁽¹⁾.

ولذلك قال الحكماء: معاشره ذوي الألباب عمارة القلوب، وصدقة الجاهل تعب. وقال لقمان لابنه: ... وجالس الفضلاء والعلماء، فإن الله تعالى يحيى القلوب الميتة بالفضيلة كما يحيى الأرض بوابل المطر"⁽²⁾.

فوجود مثل هذه الصفات من شأنها أن ترقى بمن يصاحبهم بفكره وسلوكه وطريقة حياته، وبها يتقدم المجتمع وينهض بمثل هذه العقول النيرة والفكر السليم، فالمجتمع لا ينهض إلا بمثل هؤلاء.

"كما يُعرف المتفائلون بأخلاقهم البعيدة عن الأنانية والأثرة، فهم يتصفون بالمروءة وكرم السلوك وفعل الخيرات والسعي بالخدمات؛ فالغارق في خدمة الآخرين إن سألته عن نصف الكوب المملوء بالماء قال لك: نصفه مملوء بالماء، لأنه لا يرى إلا الخدمات التي

(1) القرني، مناع محمد، خريطة الوصول وسر النجاح، على شبكة الإنترنت: www.mnna3.com.

(2) ناصيف، إميل، أروع ما قيل عن الصدقة، ص 57.

يفعلها ونفع الغير والخيرات التي يقدمها، أما غيره فيقول: أرى نصفه الفارغ؛ لأنه لا يرى إلا خواءً في حياته، ولا يسمع إلا صدى صوته، ولا يحس إلا صمتاً من داخله⁽¹⁾.

فصحبة هؤلاء تجعل المسلم منشراح الصدر مستبشراً بالخير، نظرته إيجابية للحياة، فهم يبذلون الجهود الكبيرة ولا يبخلون بها على أحد، وبالتالي تأثيرهم كبير على غيرهم في السير على هُداهم.

وفي هذا يقول الفضل بن غسان:

"إذا صاحبْتَ، صاحبٌ من ينس معروفه عندك"⁽²⁾، فهم كرماء لا يمنون على المحتاج بفعلهم الخيرات له، ومن جهة أخرى تؤثر فيه، فيفتدي بهم ويسير على خطاهم.

والمتفائلون يزنون كل شيء بدقة، ويلحظون الضرر كما يلحظون النفع، ويبصرون الحسنة كما يبصرون السيئة، سواء في تفسير الحوادث، أو في الحكم على الأشخاص أو في اتخاذ القرار. ويدركون أنّ الأيام متفاوتة فيها الحلو وفيها المر، فيها التعب وفيها الفرح، فلا تزعزع يقينهم المصائب، ولا تقل عزيمتهم الفواجع فهم كغيرهم يمرون بصددمات قاسية وأزمات شديدة، وسوء معاملة، ودسائس ومكائد، وعداوات وغير ذلك، فيواجهونها بالصمود والثقة بالله وبالذات وبالتحدي⁽³⁾.

وهم يمثل هذا المنحى من التفكير، والإرادة القوية كالشمس المشرقة المغذية بدفنها لما حولها، فالإنسان يتعلم منهم التفكير السوي في نظرته للحياة والأحداث والأشخاص، فيسعى

(1) ماضي، جمال، كيف تتفاعل، على شبكة الإنترنت، 2007/10/18، www.kenanaonline.com.

(2) ناصيف، إميل، أروع ما قيل عن الصداقة، ص 21.

(3) انظر: شرارة، عبد الطيف، تغلب على التشاؤم، بيروت، دار صادر، ط1، 1996، ص 26.

الأحمد، عبد العزيز والعشماوي، عبد الرحمن، متفائلون، على شبكة الإنترنت 2009/7/13: www.eq1a3.com

جاهداً لمعرفة ما حوله ومن حوله أدق المعرفة، كما يتعلم الإرادة القوية والصمود تجاه التحديات والصعوبات.

"فنحن بحاجة إلى ذكاء لا ينخدع بالمظاهر، ولا يحتجب خلفها، إنما يسبر أعماق القضايا والأحداث، ويأبى أن يقنع بامتحان سطحي، بل يتابع أبحاثه ودراساته إلى أن يحيط إحاطة واسعة دقيقة كاملة بالحقائق الموضوعية، وبحاجة إلى إرادة تقاوم الانطباعات والانفعالات العاطفية، وتفرض على صاحبها الحزم والشدة في امتلاك أعصابه، والمثابرة على العمل والجد في مقاومة الصعاب، والابتسام الهادئ الرصين في معالجة المشكلات واندفاعات الإحساس"⁽¹⁾.

وفي هذا قال طاووس بن كيسان الخولاني الهمداني يوصي ولده:

"يا بني، صاحب العقلاء تنسب إليهم، وإن لم تكن منهم، ولا تصاحب الجهال فتتسبب إليهم، وإن لم تكن منهم، واعلم أن لكل شيء غاية وغاية المرء حسن عقله"⁽²⁾.

وفي هذا يقول توماس أديسون:

"إنّ المثابرة والكد والصبر هي أساس النجاح، وإن نسبة الوحي والإلهام هي 1% و99% عرق جبين"⁽³⁾.

"كما يتميز المتفائلون بملامحهم الجسدية التي تبعث في النفس الأمل وانسراح الصدر والراحة النفسية؛ إذ ترتسم على وجوههم ابتسامة خفيفة، ونظرات ليست حادة ولا زائغة ومشنتة، بل نظرات تبعث في النفس الطمأنينة وكأنهم يشجعون ويبشرون بالخير، حديثهم يساهم في رفع الهمة وفتح باب الأمل والرجاء، أصواتهم ثابتة وخالية من الاضطراب

(1) شرارة، عبد اللطيف، تغلب على التشاؤم، ص28.

(2) جرار، مأمون فريز، صور ومواقف من حياة الصالحين، ج9، ص51، 52.

(3) من أقوال توماس أديسون، على شبكة الإنترنت، 2010/2/4: www.rewayat2.com.

والتردد، كما يتميزون بالاتزان الوجداني، فهم لا يتقلبون بين الحزن والسرور، أو بين الغم والفرح، أو بين الأمل واليأس، بل يبقون على حال واحدة فترة معقولة، كما أن لديهم القابلية بالرضى بالقليل والفرح بالكثير، وهم لا يتوقعون الأمور السلبية إذا توافرت الأمور الإيجابية بمعنى لا يترقبون الغم إذا فرحوا، ولا يتنبؤون لأنفسهم بالهزيمة إذا ما انتصروا، إنما يتوقعون الزيادة في كل ما هو إيجابي. كما أنهم يتجاوبون مع وجدانات ومشاعر الآخرين فيفرحون لفرحهم ويحزنون لحزنهم لكنهم يحاولون امتصاص هذه المشاعر السلبية ليخففوا عنهم وطأتهم، كما أنهم يشيعون الرضى والطمأنينة وتوقع الخير والأحداث السارة لدى الآخرين، فهم يعملون على إيجاد المشاعر الإيجابية عندما لا تكون موجودة، فيستطيعون أن يرسموا الابتسامة على شفاه الآخرين ويشيعون الأمل في قلوب اليائسين⁽¹⁾.

قيل لابن السمّاك: أيُّ الإخوان أحقُّ ببقاء المودة؟ قال: الوافر دينُهُ، الوافي عقله، الذي لا يَمُكُّ على القُرب، ولا ينسأك على البعد، إن دنوت منه داناك، وإن بَعُدت عنه راعاك، وإن استعنت به عَضدك، وإن احتجت إليه رفدك، وتكون مودّة فعله أكثر من مودة قَوْلِه⁽²⁾.

فهم كالشجرة القوية الصامدة، الحانية بأغصانها، والمغدقة بثمرها الطيب لمن حولها. كما تتميز الشخصية المتفائلة بهدوئها؛ فهو حجر الزاوية في بناء الشخصية المؤثرة النافذة وهو أكبر عامل مؤثر في تحصيل التأثير على الآخرين، فبه تتمثل الفوائد التي تعود عليها منه والمتاعب التي تتجنبها بوساطته، وهذا التمثيل الذهني يوظف فيه العزم والطاقة اللازمين لبذل الجهود التي تتطلبها تربية الذات⁽³⁾.

(1) أسعد، يوسف مخائيل: التفاؤل والتشاؤم، القاهرة، دار نهضة مصر، ط1، 1980، ص119، 120، 121، 122، 123.

(2) ناصيف، أميل، أروع ما قيل عن الصداقة، ص58.

(3) شرارة، عبد اللطيف، سحر الشخصية، بيروت، دار صادر، ط1، 1996، ص22.

"فهى تفكر باستقامة نحو هدف معين ويبقى انتباهها منصّباً على ما يُنفذ من قرارات، ولا تبذر طاقتها الفكرية سدى، شخصية مسيطرة على انفعالاتها، تتكلم بدقة ووضوح وإيجاز، شخصية تواجه الخطوب باستجماع قوتها وثقتها بنفسها لتتلافى النتائج السيئة وبناء مستقبل ترضى عنه. شخصية لا تتألم ذاتياً بل موضوعياً، بمعنى أنها لا تعطف على نفسها في الملمات الكبار إنما تعيد النظر دوماً في الماضي بكل روية وأناة، إلى أن تستعيد قوتها رويداً رويداً، وتشتد معنوياتها، فتستأنف خوض معركة الحياة وهي مسلحة بالعبير الماضي والمواقف السابقة⁽¹⁾.

ويهدوئها تجذب الكثير من الناس وتحدث التأثير فيهم، فترقى بتفكيرهم وسلوكهم وتندفع بهم إلى الأمام وتحمل المسؤولية، وعدم التوقّع في أحداث الماضي الذي يستنزف الكثير من الطاقة فيما لا طائل منه، فالمسلم اليوم بحاجة إلى أن يستثمر طاقاته وقدراته في بناء مجتمعه والنهوض به.

وهذا ما نحتاجه اليوم، جيل يتسم بتفكير سوي وسلوك مستقيم وهدوء وروية، ونظرة عميقة للأحداث ومغيرة لها للأفضل واستمداد طاقة كبيرة من الماضي لتصبها في بناء مستقبل زاهر. نظرة مفعمة بالأمل والتفاؤل وانسراح الصدر.

"ويعتبر التفاؤل مصدراً للصحة النفسية الجيدة والصحة البدنية الجيدة على حدّ سواء؛ فالمتفائلون بعيدون عن القلق والاكتئاب والانفعالات الحادة كالغضب والحزن، والأمراض المتنوعة؛ فالحالة النفسية السيئة تؤثر على البدن بشكل سلبي وهذا ما أكدته دراسات أجنبية متنوعة في أنّ التفاؤل يعزز الصحة، فالنظرة المفرحة والتحلي بروح البهجة تساعد الإنسان على اجتياز المواقف الصعبة (كالعمليات الجراحية، ضغط الدم، أمراض القلب)"⁽²⁾.

"فالتفاؤل منوط بعافية النفس والمتمثلة بصحة البدن، وسلامة الذكاء، وعافية الإحساس، وعافية الإرادة، بنسبة واحدة، ودرجة عالية، ووقت واحد"⁽³⁾.

(1) شرارة، عبد اللطيف، سحر الشخصية، ص 23، 25.

(2) انظر: التفاؤل يعزز الصحة، على شبكة الإنترنت، 2008/12/7: www.aawsat.com.

(3) شرارة، عبد اللطيف، تغلب على التشاؤم، ص 31.

وهذا ينعكس إيجابياً على إيجاد أجيال تتمتع بصحة نفسية وبدنية جيدة، لتقوم بالمسؤوليات والواجبات التي على عاتقها بأفضل صورة.

وتترك هذه الشخصية أثراً طيباً في النفس بكلامها العذب المفعم بالأمل والخير؛ فهي تستخدم ألفاظاً لها وقع مريح ومبشر بالخير كأن نقول فلان غير سعيد بدلاً من فلان تعس، ولا تذكر إلا أحداثاً ووقائع وقصص تشير إلى الرضى والانشراح والنجاح، وهي تقوم بتشجيع هم الآخرين ولا توقف شخصاً عن تقدمه مهما كان التقييم ضعيفاً أو بطيئاً، فهي تبرز الجوانب المشرقة في حياتهم وتشد على أيديهم، كما أنها تعمل على إشاعة الطمأنينة في الآخرين (في صحتهم أو بإزاء أشياء أو مواقف أو توقعات يخشون من نتائجها) فإذا ما عادت مريضاً فإنها تشيع الطمأنينة في قلبه وقلوب ذويهِ⁽¹⁾.

وما أجمل ما عبّر عنه الشاعر الشريف المرتضى⁽²⁾:

مَن لي بَمَن إن سُمته حاجة	شمرّ فيها ففضل أذباله
فبيدّل النفس ولا يرتضي	في أزمتي بئذ أمواله
وحامل قلبي على ظهره	كأنه من بعض أقاله
لو غدر الناس بي كلهم	ما خطر الغدر على باله
وربما أعرضت عنه فلا	أغدّم منه فضل إقباله

"فصحبة المتفائلين صحبة خيرة تعطيك، وتتفكك، وتنصحك، وتأخذ بيدك، وتضيء لك الطريق، وتساندك، وتبعث في نفسك الأمل الغائب، والنظرة الإيجابية للحياة والقدرة على مواجهة الصعوبات وتحديها والنظر إليها على أنها تجارب ستفيدك في مستقبلك فهم كما قال

(1) انظر: أسعد، يوسف، ميخائيل، التفاؤل والتشاوم، ص 130، 131.

(2) ناصيف، إميل، أروع ما قيل عن الصداقة، ص 49.

الرسول الكريم: (إنما مثل الجليس الصالح، وجليس السوء، كحامل المسك، ونافخ الكير؛ فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً خبيثة)⁽¹⁾.

فهم باب من أبواب الخير يعلمون النفس كيف تحسن الظن بالله عز وجل كما قال الله تعالى في الحديث القدسي: (أنا عند ظن عبدي بي)⁽²⁾، فتناولهم واستبشارهم بالخير هو نابع من إيمانهم بقدرة الله تعالى بأن الخير آتٍ وأن مع العسر يسراً، وما من كربة إلا ويتبعها فرج، يعلمون النفس كيف تفكر بعمق، وتسوس الأمور والأحداث بفطنة وكياسة (فالمؤمن كيس فطن)⁽³⁾ كما أخبر رسول الله ﷺ، وكيف تنظم وتخطط وكيف تنطلق بإرادة قوية وهمة عالية لتحقيق هدفها المرنو، ويتناولهم يوجدون جيلاً ينعم بصحة نفسية جيدة يبعدهم عن الأمراض النفسية المتنوعة والتي كثرت في أيامنا هذه، فالمجتمع الناهض والمتقدم والمتطور يستند إلى تلك الدعامة القوية (الجيل الذي ينعم بصحة نفسية وبدنية وعقلية على حدٍ سواء).

وهم أصحاب علم ويمتلكون الكثير من التجارب التي صقلتهم وصنعت منهم أشخاصاً متزنين، وهم أصحاب فضلٍ وأخلاق كريمة، وأوفياء لا يتخلون عن ابنتي بشدة وشقاء، بل يقدمون له المعونة والمساعدة⁽⁴⁾.

وهذا ما جمعه علّمة العطاردي في وصيته لابنه حين حضرته الوفاة:

قال: يا بني إذا عرضت لك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا خدمته صانك، وإن صحبته زانك، وإن قعدت بك مؤنة مانك، إصحب من إذا مددت يدك بخير مدها، وإن رأى منك حسنة عدّها، وإن رأى منك سيئة سدّها، أصحب من إذا سألته أعطاك، وإن سكت ابتدأك، وإن نزلت بك نازلة واساك، أصحب من إذا قُلتَ صدقَ قولك، وإن حاولتما أمراً أمرك، وإن تنازعتما آثرك⁽⁵⁾.

(1) مختصر صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب: مثل الجليس الصالح، حديث رقم 1779، ص 473.

(2) سبق تخريجه، ص 25.

(3) رواه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب، حديث رقم 6544، ج 4، ص 175، عن أنس مرفوعاً.

(4) أنظر: هادي، محمد، الصدقة والأصدقاء، ص 94، 95، 97.

(5) أنظر: الشاروني، يوسف، الحب والصدقة في التراث العربي والدراسات المعاصرة، القاهرة، دار

المعارف، ط3، 1993، ص 165.

ويتميزون بعقولهم الراجحة، يقدرون الأمور ويزنونها جيداً، يفكرون بدقة وشمولية، يدرسون أبعاد الموضوع كلها وينتقون المناسب لها. "قالعقل رأس المال وهو الأصل ولا خير في صحبة المتشائم الجاهل.

قال علي بن أبي طالب:

فلا تصحب أخوا الجهل	وإيّاك وإيّاها
فكم من جاهل أرى	حليماً حين أخاه
يقاس المرء بالمرء	إذا ما المرء ماشاه
وللشيء من الشيء	مقاييس وأشباه
وللقلب على القلب	دليل حين يقساه ⁽¹⁾

فالمتشائم جاهل وصحبته باب من أبواب الشر التي لا تأتي بخير أبداً.

إن المرء يبذل ما بوسعه لكي يبقى بصحبة المتفائلين ويتجنب المتشائمين، فالتفاؤل هو تفعيل للأمل، وتوقع الأفضل وإيماناً بالخير.

الغزالي، بدر الدين محمد، آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة، تحقيق: علي حسن علي عبد الحميد، بيروت، المكتب الإسلامي، ط1، 1987، ص49.

(1) انظر: الغزالي، أبو حامد، تهذيب إحياء علوم الدين، القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط1، 1997، ص196، 197.

المبحث السادس التعاون والتعااض

إن قوة أي مجتمع، وتقدمه، ونهوضه، ورقبته، وتسلمه لزام القيادة يكمن في اتحاد أفرادها، وتعااضهم، وتعاونهم فيما بينهم، وعلى جميع المستويات وفي كل المجالات.

وهذا ما جاء به الإسلام ودعا إليه ورسخه رسول الله ﷺ في نفوس المسلمين فكانت نقطة تحول بادرة الرسول الكريم بمواخاته بين المهاجرين والأنصار، ومثلاً حياً للتماسك والتعااض والتعاون فيما بينهم مشكلاً بذلك مجتمعاً متيناً قائماً ومستنداً على لبنة قوية لا تنزعزع. قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا فَوَاصِقَةٌ لَكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران: 103)، اعتصام بحبل الله تعالى الذي هو عقيدته الغراء التي هي بحق "الوشيجة الحقيقية التي تقوم عليها الأمة الخيرة، والرباط الذي تتكون حوله أمة تتأخى بأخوة العقيدة، وتتربط برباط الإيمان، فتكون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً"⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَأَنَّهُمْ بَتِينَ مَرْمُوسٌ﴾ (الصف: 4) ، وقد عبّر عن ذلك رسول الله ﷺ بقوله: (المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص، يشد بعضه بعضاً)⁽²⁾.

إن أمل كل مسلم اليوم هو رؤية الأمة الإسلامية متماسكة متعاضة متعاونة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وعسكرياً وصناعياً وثقافياً ... فيكونون بذلك لحة واحدة، جسداً واحداً

(1) انظر: حمزة، عمر يوسف والسايح، أحمد عبد الرحيم، معالم الوحدة في طريق الأمة الإسلامية، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1993، ص48.

(2) مختصر صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب: المؤمن للمؤمن كالبنيان، حديث رقم 1773، ص472.

كما صورّه رسول الله ﷺ: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد

الواحد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)⁽¹⁾.

"أفراد يعيشون في المجتمع متحابين مترابطين، يجمعهم شعور أبناء الأسرة الواحدة، التي يحب بعضها بعضاً، ويشد بعضها أزر بعض، يحس كلُّ منها أن قوة أخيه قوة له، وأن

ضعفه ضعف له، وأنه قليل بنفسه كثير بإخوانه"⁽²⁾، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾

(الحجرات: 10) فقد جعل القرآن الإخاء صنو الإيمان فالأخوة مقياس من مقاييس الإيمان يزكو

بها العمل وتعلو بها الدرجة، وهذا أيضاً ما أشار إليه الرسول الكريم بقوله: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)⁽³⁾.

فالإسلام دين يجمع ويؤلف بين المسلمين، يوحد صفوفهم ويجعلهم بمنأى عن الصراع والمنافسة والتفرق والتشردم.

"مجتمع مسلم متآخٍ واحد في عقائده الإيمانية، وفي شعائره التعبديّة، وفي مفاهيمه الفكرية، وفي فضائله الأخلاقية، وفي اتجاهاته النفسية، وآدابه السلوكية، وفي تقاليده الاجتماعية، وفي قيمه الإنسانية، وفي أسسه التشريعية، وفي أهدافه، وفي أسس مناهجه التي تجمع بين المثالية والواقعية، وتوازن بين الثبات والتطور، وبين استلهام التراث والاستفادة من العصر، وواحد في مصادره التي يستمد منها هدايته القرآن الكريم والسنة المطهرة"⁽⁴⁾، نظام

(1) مختصر صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب: المؤمن كرجل واحد في التراحم والتعاطف، حديث رقم 1774، ص 472، 473.

(2) القرضاوي، يوسف، ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 2008، ص 151.

(3) مختصر صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، حديث رقم 23، ص 14.

(4) القرضاوي، يوسف، ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، ص 160.

ثابتٌ ومُتَّينٌ رَسُخَ مفهوم الوحدة والتكافل والتعاقد والتعاون والتراحم بين أفراد الدولة الإسلامية.

صورة مشرقة مضيئة تبعث الأمل في النفوس والتفاؤل والاستبشار بالخير وانسراح الصدر، وتحقيق الرغبة والطموح في التمكين للأمة والنصر على أعدائها.

ولكن التمكين لهذه الأمة - التي هي أمل كل مسلم، وباعث عليه في الوقت نفسه - لا يكون إلا بوحدها التي هي مصدر لقوتها وصمودها في وجه التحديات واستغنائها عن الآخرين وتسلمها لعرش القيادة؛ فتوحيد الصفوف واجتماع الكلمة هما الدعامة الوطيدة لبقاء الأمة، ودوام دولتها ونجاح رسالتها⁽¹⁾؛ إذ إن مجتمع القرن الحادي والعشرين هو مجتمع الأقوياء الذي لا مكان فيه للضعفاء، وهو مجتمع الكيانات الموحدة العملاقة الذي لا مكان فيه للكيانات المشرذمة الهزيلة، وهو مجتمع يواجه تحديات المستقبل المهولة بجهوده متفاوتة متكافئة متراصة، تتكامل فيها الإمكانيات والكفاءات⁽²⁾.

إن نظرة فاحصة لإمكانيات الأمة الإسلامية مجتمعة تنبئ عن معين لا ينضب، تجعل منها قوة قادرة على الصمود، بل وعلى المنافسة، وهذا بحد ذاته باعث على الأمل والتفاؤل وهو دافع لكل دولة إسلامية لأن تنهض بمسؤوليتها وتحقيق رسالة رسولها الكريم صلوات الله وسلامه عليه في تكوين كيان إسلامي متين متماسك.

كما يكون التمكين لها بالتعاون بين أفراد المجتمع المسلم الذي هو مشاركة في التجربة أخذاً وعطاءً، وهو نشاط يجعل خبرة الفرد أكثر فائدة للآخرين وأكثر قيمة، يثري خبراتهم ويثرون خبرته، وهو نشاط أساسه الحب والاهتمام بالآخرين، لا يقف عند حد

(1) الغزالي، محمد، خلق المسلم، ص 10.

(2) الأسمر، أحمد رجب، فلسفة التربية في الإسلام، ص 297.

التعاطف إنما هو أفعال عملية تجسد هذا التعاطف مهما صغرت هذه الأفعال حجماً أو قلت عدداً⁽¹⁾.

تعاون يتسم بالإيجاب وهذا ما أمر به عز وجل في قوله: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ **وَالْقَوَى**﴾ (المائدة: ٢) تعاون يعود بالنفع والخير على أفرادهِ فيحقق المصلحة العامة للمسلمين، وهذا ما كان عليه المسلمون في عصورهم الأولى، فقد كانوا سادة الدنيا بهذه الروح العطرة، فكانوا معول خير وراقي ونهوض بالأمة الإسلامية، فشيّدوا المدارس والمستشفيات ومعاهد العلم وأمثال هذه الأمور التي توجب تطور المجتمع وتقدمه وازدهار حياته الفكرية والاقتصادية⁽²⁾.

فوجود التعاون والتعاقد بين المسلمين فيه تقوية للعلاقات بينهم وتربية لأبنائهم على القدوة الحسنة والخلق المتين، وعامل قوي في وصول الأمة الإسلامية إلى قمة المجد والسيادة، وفي امتلاكها مفاتيح العلم والحضارة⁽³⁾.

تعاون يوجب مخالطة الناس على صعيد الأفراد وعلى صعيد الجماعات وأيضاً على صعيد الدول بالإضافة إلى ما يوجب هذا التعاون من الصبر على الأذى وتحمله، فالناس مختلفون في كل شيء واحتمال الأذى منهم هو دعوة كريمة من الرسول الكريم لما فيه من الخير (فالمسلم إذا كان مخالطاً للناس ويصبر على أذاهم خيرٌ من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم)⁽⁴⁾.

فالمسلم يخالط المسلمين ويحتك بهم ويصبر على ما قد يصيبه من الأذى لرغبته في تحقيق أمله في تعاون المسلمين وتكاتفهم وتعاقدهم.

(1) سيد، فتح الباب عبد الحلیم، التربية في القرآن والسنة، القاهرة، عالم الكتب، ط1، 1996، ص105.

(2) القرشي، باقر شريف، النظام التربوي في الإسلام، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ط1، 1979، ص302، 303.

(3) انظر: جزار، حسني أدهم، الأخوة والحب في الله (منهج تربوي)، دم، دار المأمون للنشر والتوزيع، ط1، 2010، ص92، 94.

(4) سبق تخريجه، ص111.

ووجود مثل هذه الصورة في المجتمع المسلم تبعث الأمل في نفوس أفرادها، فتسعد ويمتلئ قلبها بالحيوية والنشاط، فيدفعها إلى العمل بهمة عالية وعزيمة قوية، وتجعل ذلك نقطة انطلاق لتخطيط وتنظيم على مستوى أكبر وأضخم، بمعنى آخر وجود مثال لأفراد متعاونين في مجتمع صغير أو دولة يجعله حافزاً لأن يكون التعاون على مستوى الدول ككل.

وحتى تتحقق هذه الصورة المشرقة للمجتمع الإسلامي (تماسكه وتعاضده وكونه جسداً واحداً) لا بد أن يكون المسلم موصولاً بمجتمعه الإسلامي منتمياً بكل جوارحه، معتزلاً بمنهج الإسلام في حياته لا يسمح لنفسه أن ينتمي إلى أي أمر آخر، وأن يدرك أن انتماءه له هو مفتاح كل خير وتقدم للمجتمع الإسلامي؛ فمجرد شعوره بأنه جزء لا يتجزأ من هذا المجتمع وأن غيره يشاركونه في عقيدته وعبادته وأخلاقه وسلوكه يعالج في نفسه كثيراً من سلبيات الإحساس بالوحدة والانفراد والقلق والهموم، وهذا ما يبعث الأمل في نفسه فهو ليس وحده يصارع الهموم والمشاكل بل هناك من يقف معه ويشجعه في التغلب عليها معنوياً⁽¹⁾.

وأيضاً حتى نرسي دعائم هذه الأمة ونوطدها ونرسخها لا بد من ترجمة ما جاء به

القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْتَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ

لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿ (الحجرات: 13) ، "التعارف والتقارب بين

الناس على مختلف جنسياتهم، حقيقة وركيزة أساسية في انتشار الإسلام، ففيه تثبيت للوحدة

الجامعة، وتأليف القلوب المتفرقة، وهو يوجب تقديم المساعدة لمن يحتاج، والتعاون في سيادة

الفضيلة، والمساواة بين بني البشر، ودفع الظلم ومساندة الضعيف، ورفع الحق، وخفض

الباطل⁽²⁾، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ

(1) انظر: محمود، علي عبد الحلیم، تربية الناشئ المسلم، المنصورة، دار الوفاء، ط1، 1992، ص471،

472.

(2) أبو زهرة، محمد، الوحدة الإسلامية، بيروت، دار الرائد العربي، ط1، 1978، ص14، 15.

﴿ذُو قَبْلِ عَلَى الْمَكَلِمَاتِ﴾ (البقرة: ٢٥١)، فالإنسانية أمة واحدة كما قررها القرآن الكريم في

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (المؤمنون: ٥٢).

فالاتحاد باسم الإسلام يستند على الأخوة بين المسلمين والمودة والرحمة بينهم، والتعاون الإنساني، وبه تتكون أمة متحدة المشاعر الإنسانية العالية، متجهة نحو الفضيلة، والمثل العليا التي تنزع بالروح الإنسانية نحو الملكوت الأعلى، ويخضع فيها الإنسان لخالق الكون وحده. فالإسلام يبيث في النفس معنى الخير وسمو الفضيلة وحب التعاون والتعارف بين بني البشر، فشعاره هو التعارف، ووراء التعارف التعاون على البر والتقوى والتعاون على دفع الفساد^(١)، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالتَّمَدُّونَ﴾ (المائدة: ٢).

والذي يجمع المسلمين من شتى بقاع المعمورة هو عقيدتهم وعبادتهم وأخلاقهم الحسنة ومشاعرهم الواحدة. وهذا ما يطمح إليه كل مسلم ويتمناه، مما يعود عليه بالبشر وانسراح الصدر والتفاؤل وبعث الأمل من جديد، فالأم تسعد لرؤيتها أبنائها متكاتفين محبين لبعضهم متعاونين فيما بينهم، تلتهم مشاعر المودة والعطف والاحترام والنصرة، وتتفاعل خيراً لمستقبل هذه الأمة بوجود مثل هذه الأخوة، التي هي مفتاح الخير والرفق، والنهوض بالأمة الإسلامية. فلماذا لا يكون حالنا اليوم حال الأمم المتعاضدة، التي ارتقت وصعدت سلم الريادة، وأثبتت للعالم وجودها، وقدرتها على النهوض من جديد. مثال ذلك اليابانيين الذين صنعوا بإرادتهم العالية، وعزيمتهم القوية، وهمتهم الوثابة وإصرارهم المستحيل؛ فلم يستسلموا، ويخضعوا للولايات التي حدثت لهم بعد سقوط القنبلة النووية على هيروشيما وناجازاكي، بل كانت نقطة تحول في تاريخهم، فأصبحت من الدول المتقدمة. مثل حي في الترابط والتعاون والعزيمة والإرادة القوية.

(١) أبو زهرة، محمد، الوحدة الإسلامية، ص 239، 241.

تعاقد يقتضي التكافل والتراحم بين المسلمين. قال تعالى: ﴿مُعْتَدِرَ رَسُولِ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ

أَشِدَّةً عَلَى الْكُفَّارِ رَحَمَةً بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح: ٢٩) ويقتضي الإعانة والنصرة. قال رسول الله ﷺ:
(المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربةً، فرج الله عنه بها كربةً من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة)^(١).

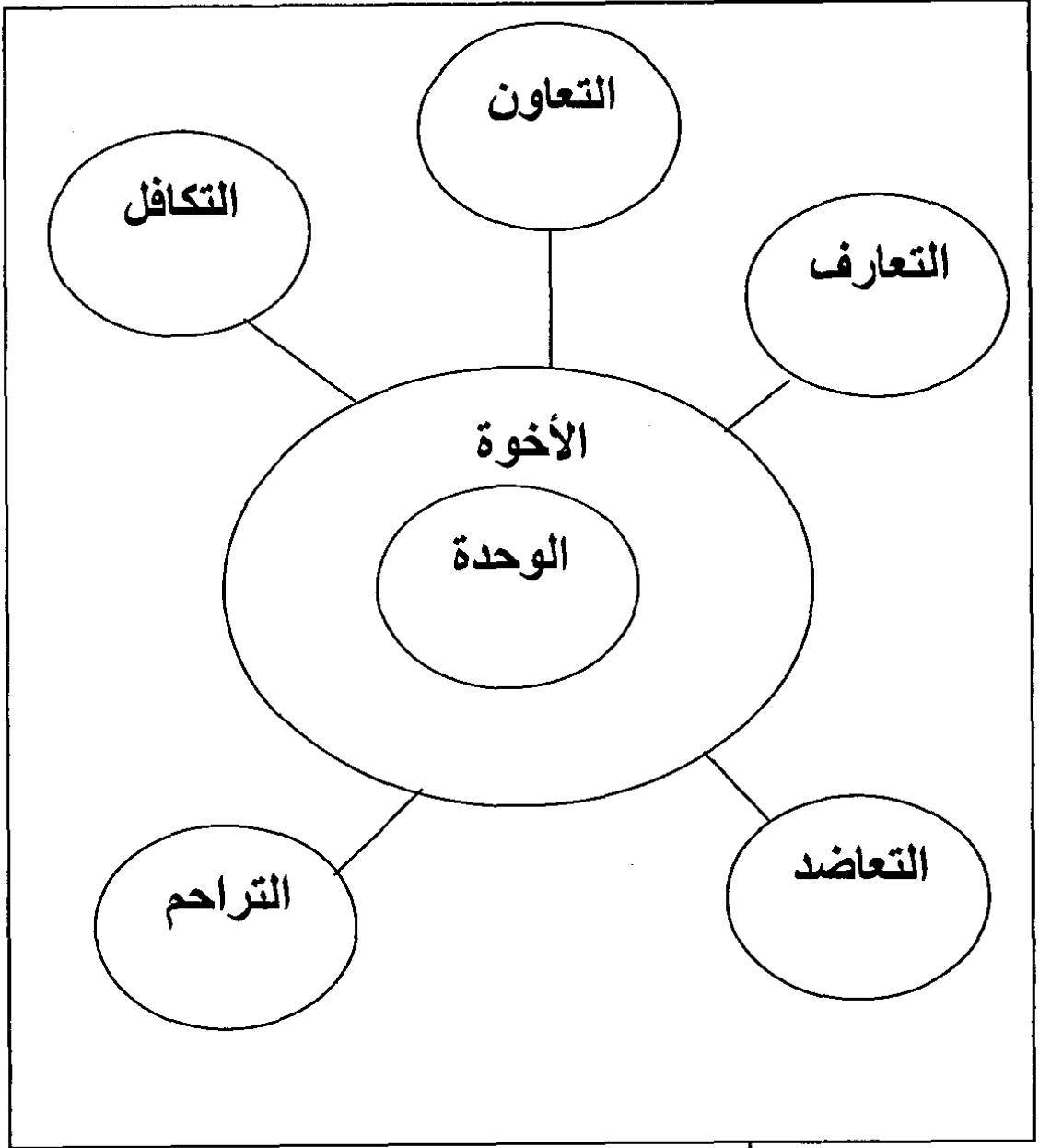
لا بد أن يدرك المسلمون اليوم أن قوتهم في اتحادهم وتأخيرهم وتعاونهم فيما بينهم في حل المشكلات ومواجهة التحديات والصعوبات، وبذل الجهود المنظمة والمخطط لها، ففي وحدتهم تتوطد دعائم الأمة الإسلامية، وبها تبنى الحضارة الإسلامية القوية والراقية، والتي من خلالها يستشعر المسلم بالأمن والاستقرار والطمأنينة والسعادة والرضا فيسعى جاهداً بكل ما أوتي من فكر وثروة ونفس لتحقيق غايته وأمله في وجود كيان إسلامي واحد متين، والذي هو في الوقت نفسه باعث على الأمل في تفجير طاقات المسلم المعطلة وترجمتها على أرض الواقع بما يعود بالنفع والخير على الأمة، فالنفس الحرة والأمانة والقوية بعقيدتها وبوجود من يساندها هي نفس وثابة طموحة تسعى لبذل أقصى ما في وسعها لترقى بأمتها وتنهض بها من جديد. هذا من جهة، من جهة أخرى عندما توقن أن جزاء الأخوة في الله يوجب رضوانه ومحبه عز وجل والاطمئنان القلبي والجزاء الأخروي (الجنة) فإنها تزيد من رباطة جأشها وبذلها النفيس والغالي في سبيل الحصول على مبتغاها الدنيوي (قوة الأمة الإسلامية) والأخروي (الجنة).

(١) مختصر صحيح مسلم، كتاب الظلم، باب: في تحريم الظلم والأمر بالاستغفار والتوبة، حديث رقم 1830، ص483.

تأواصر الأخوة في الله هي التي جمعت أبناء الإسلام أول مرة، وأقامت دولته، ورفعت رايته، وعليها اعتمد رسول الله في تأسيس أمة صابرة هجمات الوثنية الحاكمة وسائر الخصوم المتربصين، ثم خرجت بعد صراع طويل وهي ربيعة العماد وطيدة الأركان، على حين ذاب أعداؤها وهلكوا⁽¹⁾.

إن الوحدة أساسها الأخوة في الله تعالى ويسبقها الانتماء للعقيدة الإسلامية، والأخوة هي تعارف وتعاون وتكافل وتراحم وتعاضد وهذا هو أمل كل مسلم، وهو في الوقت نفسه باعث عليه؛ لما فيه من تفجير للطاقات المعطلة، وبذل الجهود البناءة المساهمة في تقدم وتطور الأمة الإسلامية.

(1) الغزالي، محمد، خلق المسلم، مرجع سابق، ص 160.



كلها مجتمعة هي

أمل الأمة وهي باعث عليه في الوقت نفسه (أي محرك للرغبة التي لدينا فتوجه طاقاتنا وقدراتنا).

الشكل يوضح أن الوحدة وما يلزمها هو أمل الأمة الإسلامية

الفصل الثالث

مبشرات وحقائق داعية إلى الأمل

المبحث الأول: مبشرات من القرآن الكريم.

المبحث الثاني: مبشرات من السنة النبوية.

المبحث الثالث: مبشرات من التاريخ الإسلامي.

المبحث الرابع: مبشرات من السنن الإلهية.

المبحث الخامس: الصحوة الإسلامية.

المبحث السادس: شهادات الغرب

المبحث السابع: القوى التي تملكها الأمة.

الفصل الثالث

مبشرات وحقائق داعية إلى الأمل

تمهيد

تتناول الباحثة في هذا الفصل نصوصاً من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، والسنن الإلهية، وأحداثاً من التاريخ الإسلامي، وحقائق معاشة تبشّر بالخير وتبعث الأمل في النفوس من جديد. إذ إن النفس البشرية تحتاج إلى ما يبعث الارتياح فيها، ويجدد لها طاقتها، ويستنهض فيها همتها وعزيمتها، لتنتقل إلى الأمام وتقوم بالواجبات الملقاة على عاقتها.

جاء هذا الفصل في سبعة مباحث هي على النحو الآتي:

المبحث الأول: مبشرات من القرآن الكريم.

المبحث الثاني: مبشرات من السنة النبوية.

المبحث الثالث: مبشرات من التاريخ الإسلامي.

المبحث الرابع: مبشرات من السنن الإلهية.

المبحث الخامس: الصحوة الإسلامية.

المبحث السادس: شهادات الغرب

المبحث السابع: القوى التي تملكها الأمة.

المبحث الأول مبشرات من القرآن الكريم

يحفل القرآن الكريم بآيات كريمة تحمل بشارات النصر والتمكين لدين الله عز وجل، لمن يتمسك به ويدافع عنه، ويقوم بنشره في بقاع المعمورة، فضلاً عن فوزه بمعونة الله عز وجل. وما سيتم بيانه من آيات تحمل هذه المضمون هو غيوض من فيض؛ فالقرآن كله ينبوع خير يرتشف منه الظمان فيرتوي وينطفئ عطشه.

أول بشارة في قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (النور: 55).

"هذا وعد من الله تعالى لرسوله الكريم بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض أي أئمة الناس والولاية عليهم، فتصلح بهم البلاد وتخضع لهم العباد، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً وحكماً، وقد فعله الله تبارك وتعالى ففتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وخيبر والبحرين وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكاملها، وأخذ الجزية من مجوس هجر، ومن بعض أطراف الشام وهاداه هرقل ملك الروم وصاحب مصر والإسكندرية وهو المقوقس، وملوك عُمان والنجاشي ملك الحبشة، ثم تولى أبو بكر الصديق الخلافة فمهد الجزيرة العربية، وفتح طرفاً من بلاد فارس بقيادة خالد بن الوليد، وفتح بصرى ودمشق وحران بقيادة أبي عبيدة، وألهم الله الصديق أن يستخلف عمر الفاروق الذي قام بعده بالأمر قياماً تاماً فتم في أيامه فتح الشام ومصر وأكثر إقليم فارس وتقهقر كسرى إلى أقصى مملكته، وفرّ قيصر إلى القسطنطينية وأنفق أموالهما في سبيل الله، ثم امتدت دولة عثمان بن عفان إلى أقصى مشارق الأرض

ومغاربها، ففتحت بلاد المغرب إلى أقصى ما هنالك الأندلس وقبرص، وبلاد القيروان وبلاد سبته مما يلي البحر المحيط، ومن ناحية المشرق إلى أقصى بلاد الصين، ثم فتح مدائن العراق وخراسان والأهواز وقتل المسلمون من الترك مقتلة عظيمة، وخذل الله ملكهم خاقان، وجبسي الخراج من المشرق والمغرب إلى أمير المؤمنين عثمان⁽¹⁾.

عندما يعن المسلم النظر جيداً في هذه الآية الكريمة التي تحمل بشارة عظيمة، وعد الله تعالى بالتمكين لدينه والاستخلاف للمؤمنين في أرضه، وإبدالهم من بعد خوفهم آمناً، عطاء عظيم يبعث في النفس الأمل والإنشراح وتحريك الهمم نحو الأمام، لكنّ هذا العطاء مشروط بعبادة الله وعدم الإشراك به، وقد منّ الله تعالى على المؤمنين بذلك.

وعد الله حق وواقع ولن يخلف الله وعده، فاللام في (ليستخلفهم، ليتمكن، ليبدلهم) تفيد القطع والجزم بتحقيق ذلك الوعد، والتوكيد هذا غير مرتبط بزمن معين، فوعده قائم متى تحقق شرطه.

"إنّ الإيمان والعمل الصالح هي أصول دولة الإيمان، وثمرتها إنجاز وعد الله تعالى للمؤمنين بالعزة والسيادة في الأرض، ونصرة الإسلام على الكفر، وتمكين هذا الدين في الأرض، بتثبته وتوطيده وتأمينه وتأمين أهله وإزالة الخوف الذي كانوا عليه"⁽²⁾.

وحقيقة الاستخلاف في الأرض هي كما يقولها سيد قطب:

"إنها ليست مجرد الملك والقهر والغلبة والحكم ... إنما هي هذا كله على شرط استخدامه في الإصلاح والتعمير والبناء، وتحقيق المنهج الذي رسمه الله للبشرية كي تسير عليه، وتصل عن طريقه إلى مستوى الكمال المقتر لها في الأرض واللائق بخلقة أكرمها الله.

(1) ابن كثير، إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، بيروت، دار المعرفة، ط2، 1987، ج3، ص311، 312.

(2) الزحيلي وهبة، التفسير المنير، ج18، ص286، 287.

إن الاستخلاف في الأرض قدرة على العمارة والإصلاح، لا على الهدم والفساد،
 و قدرة على تحقيق العدل والطمأنينة، لا على الظلم والقهر، و قدرة على الارتفاع بالنفس
 البشرية والنظام البشري، لا على الانحدار بالفرد والجماعة إلى مدارج الحيوان⁽¹⁾!

وهذا ما حصل زمن رسول الله ﷺ والصحابة ومن سار على هذا النهج، فنصره
 وتمكينه للأمة الإسلامية مرتبط بالمنهج الذي وضعه وأمر عباده بالسير عليه. وهذا فيه دعوة
 للمسلمين بالرجوع إلى منهج الله ليحفظوا بعطائه (وعده) ومن جهة أخرى أن الله لا يخلف
 وعده وهذا ما يشرح الصدر ويحيي الأمل في النفس.

ثاني بشارة في القرآن الكريم: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ
 إِلَّأ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ
 لِيُظَاهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ (التوبة: 32-33).

يقول تعالى، يريد هؤلاء الكفار من المشركين وأهل الكتاب "أن يطفئوا نور الله" أي
 ما بعث به رسول الله من الهدى ودين الحق بمجرد جدالهم وافترائهم، فمثلمهم في ذلك كمثل
 من يريد أن يطفى شعاع الشمس أو نور القمر بنفخة وهذا لا سبيل إليه، فكذلك ما أرسل به
 رسول الله لا بد أن يتم ويظهر، ولهذا قال تعالى مقابلاً لهم فيما راموه وأرادوه ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ
 إِلَّأ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾، ثم قال: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ
 وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ فالهدى هو ما جاء به من
 الإخبارات الصادقة والإيمان الصحيح والعلم النافع ودين الحق هو الأعمال الصالحة الصحيحة
 النافعة في الدنيا ﴿لِيُظَاهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ﴾ أي على سائر الأديان⁽²⁾.

(1) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج4، ص2529.

(2) ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، ج2، ص362، 363.

بشارة عظيمة تطمئن قلوب المؤمنين، فدين الله قائم وباقٍ فهو وعد حق من الله تبارك وتعالى في إتمام نوره ولو كره الكافرون. فالآية تتضمن (ويأبى الله إلا أن يتم نوره) والآية الأخرى (هو الذي أرسل رسول بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) فيستحيل أن يتم إطفاء شعاع الشمس أو نور القمر، وهكذا هي رسالة سيدنا محمد ﷺ.

"وهذا مما يدفع المؤمنين إلى المضي في الطريق على المشقة واللأواء في الطريق، وعلى الكيد والحرب من الكافرين"⁽¹⁾.

﴿ وَيَأْبَى اللَّهُ ﴾ ﴿ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ ﴿ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ كلام

يوقع في النفس الطمأنينة والراحة، ويحيي الأمل من جديد؛ فإله عز وجل لن يسمح للكافرين بأن يطفئوا نوره، وهذا يدفع المسلم إلى التمسك بدينه والسير على منهج الله عز وجل، فإطفاء دين الله عز وجل هو ضرب من المستحيل ونوع من العبث الذي لا يعود بشيء على الإطلاق.

"فدين الله هو الحق المشتمل على الصواب والصلاح ومطابقة الحكمة وموافقة المنفعة في الدنيا والآخرة، وهو يعلو على كل الأديان ويغلبها، فلا دين يصمد أمام النقاش العلمي والعقلي غير دين الإسلام"⁽²⁾.

وثالث بشارة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ﴾ ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ (غافر: 51-52).

(1) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج3، 1643.

(2) الزحيلي، وهبة، التفسير المنير، ج10، 187.

"يؤكد الله عز وجل في هذه الآية الكريمة نصره لرسله وللمؤمنين، بأن يجعلهم الغالبيين لأعدائهم، القاهرين لهم في الدنيا والآخرة حيث يقوم الأشهاد من الملائكة والأنبياء والمؤمنين، بأن يشهدوا للرسول بإبلاغ رسالاتهم، وعلى الأمم بتكذيبهم، والنصر في الدنيا إما معنوي وإما حسي، فالمعنوي: كالنصر بالحجة والبرهان، أو بالمدح والتعظيم، أو بإعلاء الجاه وعزة السلطان، وانتشار الدين، كنصر داود وسليمان على من كذبوهم، ونصر محمد ﷺ على من كذبه من قومه، وجعل الدولة والسلطة له في الجزيرة العربية. والنصر الحسي يكون بالقهر والانتقام من المكذبين كإغراق قوم نوح وآل فرعون، وقتل زعماء قريش في بدر، وأسر بعضهم، وسلب أموالهم.

"والنصر في الآخرة: بإعلاء الدرجات في مراتب الثواب، والتكريم بالكرامات في

الجنة وصحبة الأنبياء، كما قال تعالى: ﴿ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ

وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء: 69] (1).

إنَّ وعد الله قاطع وجازم (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا) بينما يشاهد الناس أنَّ الرسل منهم من يقتل ومنهم من يهاجر من أرضه وقومه مكذباً مطروداً، وأنَّ المؤمنين فيهم من يُسام العذاب، وفيهم من يُلقى في الأخدود، وفيهم من يستشهد، وفيهم من يعيش في كرب وشدة واضطهاد ... فأين وعد الله لهم بالنصر في الحياة الدنيا؟ ويدخل الشيطان إلى النفوس من هذا المدخل، ويفعل بها الأفاعيل (2)!

"ولكن الناس يقيسون بفترة قصيرة من الزمان، وحيز محدود من المكان، وهي مقاييس

بشرية صغيرة. فأما المقياس الشامل فيعرض القضية في الرقعة الفسيحة من الزمان والمكان،

ولا يضع الحدود بين عصر وعصر، ولا بين مكان ومكان.

(1) الزحيلي، وهبة، التفسير المنير، ج 24، ص 142، 143.

(2) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج 5، 3085.

ولو نظرنا إلى قضية الاعتقاد والإيمان في هذا المجال لرأيناها تنتصر من غير شك، وانتصار قضية الاعتقاد وهو انتصار أصحابها، فليس لأصحاب هذه القضية وجود ذاتي خارج وجودها، وأول ما يطلبه منهم الإيمان أن يفنوا فيها ويخفقوا هم ويبرزوها!

والناس كذلك يقصرون معنى النصر على صورة معينة معهودة لهم، قريبة الرؤية لأعينهم. ولكن صور النصر شتى، وقد يتلبس منها بصور الهزيمة عند النظرة القصيرة. إبراهيم عليه السلام، وهو يلقي في النار فلا يرجع عن عقيدته ولا عن الدعوة إليها ... أكان في موقف نصر أم في موقف هزيمة؟ ما من شك -في منطق العقيدة- أنه كان في قمة النصر وهو يلقي في النار. كما أنه انتصر مرة أخرى وهو ينجو من النار. هذه صورة وتلك صورة، وهما في الظاهر بعيد من بعيد، فأما في الحقيقة فهما قريب من قريب!

وكم من شهيد ما كان يمتلك أن ينصر عقيدته ودعوته ولو عاش ألف عام، كما نصرها باستشهاده، وما كان يملك أن يودع القلوب من المعاني الكبيرة، ويحفز الألوفا إلى الأعمال الكبيرة، بخطبة مثل خطبته الأخيرة التي يكتبها بدمه، فتبقى حافزاً محرّكاً للأبناء والأحفاد، وربما كانت حافزاً محرّكاً لخطى التاريخ كله مدى أجيال ... ما النصر؟ وما الهزيمة؟ إننا في حاجة إلى أن نراجع ما استقرّ في تقديرنا من الصور ومن القيم قبل أن نسأل: أين وعد الله لرسوله وللمؤمنين بالنصر في الحياة الدنيا؟!

على أنّ هناك حالات كثيرة يتم فيها النصر في صورته الظاهرة القريبة، ذلك حين تتصل هذه الصورة الظاهرة القريبة بصورة باقية ثابتة، لقد انتصر محمد ﷺ في حياته، لأن هذا النصر يرتبط بمعنى إقامة هذه العقيدة بحقيقتها الكاملة في الأرض. فهذه العقيدة لا يتم تمامها إلا بأن تهيم على حياة الجماعة البشرية وتصرفها جميعاً من القلب المفرد إلى الدولة الحاكمة، فشاء الله أن ينتصر صاحب هذه العقيدة في حياته، ليحقق هذه العقيدة في صورتها الكاملة، ويترك هذه الحقيقة مقررة في واقعة تاريخية محددة مشهودة. ومن ثم اتصلت صورة

النصر القريبة بصورة أخرى بعيدة، وأحدث الصورة الظاهرة مع الصور الحقيقية وفق تقدير الله وترتيبه⁽¹⁾.

فنصر الله عز وجل للمؤمنين قائم وواقع بغض النظر عن الزمان والمكان، وكيفما كان، ولو بعد حين، وهذا يطمئن القلوب ويدفع النفوس إلى تحقيق مراد الله تعالى بتطبيق منهجه في الأرض، فوعد الله قائم ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الروم: 47).

بشارة تحيي القلوب، وتشرح الصدور، وتبعث الأمل في النفوس، وتحرك جوارحها للعمل والنهوض من جديد.

رابع بشارة في قوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ يَسِرُّوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۗ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ۗ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَفْهَمُوا السُّوْءَ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (الروم 9-10).

العاقبة دوماً للمتقين:

يقول سيد قطب:

"هي دعوة إلى التأمل في مصائر الغابرين، وهم ناس من الناس، وخلق من خلق الله، تكشف مصائرهم الماضية عن مصائر خلفائهم الآتية، فسنة الله هي سنة الله في الجميع، وسنة الله حق ثابت يقوم عليه هذا الوجود، بلا محاباة لجيل من الناس، ولا هوى يتقلب فتتقلب معه العواقب.

وهي دعوة إلى إدراك حقيقة هذه الحياة وروابطها على مدار الزمان، وحقيقة هذه الإنسانية الموحدة المنشأ والمصير على مدار القرون، كي لا ينعزل جيل من الناس بنفسه وحياته، وقيمه وتصورات، ويغفل عن الصلة الوثيقة بين أجيال البشر جميعاً، وعن وحدة السنة التي تحكم هذه الأجيال معاً، ووحدة القيم الثابتة في حياة الأجيال جميعاً.

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج5، ص3085، 3086.

فهؤلاء أقوام عاشوا قبل جيل المشركين في مكة (كانوا أشد منهم قسوة) وأشاروا
 الأرض) فحراثتها وشقوا عن باطنها، وكشفوا عن ذخائرها (وعمرها أكثر مما عمروها) ...
 فقد كانوا أكثر حضارة من العرب، وأقدر منهم على عمارة الأرض ثم وقفوا عند ظاهر
 الحياة الدنيا لا يتجاوزونه إلى ما وراءه، (وجاءتهم رسلنا بالبينات) ... فلم تفتح بصائرهم
 لهذه البينات، ولم يؤمنوا فتتصل ضمائرهم بالنور الذي يكشف الطريق، فمضت فيهم سنة الله
 في المكذبين، ولم تنفعهم قوتهم، ولم يغن عنهم علمهم ولا حضارتهم، ولقوا جزاءهم العادل
 الذي يستحقونه (فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) (ثم كان عاقبة الذين
 أساءوا السوأى) كانت السوأى هي العاقبة التي لقيها المسيؤون وكانت جزاء وفاقاً على (أن
 كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤون).

والقرآن الكريم يدعو المكذبين المستهزئين بآيات الله أن يسيروا في الأرض، ويتدبروا
 عاقبة أولئك المكذبين ويتوقعوا مثلها، وأن يدركوا أن سنة الله واحدة لا تحابي أحداً، وأن
 يوسعوا آفاق تفكيرهم فيدركوا وحدة البشرية، ووحدة الدعوة، ووحدة العاقبة في أجيال البشرية
 جميعاً⁽¹⁾.

فجزاء الأمم المكذبة بآيات الله الدالة على وجوده وتفرد بالألوهية، والمكذبة بالقرآن
 والرسول ومعجزاته، واستهزائها وسخريتها منها هو الهلاك في الدنيا والخلود في نار جهنم
 في الآخرة. والاعتماد على قوة الجسد وسعة المال، ووفر الثروة لا تغني أصحابها شيئاً يوم
 القيامة⁽²⁾.

بشارة تثبت أفئدة المؤمنين، وتحيي الأمل في نفوسهم من جديد، فالعاقبة دوماً للرسول،
 وللذين آمنوا، والهلاك والدمار للذين تمردوا على الله وكذبوا المرسلين، ومهما اعتقد هؤلاء
 الكفار أنهم متمكنون في هذه الأرض فالمتصرف في هذا الكون هو الله عز وجل الذي يقرر

(1) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج 5، ص 2760.

(2) الزحيلي، وهبة، التفسير المنير، ج 21، ص 56، 57.

متى يطردهم منها ﴿ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَالْعِزَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

(الأعراف: 128)، ﴿ فَأَصْبِرْ ۗ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (هود: 49)، ﴿ تِلْكَ الْأْدَارُ الْأَخْرُءُ

تَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۗ وَالْعِزَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (القصص: 83).

فالنظر في سيرة الأقسام الغابرة هي دعوى للتأمل والتفكر في أن ما بُني على الباطل فهو باطل ومصيره إلى الزوال، فهو سيرة مخالف للمنهج الذي وضعه رب العزة، فالدول الكافرة والمكذبة بالحق مصيرها إلى الزوال وأقرب مثال على ذلك الاتحاد السوفيتي الذي انهار وأصبح دويلات صغيرة بعد أن كان قوة عظيمة يُحسب لها ألف حساب.

وخامس بشارة في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ

يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ حَكِيمٍ ۗ وَيُحِبُّونَهُ ۗ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۗ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (المائدة: 54).

بشارة من الله عز وجل بأنه سيأتي بقوم يقاومون الكفر ويقيمون الدين في أنفسهم.

أوصافهم تتمثل بالعلاقة القائمة على الحب بينهم وبين الله عز وجل، علاقة العطف والرحمة فيما بينهم، وعلاقة القوة والعزة مع الكافرين، علاقة جهاد في سبيل الله مع أهل الكفر والمنكر. وفي هذا اطمئنان قلبي للمسلم وإحياء الأمل في نفسه من جديد؛ فانه عز وجل متكفل بإيجاد عصابة مؤمنة قوية تقاوم العصيان والكفر، وتنتشر دينه في بقاع المعمورة.

إن اختيار الله عز وجل للعصابة المؤمنة لتكون أداة القدر الإلهي في إقرار دين الله في

الأرض، وتمكين سلطانه في حياة البشر، وتحكيم منهجه في أوضاعهم وأنظمتهم، وتنفيذ

شريعته في أفضيتهم وأحوالهم، وتحقيق الصلاح والخير والطهارة والنماء في الأرض بذلك

المنهج ... إن هذا الاختيار للنهوض بهذا الأمر هو فضل من الله ومنة كبيرة، فمن شاء أن

يرفض هذا الفضل وأن يحرم نفسه هذه المنة ... فهو وذاك، والله غني عنه وعن العالمين،
والله يختار من عباده من يعلم أنه أهل لذلك الفضل العظيم⁽¹⁾.

ويقول ابن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة:

يقول الله تعالى مخبراً عن قدرته العظيمة أنه من تولى عن نصرته دينه وإقامة شريعته
فإن الله يستبدل به من هو خير لها منه، وأشد منعة وأقوم سبيلاً، كما قال تعالى: ﴿ وَإِن
تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴾ (محمد: 38)، وقال تعالى: ﴿ إِن يَشَأْ
يُدْهِبِكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٥٠﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٥١﴾ (إبراهيم: 19-20) أي ليس
بممتع ولا صعب⁽²⁾.

عطاء جزيل ومنة وفضل عظيم يدخل السرور والانشراح إلى الصدور وتملأ النفوس
بالحيوية والأمل والتفاؤل، وتغيير النظرة السلبية للأمور بنظرة إيجابية تعود بالخير الوفير
على النفس وعلى المجتمع، فالنفس المطمئنة والمنفائلة تتمتع بصحة نفسية سوية تحاول قدر
الإمكان تغيير ما حولها إلى الأفضل.

وعندما يوقن المسلم بقدرة الله عز وجل وعظيم فضله يعطيه دافعاً حافزاً إلى أن ينظر
إلى الأمام، ويسير على الدرب القويم بنفس ثابتة قوية لا تنتهيا الأهوال والشدائد بل تعطيهما
دفعاً إلى الأمام فتبذل أقصى ما في وسعها لتحقيق هدفها وغايتها.

وما أجمل صفات هذه العصابة التي ستحمل دين الله عز وجل⁽³⁾:

- "الحب والرضى المتبادل هو الصلة بينهم وبين ربهم.

(1) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج2، ص917.

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص72.

(3) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج2، ص918-920.

- (أدلة على المؤمنين) أخوة ترفع الحواجز، وتزيل التكلف وتخلط النفس بالنفس، فلا يبقى فيها ما يستعصي وما يحتجز دون الآخرين.

- (أعزة على الكافرين) وهي العزة للعقيدة، والاستعلاء للرأية التي يقفون تحتها في مواجهة الكافرين، إنها الثقة بأن ما معهم هو الخير، وأن دورهم هو أن يطوعوا الآخرين للخير الذي معهم لا أن يطوعوا الآخرين لأنفسهم ولا أن يطوعوا أنفسهم للآخرين وما عند الآخرين! ثم هي الثقة بغلبة دين الله على دين الهوى، وبغلبة قوة الله على تلك القوى فهم الأعلون.

- يجاهدون في سبيل الله، لا في سبيل أنفسهم، ولا في سبيل قومهم، ولا في سبيل وطنهم، ولا في سبيل جنسهم. في سبيل الله لتحقيق منهج الله وتقرير سلطانه، وتنفيذ شريعته وتحقيق الخير للبشر، وليس لهم في هذا الأمر شيء، وليس لأنفسهم من هذا حظ، إنما هو الله وفي سبيل الله.

- ولا يخافون لومة لائم، وفيهم الخوف من لوم الناس، وهم قد ضمنوا حب رب الناس؟ واستمدوا القوة والعزة من قوة الله وعزته، فما يبالون ما يقول الناس وما يفعلون، كائناتاً هؤلاء الناس ما كانوا، وكائناتاً واقع هؤلاء الناس ما كان.

قد تكون هذه العصبية في بيئة قد شوّحت فيها أصول الإسلام وأصول الإيمان، بيئة تمتلئ فيها الانحرافات والضلالات والبدع والأقاويل، أو قد تكون بيئة لا إيمان فيها بتاتاً فيخرج الله منها تلك العصبية وما ذلك على الله بعزيز كما أخرج الله عز وجل من قوم فرعون من يؤمنون به ويدافعون عن دينه، وكذلك العصبية من قوم نوح، فالله عز وجل قادر على إحياء نبتة في أرض موات ليس فيها حياة. "ألا يبعث هذا الانشراح والأمل في النفس ويرسم على وجهها ابتسامة مشرقة!؟"

ساسس بشارة في قوله تعالى: (وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)

[آل عمران: 139].

"لا تهنوا من الوهن والضعف، ولا تحزنوا لما أصابكم، ولما فاتكم، وأنتم الأعلون ... عقيدتكم أعلى فأنتم تسجدون لله وحده، وهم يسجدون لشيء من خلقه أو ليعض من خلقه! ومنهجكم أعلى ... فأنتم تسيرون على منهج من صنع الله، وهم يسيرون على منهج من صنع خلق الله! ودوركم أعلى ... فأنتم الأوصياء على هذه البشرية كلها، الهداة لهذه البشرية كلها، وهم شاردون عن النهج، ضالون عن الطريق ... ومكانكم في الأرض أعلى، فلکم وراثه الأرض التي وعدكم الله بها، وهم إلى الفناء والنسيان صائرون ... فإن كنتم مؤمنين حقاً فأنتم الأعلون. وإن كنتم مؤمنين حقاً فلا تهنوا ولا تحزنوا، فإنما هي سنة الله أن تصابوا وتصيبوا، على أن تكون لكم العقبى بعد الجهاد والابتلاء والتمحيص"⁽¹⁾.

فأي بشاره هذه التي تشرح الصدور، وتطمئن القلوب، وتجلي الهموم، وتهوّن الصعاب من الأمور، وتحيي الأمل في النفوس، فتنهض وتمسك بالمنهج الذي ارتضاه رب العزة لها وتدافع عنه.

إن صيغة التأكيد في قوله (وأنتم الأعلون) تريح النفس وتدفعها قدماً نحو الأمام، تدافع عن عقيدتها، تخطط وتنظم وتدرس الأمور جيداً، فمصيرها إلى نعيم دائم (وهي تعلم ذلك) ومصير غيرها إلى شقاء دائم.

"إن مشيئة الله تسير على نظم ثابتة وسنن حكيمة، ترتبط فيها الأسباب بالمسببات، والمقدمات بالنتائج، وإن كان الله قادراً على كل شيء، وتلك السنة في الماضين واللاحقين هي أن من سار على منهاج الطائعين المؤمنين الموفقين، حظي بالسعادة والنصر والفلاح، ومن سار في طريق العصاة المكذبين، كانت عاقبته خُسراً ودماراً وهلاكاً"⁽²⁾.

(1) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج2، ص418.

(2) الزحيلي، وهبة، التفسير المنير، ج4، ص98.

تففي أحوال السلم إن سار المرء على الأصول المطلوبة والنظم العلمية والخبرات المعروفة في شؤون الزراعة والصناعة والتجارة وغيرها، نجح وظفر بمراده، وإن كان ملحدًا أو وثنيًا أو مجوسياً، وإن جانب المعقول وخرج عن المألوف، كان من الخاسرين وإن كان صالحاً تقياً⁽¹⁾.

وفي أحوال الحرب إن أعدّ القائد العدة المناسبة في كل عصر لقتال العدو، كما قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ (الأنفال: 60) ودرّب الجيش على فنون الحرب تدريباً صحيحاً عالياً، تحقق النصر والغلبة، وإن أهمل الإعداد والتدريب، أدركته الهزيمة. ومن سار في الأرض، وتعقب أحوال الأمم، وتدبّر التاريخ وعرف الأخبار، يجد مصداق تلك السنة الإلهية الثابتة وهي الفوز لمن أحسن، والخيبة لمن أساء⁽²⁾.

فالعلو والتقدم والنهضة والريادة هي لكل من يُحسن التدبير والتخطيط والتنظيم ويدير الأمور ويبذل الجهود (الأخذ بالأسباب) ثم التوكل على الله، وكل ذلك في إطار منهجه عز وجل.

وما هذا إلا غيض من فيض؛ فالقرآن دستور يحمل في ثناياه بشارات عظيمة وسنن ثابتة حقيقية لا بد أن يدركها المسلم ويعيها، ويسير على منهج الله تعالى ليحظى بشرف المنزلة وعظيم فضل الله عليه.

(1) المرجع نفسه، ص 98.

(2) الزحيلي، وهبة، التفسير المنير، ج 4، ص 98.

المبحث الثاني مبشرات من السنة النبوية

كما تحفل السنة النبوية الشريفة بطائفة من الأحاديث تحمل في ثناياها بشارات خير، تحيي الأمل في النفوس، وتحرك الهمم للنهوض وعدم التوقع في الماضي والركون إلى اليأس والإحباط.

من هذه المبشرات:

- بقاء الطائفة المنصورة:

- عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة)⁽¹⁾.

- وعن المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ قال: (لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين، حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون)⁽²⁾.

نص يؤكد أن الخير سيستمر في هذه الأمة، وأنها لا تخلو من قائم لله بالحجة، ومن ناصر للحق، مستمسك به، حتى تقوم الساعة، وأن هذه الطائفة المنصورة باقية حتى يأتي أمر الله، وإن أصابها ما أصابها من لأواء وأذى. فالأمة الإسلامية قد تمرض ويصيبها السوهن، لكنها لا تموت ولا تعرف الفناء والذوبان⁽³⁾.

(1) مختصر صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب: نزول عيسى عليه السلام وكسر الصليب وقتل الخنزير، حديث رقم 2061، ص 549.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: قول النبي (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق يقاتلون)، ج 4، حديث رقم 7311، ص 1291.

(3) القرضاوي، يوسف، المبشرات بانتصار الإسلام، القاهرة، مكتبة وهبة، ط 2، 1999، ص 37.

فالرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه يخبرنا بوجود طائفة من المؤمنين باقية ما بقيت السموات والأرض، مدافعين عن الدين، ناشرين له وملتزمين به، "ظاهرين على الحق لا يضيرهم من خذلهم، ولا يتراجعون عن الحق، ولا يساومون عليه أبداً، حيثما كان الحق، فهم ظاهرون عليه، قائمون به، لا يتنازلون ولا يستسلمون، ليظل هذا الدين قائماً"⁽¹⁾، وهذا مما يطمئن القلوب ويشرح الصدور ويدعوها للتفاؤل والاستبشار بالخير.

ظهور المجددين في كل قرن:

قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا)⁽²⁾.

يهدف هذا الحديث إلى بعث الأمل في نفوس الأمة بأن جذوتها لن تخبو، وأن دينها لن يموت، وأن الله تعالى يقبض لها كل فترة زمنية - قرن من الزمن - من يجدد شبابها ويحيى مواتها⁽³⁾.

وتجديد الدين هو إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والعمل بمقتضاهما⁽⁴⁾، أما المجددون فهم جماعة من هذه الأمة ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ (آل عمران: 110)، بغض النظر كانوا أفراداً أم جماعات يتعاونون فيما بينهم على البر والتقوى ويقومون بمهمة تجديد الدين بتناسق وتكامل وتعاون وكأنهم بنيان مرصوص⁽⁵⁾.

"والتجديد يقع في كل قرن، فلا يبزغ قرن إلا ويبزغ معه فجر جديد، وأمل جديد وبعث جديد، حتى تستقبل الأمة المسلمة القرن بقلوب يحدها الرجاء في غدٍ أفضل، وعزائم مصممة على عمل أمثل، ونيات صادقة في تغيير الواقع بما يوافق الواجب، وخصوصاً أن

(1) النحوي، عنان، الصحة الإسلامية إلى أين؟ الرياض، دار النحوي، ط2، 1992، ص24.

(2) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين، كتاب الفتن والملاحم، ج5، حديث رقم 8770، ص425.

(3) القرضاوي، يوسف، من أجل صحة راشدة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 2001، ص13.

(4) أبادي، محمد شمس الدين، عون المعبود شرح سنن أبي داود، بيروت، دار الفكر، ط3، 1979، ج11، ص386.

(5) انظر: القرضاوي، يوسف، من أجل صحة راشدة، ص24، 25، 31.

المفروض في الأمة أن تقف على رأس القرن مع نفسها وقفة محاسبة وتقويم، محاولة أن تستفيد من ماضيها، وتنهض بحاضرها، وترقى بمستقبلها مبتهلة إلى ربها أن يكون يومها خيراً من أمسها، وغداً خيراً من يومها⁽¹⁾.

إن في الإنسان طاقة دفيئة لا بد أن تخرج يوماً ما ليحدث التغيير المطلوب، الريادة التي تصبو إليها النفوس المسلمة، العزة التي تجمع شمل هذه الأمة، القوة التي تحطم بها الزيف والظلم والانحراف والكفر المائل أمام العيون. طاقة ستدفع النفوس إلى تجسيد العقيدة فيها وتمثيلها على أرض الواقع ... قوة ستنفجر وتملأ رحاب الأرض نوراً وضياءً يشفي النفوس ويُجلي الهموم من الصدور ويحيي القلوب... لكننا نحتاج إلى الصبر والثبات وقوة العزيمة والإرادة الصلبة والنهوض أيضاً دون القعود والانتظار.

- اتساع دولة الإسلام في المشارق والمغرب:

ما روى عن ثوبان قال: قال: رسول الله ﷺ: (إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغربها، وإن أمتي سيبليغ ملكها ما زوى لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض)⁽²⁾.

في هذا الحديث إشارة إلى أن ملك هذه الأمة يكون معظم امتداده في جهتي المشرق والمغرب وقد وقع وهو واقع الآن⁽³⁾.

فهذا الحديث يبشر باتساع دولة الإسلام وبقوتها حتى تشمل المشارق والمغرب (أي الأرض كلها)⁽⁴⁾ وهذا خير كثير، فقد وصل الإسلام إلى جنوب باريس، وإلى سيبيريا وجبال الصين، وأندونيسيا وجزر الملايو، والفلبين ووسط أفريقيا، وهو بالغ بإذن الله ما هو أوسع من ذلك⁽⁵⁾.

(1) القرضاوي، يوسف، من أجل صحوة راشدة، ص30.

(2) زوى: جمع، والمراد بالكنزين: كنزي كسرى وقيصر ملكي العراق والشام.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، ج9، حديث رقم 2889، ص14.

(4) القرضاوي، يوسف، الميشرات بانتصار الإسلام، ص31.

(5) العفاني، سيد، ميشرات النصر والتمكين، ص93.

فانتشار الإسلام حقيقة وواقع وهو مما يبعث الأمل في النفس ويشرح الصدر، فدين الله أقوى وأمضى من أي دين آخر؛ لأنه دين الحق، ودين الهدى، دين قائم على الوضوح، بعيد عن التعقيدات، والترهات، دين يحاكي الواقع ويجسده في إطار المثل والمبادئ والقيم، دين لا يغالي ولا يتشدد بل يبسر الأمور ولا يعسرّها، دين يبشّر ولا ينفرّ، تعاليمه سمحه وأسلوبه لين لهذا ولغيره مما لا يتسع المقام لبيانته نجده أسرع انتشاراً وأكثر قبولاً للنفس.

- الانتصار على اليهود:

عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: (لتقاتلن اليهود، فلتقتلنهم حتى يقول الحجر: يا مسلم! هذا يهودي، فتعال فاقته)⁽¹⁾.

فالحديث الشريف يشير إلى أن كل شيء سيكون في صالح المسلمين، وضد أعدائهم اليهود، وأن النصر آتٍ لا ريب فيه، وأن أسطورة (القوة التي لا تقهر) التي يُشيعها اليهود لن تستمر، وأن الذين اغتصبوا فلسطين بقوة السلاح، سيخذلهم الله، الذي يُملي للظالمين، ثم يأخذهم أخذاً أليماً شديداً، ولن تغني عنهم ترسانتهم النووية التي يُدُلُّون بها، كما لم تغنِ حصون أسلافهم من بني النضير عنهم شيئاً، حين جاءهم بأس الله الذي لا يُرد عن القوم المجرمين⁽²⁾، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ نَخْرِجُوهُمْ وَظَنُّوا أَنَّهم مَابِعْتُهُمْ حُصُونَهُمْ مِنْ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ حَتَّسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَخَارِبُونَ بِيُوبِهِمْ بِأَيْدِيهِمُ الْمُؤْمِنِينَ فَأَعْتَبُوا بِتَأْوِيلِ الْأَبْصَرِ﴾ [الحشر: 2].

فالدولة القوية الظالمة الكافرة لن تبقى صامدة فترة طويلة بل ستتلاشى وستزول بإذن الله بوجود العصبة المؤمنة القائمة على منهج الله تعالى، فقول الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه (لتقاتلن اليهود) يشير إليها.

(1) أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، ج9، حديث رقم 2921، ص43.
(2) القرضاوي، يوسف، المبشرات بانتصار الإسلام، ص35.

- انتشار الإسلام في العالم كله:

ما رواه تميم الداري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدار ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز، أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر)⁽¹⁾،⁽²⁾.

فالحديث يبشر بانتشار الإسلام في الأرض كلها، ودخول الدين الحواضر والبادي، وغلبة هذا الدين على جميع الأديان، فالعزة لله ولدينه وللمؤمنين. وهذا يبعث راحة وطمأنينة وأملاً في النفس، ويستنهض الهمم للعمل والدفاع عن الدين الإسلامي.

- عودة الإسلام إلى أوروبا وفتح رومية:

عن أبي قبيل: قال: كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص، وسئل: أيّ المدينتين تفتح أولاً القسطنطينية أو رومية؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق، قال: فأخرج منه كتاباً، قال: فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله نكتب، إذ سئل رسول الله: أي المدينتين تفتح أولاً: القسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله: مدينة هرقل تفتح أولاً⁽³⁾.

"رومية هي روما عاصمة إيطاليا الآن، والقسطنطينية هي استنبول الآن، وقد تم فتح قسطنطينية (مدينة هرقل) على يد محمد بن مراد المعروف باسم (محمد الفاتح) في القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي سنة 857هـ/1453م.

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين، كتاب الفتن والملاحم، ج5، حديث رقم 8497، ص345.

(2) بيت مدر: هي البيوت التي من حجر وهي بيوت الحواضر.

وبيت وبر: هي بيوت البوادي التي من وبر وشعر.

أهل المتر: سكان البيوت المبنية خلاف البدو سكان الخيام. أنيس، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ج2، ص858.

(3) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب المغازي والسير، باب: فتح القسطنطينية ورومية، ج6، ص221، 222، وأخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين، كتاب الفتن والملاحم، ج5، حديث رقم 8727، ص412.

وبقي الجزء الثاني من البشرى: فتح رومية، وبه يدخل الإسلام مرة أخرى بعد أن

طرد منها مرتين، مرة من الأندلس، ومرة من البلقان، بإذن الله تعالى⁽¹⁾.

- عودة الرخاء والأمن إلى أرض العرب:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً)⁽²⁾.

وعنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال فيفيض، حتى يهيم رب المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه: لا أرب لي)⁽³⁾.

وعن أبي موسى مرفوعاً: (ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب! ثم لا يجد أحداً يأخذها منه)⁽⁴⁾.

وعن حارثة بن وهب مرفوعاً: (تصدقوا، فإنه يأتي عليكم زمان يمشي الرجل بصدقته فلا يجد من يقبلها، يقول الرجل: لو جنت بها بالأمس لقبلتها، فأما اليوم فلا حاجة لي بها)⁽⁵⁾.

وهذا كله دليل على ظهور الرخاء وورغد العيش، وزوال الفقر من المجتمع، بحيث لا يوجد فيه فقير يستحق الصدقة أو يقبلها، وهذا من بركات عدل الإسلام، وأثر الإيمان والتقوى

(1) القرضاوي، يوسف، المبشرات بانتصار الإسلام، ص30.

(2) أخرجه الحاكم في المستدرک علی الصحیحین، کتاب الفتن والملاحم، ج5، حدیث رقم 8647، ص387.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب: الصدقة قبل الرد، حدیث رقم 1412، ص273.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب: الصدقة قبل الرد، حدیث رقم 1414، ص274.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب: الصدقة قبل الرد، حدیث رقم 1411، ص273.

في حياة الناس، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ (الأعراف: 96)⁽¹⁾.

وهذا مما يبعث الأمل والراحة النفسية وانسراح الصدر والطمأنينة لدى المسلم؛ حيث إن انتشار الرخاء والأمن ووجود المال بكثرة بين المسلمين فيه خير كثير فهو يدفع النفس لتنهض بمجتمعها فتعمل وتخطط وتدرس الأمور كل حسب اختصاصه، فالإقتصاد القوي ينعش الدولة ويرقى بها إلى مصاف الدولة المتقدمة، كيف ذلك؟ باستثمار الأموال المتواجدة في مجالات عدة وبوجود أهل الاختصاص في حقول متعددة يساهم ذلك في إنعاش الدولة اقتصادياً وأيضاً في كل المجالات.

- عودة الخلافة على منهاج النبوة:

عن الحذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: (تكون النبوة ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضاً فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت)⁽²⁾،⁽³⁾.

هذا الحديث يبشّر بعودة الخلافة القائمة على العدل والشورى ورعاية حدود الله وحقوق العباد كالتي كانت زمن الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه. وهذا يريح النفس ويطمئنها ويبعث الأمل الغائب ويحييه من جديد.

(1) القرضاوي، يوسف، المبشرات بانتصار الإسلام، ص 33.

(2) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب الخلافة، باب: كيف بدأت الإمامة وما تصير إليه والخلافة والملك، ج 5، ص 191، 192.

(3) ملك عضوض: ما يصيب الرعية فيه من عسف وظلم وكأنهم يعضون فيه عضاً. ملك الجبرية: ملك عتو وقهر. يقوم على الجبروت والطغيان. الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1986، ج 5، ص 192.

إن منبع الراحة والطمأنينة ودوام السعادة واستقرار النفس والإحساس بالأمان ووجود
المودة والرحمة والعلاقات الإنسانية بين المسلمين هو وجود الإسلام وتطبيق منهج الله تعالى
والالتزام به في الواقع المعاش.

إن انتشار الإسلام اليوم وغداً واستقراره في النفس وتمثله في جوارحها، والدفاع عنها
والتمسك به والصبر والثبات في وجه الشدائد والأهوال لم يأت من فراغ، إنما هو لأجل مبادئه
وقيمه ومثله القائمة على العدل والرحمة والأخوة والمحبة لله وفي الله وغير ذلك كثير.

هو الأمل لكل إنسان والباعث عليه في الوقت نفسه فهو يحرك النفس بما فيها من
دوافع وطاقة دفينية وقدرات تحتاج إلى إخراجها واستثمارها فيما هو خير لها ولمجتمعها، فيه
يجد الإنسان احترام ذاته وتقديرها، ويجد فيه إنسانيته المغيبة، فيرقى بأمتة وينهض بها.

المبحث الثالث

مبشرات من التاريخ الإسلامي

يحفل التاريخ الإسلامي بمبشرات تثبت أفئدة المسلمين وتولد فيها يقظة الروح، وتبعث الأمل وتحية من جديد في النفوس. تاريخ سطر بدماء الشهداء مواقف تحرك الهمم للنهوض وتدفعها للمضي قدماً على النهج الذي سار عليه المسلمون الأوائل الذين بذلوا أرواحهم في سبيل نشر هذا الدين وإعمارها في قلوب المسلمين.

مواقف تصوّر البطولات التي أحرزها وحققتها المجاهدون، الذين لم يرضوا بالذل والهوان للإسلام والمسلمين، الذين وحدوا كلمة المسلمين لتقف حجر عثرة في وجه الكفار الذين يحاولون بثتى الطرق والوسائل القضاء على الإسلام.

أمة أثبتت أنها أقوى ما تكون في الشدائد والأحوال والمحن، فهي تدخر طاقات روحية لا تبرز إلا في تلك المواقف، أمة توقن بأن النصر لا يكون إلا من عند الله ولو بعد حين، فما بعد الضيق إلا الفرج ولن يغلب عسر يسرين.

من تلك المبشرات:

غزوة بدر

"التي انتصر فيها المسلمون وهم أقل عدداً وعدة وأضعف استعداداً وتهيؤاً للحرب من الناحية النفسية، فقد خرجوا من بيوتهم للعرير وليس للنفير، فلم يكن القتال في نيتهم. وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴿٥﴾ مُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ (الأنفال: 5-6).

غزوة لم تكن في الحسبان ومع هذا كان النصر حليف المؤمنين حينما استغاثوا بالله فأعائهم. قال تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَعِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الَّامَلِكَةِ

مُرْدِفِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ

إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿الأنفال: 9-10﴾.

نرى فيها موقف الرسول الكريم وهو يدعو ربه في ذلك اليوم ويلج في الدعاء حتى سقط رداؤه. فأخذه أبو بكر ورده على منكبيه وهو يقول: يا رسول الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك وعدك⁽¹⁾.

موقف القائد المتصل بالله عز وجل مع إعداده للمسلمين للحرب ولكن المؤمن يوقن أن النصر لا يكون إلا من عند الله عز وجل فيدعو ربه ويتوكل عليه.

ونرى فيها معية الله عز وجل ﴿لَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ

رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿الأنفال: 17﴾.

تدبير فوق تدبير البشر، وقوة قاهرة فوق قوة البشر، إن لهذا الدين رباً يتولى أصحابه متى أخلصوا له وتوكلوا عليه واستغاثوا به وعلموا أن النصر منه⁽²⁾.

ونرى فيها امتنان الله عز وجل عليهم بإنزال النعاس عليهم والمطر وكان ذلك قبل التحامهم مع أعدائهم، قال تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمْ النَّعَاسَ أُمَّةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً يُطَهِّرُكُم بِهِ وَيُذَهِّبُ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ (الأنفال: 11).

وفي امتنان الله عليهم بالنوم تقوية لهم بالاستراحة قبل القتال، وإزالة الرعب من قلوبهم، وإنزال المطر عليهم فيه تطهير لهم حسياً ومعنوياً، إذ ربط الله به على قلوبهم وثبت به أقدامهم، فالناظر في منقطة بدر يجد رمالاً متحركة ومن العسير المشي عليها ولها غبار

(1) انظر: الصلابي، علي محمد، السيرة النبوية، ج2، ص525، 527، 544، 545.

(2) مصطفى، أسامة نعيم، نصر الأمة الإسلامية في علو الهمة، عمان، دار الفرقان، ط1، 2005، ص18.

كثير، فلما نزلت الأمطار تماسكت تلك الرمال وسهل السير عليها وانطفأ غبارها وهذا كله
نعمة من الله على عباده⁽¹⁾.

ونرى إمداد الله عز وجل لهم بالملائكة أثناء القتال، قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَىٰ

أَلْمَلَأِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّثُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلِيَ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرَبُوا

فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ (الأنفال: 12)، ففيه تثبيت لقلوب المؤمنين بما ألقاه

الملائكة من بواعث الأمل في نصرهم، والنشاط في قتالهم، وبما أظهره لهم من أنهم معانون
من الله تعالى ومن اشتراكهم الفعلي في القتال⁽²⁾.

كانت بدر ملحمة لا غنيمة، معركة بين الحق والباطل، أَرادها الله ليحق الحق ويبطل

الباطل ويوهن كيد الكافرين ويذل كبرياء رؤوس الكفر ويخضد شوكتهم، وتعلو راية

الإسلام⁽³⁾، عقيدة متينة ثابتة راسخة في نفوس المسلمين، قصة حق انتصر على باطل، قصة

تؤكد معية الله تعالى للمؤمنين إن نصره، قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ

يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد: 7)، قصة تؤكد أن النصر لا يكون إلا من عند الله تعالى

وليس بالعدد والعدة. كما توهم صناديد الكفر، قال تعالى: ﴿وَمَا أَلْنَصُرْ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ

اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الأنفال: 10). واقعة تعطي الأمل في النفوس وتحببه من جديد فتترك أن

معية الله أقوى معين لها.

(1) انظر: الصلابي، علي محمد، السيرة النبوية، ج2، ص538، 539.

(2) المرجع نفسه، ج2، ص549.

(3) انظر: العفاني، سيد، مبشرات بالنصر والتمكين، ص146.

المسند، عبد العزيز، متى ينتصر المسلمون؟ الرياض، الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون، ط1،
1980، ص31.

غزوة الأحزاب

واقعة تبعث في النفوس اطمئناناً وانشراحاً في الصدر وأملاً وضاءً، وتفاؤلاً واستبشاراً بالخير؛ فقد كانت العناية الإلهية مدداً ضخماً وعظيماً، أزال عن قلوب وصدور المؤمنين أثقالاً وأعباءً كادت أن تغرقهم في بحرٍ لُجِّي.

"حصار منيع، وكرب شديد وهول فظيع أنزله أعداء الإسلام بالمسلمين. فقد خرجت قريش بعشرة آلاف مقاتل؛ أربعة آلاف منها ومن أحلافها، وستة آلاف من غطفان وأحلافها وقد نزلت تلك الأعداد الهائلة بالقرب من المدينة مشكّلةً بذلك حصاراً عليها. بالإضافة إلى ذلك نقض يهود بن قريظة عهدهم مع رسول الله ﷺ، فاشتد بذلك الكرب على المسلمين وتأزم الموقف وقد تحدث القرآن الكريم عن حالة الحرج والتدهور التي أصابت المسلمين ووصف ما وصل إليه المسلمون من جزع وخوف وفزع في تلك المحنة الرهيبة أصدق وصف حيث قال تعالى: ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ

الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾

(الأحزاب: 10-11) (1).

لم تكن معركة خسائر بقدر ما كانت معركة أعصاب، فقد كان مصير الرسالة العظمى أشبه بمصير رجل يمشي على حافة قمة سامقة، أو حبل ممدود محفوف بالمخاطر، لقد أمسى المسلمون وأصبحوا فإذا هم كالجزيرة المنقطعة وسط طوفان يتهددها بالغرق ليلاً أو نهاراً (2).

لكن الإيمان القوي والعقيدة الثابتة المتينة لم تتزعزع في قلوب المؤمنين، فظن المؤمنون بالله كان قوياً، وقد سجله القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ

(1) انظر: الصلابي، علي محمد، السيرة النبوية، ج2، ص743، 749.

(2) السبيعي، خالد، أمة لن تموت، على شبكة الإنترنت: www.almeshkat.net.

قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿

(الأحزاب: 22).

يقين تام بقدرة الله وعظمته لا يتزعزع ولا تشوبه شائبة، يقين مزروع في القلوب قبل العقول، كأنه حصن منيع يجابه أقوى الخصوم وأعتها.

ما من كربة تدوم ولن يغلب عسرٌ يسرين، إذ أقبلت بعد هذا الحصار بشائر الفرج والخير من الله تعالى بعد التضرع والدعاء والاستعانة به عز وجل، فقد صرفهم الله بحوله وقوته، وزلزل أبدانهم وقلوبهم، وشتت جمعهم بالخلاف، ثم أرسل عليهم الريح الباردة الشديدة، وألقى الرعب في قلوبهم، وأنزل جنوداً من عنده سبحانه، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا بِعِمَّةِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ؕ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿(9)﴾ (الأحزاب: 9)⁽¹⁾.

فهتف رسول الله ﷺ (قائلاً لا إله إلا الله وحده، أعز جنده، ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده، فلا شيء بعده)⁽²⁾.

شكر العبد لربه، وثناؤه عليه، ويقينه بقدرة الله عز وجل. قال تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ

كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ؕ وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ؕ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا ﴿

(الأحزاب: 25).

نصر من الله العزيز الذي لا يخيب حسن ظن عباده به، مسلمون قد أخذوا بالأسباب المادية لمواجهة الأعداء، ثبتوا ولم يتزعزعوا، وصبروا ولم يتململوا، وخططوا وبنلوا الجهود الحثيثة في ذلك؛ فهم موقنون بفرج آتٍ من الله تعالى ونصرٍ منه عز وجل مع أنهم قلة أمام

(1) انظر: الصلابي، علي بن محمد، السيرة النبوية، ج2، ص755.

(2) المرجع نفسه، ص756.

جيش الكفار القوي الذي حاصرهم وشدد عليهم الحصار، لكن قوة الإيمان تضاهي العدد والعدة، فقوة الله تعالى قوة قاهرة فوق قوة البشر.

الحروب الصليبية

سجل لنا التاريخ المجازر التي أحدثها الصليبيون بزحفهم نحو الشرق الإسلامي، وإقامتهم لإماراتهم المتعددة، وتوسعهم فيه بحملاتهم الصليبية، ونهب خيراته، ومحاولة القضاء على الإسلام والمسلمين لقرابة قرنين من الزمان.

"وما كان ذلك إلا بسبب الوهن الذي كان يعاني منه العالم الإسلامي آنذاك، من التفرق والتمزق والتشردم في كيان الأمة الإسلامية، والتناحر بين الأمراء والحكام، والحرص على المصالح الشخصية وتقديمها على المصالح العامة للإسلام والمسلمين، والمؤامرات والفتن والدسائس والخيانات التي كانت الطابع العام للقائمين على الخلافة الإسلامية"⁽¹⁾.

"إنّ الفظائع التي ارتكبتها الصليبيون بحق المسلمين في بيت المقدس وغيره تشيبت لهولها الولدان وتقتصر منها الأبدان، وتدل بوضوح على مدى حقدهم الأسود على الإسلام والمسلمين. فالتاريخ يخبرنا أنه لما احتل الصليبيون بيت المقدس عاثوا فيها فساداً. فأزهقوا آلاف الأرواح المؤمنة، وسفكوا دماء المسلمين رجالاً ونساءً وشيوخاً وأطفالاً وعباداً وزهاداً وفقهاء، ومحدثين، ونهبوا الأموال ودنسوا المسجد الأقصى، فشرّبوا فيه الخمر، وارتكبوا الفواحش، وعلقوا فيه الصليب، ومنعوا الأذان، ونهبوا ما في المسجد الأقصى وقبة الصخرة من قناديل ثمينة ذهبية فضية"⁽²⁾.

قال ابن الأثير في ذلك:

وقتل الفرنجة بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً، منهم جماعة كبيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم، ممن فارق الأوطان وجاور بذلك الموضع الشريف،

(1) انظر: المقدسي، شهاب الدين عبد الرحمن إسماعيل إبراهيم، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2002، ج1، ص20-23.

(2) أبو فارس، محمد عبد القادر، تأملات ودروس في الحروب الصليبية، عمان، جبهة للنشر والتوزيع، ط1، 2002، ص39، 40.

وأخذوا من عند الصخرة نَيْقاً وأربعين قنديلاً من الفضة، وزن كل قنديل ثلاثة آلاف وستمائة درهم، وأخذوا تنوراً من فضة⁽¹⁾.

وعندما دخلوا الشام قتلوا كثيراً من أهلها وسبوا نساءهم ونهبوا أموالهم ولم يسلم إلا من مضى منهزماً⁽²⁾.

فترة طويلة من الزمان والعالم الإسلامي تحت وطأة استعمار بشع مُذل ومُهين ومدمر وساحق لكل ما يعترض طريقه، قاس لا يرحم، فترة اشتد ظلامها الحالِك حتى استقرّ في النفوس أن لا مخرج، واليأس من قيام دولة الإسلام مرة أخرى، قرنان من الزمان والمسلمون في حالة من الضياع والرعب والضعف والذهول.

حتى قيّض الله لهذه الأمة من ينهض بها ويرعاها وينتشلها من براثن العدو الذي أحكم قبضته عليها وضيق الخناق حولها، ويؤمن روعتها ويعيد لها الأمل الذي انقطع جذوته في النفوس والابتسامة التي غابت عن الوجوه، والطمأنينة التي زالت من الصدور، يقظة إسلامية تمثلت في شخصيات إسلامية غيورة وضعت جهاد الصليبيين وطردهم في بلاد المسلمين نصب عيونها، فأعدت العدة لذلك فقامت بتوحيد كلمة المسلمين.

"أولى هذه الشخصيات عماد الدين زنكي الذي اتسم بإخلاصه المطلق لقضية المقاومة الإسلامية ضد الوجود الصليبي والتي انطلق إخلاصه لها من قوة عقيدته الدينية، وقد كان له فضل الريادة في التغلب على الانقسامات والخلافات، وإيجاد نواة الانتقال بالشرق العربي الإسلامي إلى مستوى جبهة تظنها رابطة الدين الإسلامي وغايتها التصدي للعدوان الصليبي، وتمثل ذلك عملياً في الوحدة بين الموصل وحلب، وهي الوحدة التي كان من أهم آثارها الإيجابية لحركة المقاومة إسقاط الرها الصليبية سنة 539هـ"⁽³⁾.

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، بيروت، دار صادر، ط2، 1979، ج10، ص283، 284.

(2) المرجع نفسه، ج10، ص325.

(3) انظر: أبو سعيد، حامد غنيم، الجبهة الإسلامية في مواجهة المخططات الصليبية، القاهرة، دار السلام، ط1، 2007، ص170، 431.

وقد حقق انتصارات عظيمة ووجه ضربات للصليبيين أقواها استيلاؤه على الرها أول إمارة صليبية، فقد كانت سقوطها صدمة نفسية مؤلمة وعنيفة على الصليبيين ترددت أصدائها في كل مكان، وسقوطها بعد أقل من خمسين عاماً على استيلاء بلدوين دي بويون عليها كان نذير شؤم بالنسبة لهم (1).

كان لانتصاراته العظيمة التي تمثلت في فتوحه للبلدان المستعمرة، واستيلائه على عدة حصون صليبية الأثر الكبير في قلب الموازين لصالح الجبهة الإسلامية (2).

تولى من بعده سياسة توحيد الجبهة الإسلامية ابنه نور الدين محمود زنكي الذي كان له أيضاً الفضل الكبير في توحيد المسلمين وجمع كلمتهم وانتصارهم على الصليبيين، فقد قام بتوحيد مصر والشام وحقق انتصارات عديدة، في حين كان الصليبيون يتراجعون ويفقدون المكاسب التي سبق لهم أن حققوها قبل اليقظة الإسلامية (3).

ثم قيض الله من بعده نائبه وتلميذه القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي الذي نشأ على العقيدة ورأى التطبيق العملي المؤمن لها في بلاط نور الدين، وقد تشبع بروح العدل في الرعية والحرص على رخاء الشعب ورفاهيته (4).

شخصية حملت على عاتقها همّ الدفاع عن المقدسات، وقررت قتل اليأس في نفوس المسلمين، وإحياء النخوة والقوة بداخلهم من جديد، فكان ظهورها ميلاداً للأمل الذي طال انتظاره ورجاء شكّ الكثيرون في تحقيقه (5).

(1) انظر: المقدسي: شهاب الدين، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج1، ص37.

(2) انظر: أبو سعيد، حامد غنيم، الجبهة الإسلامية في مواجهة المخططات الصليبية، ص167، 177.

(3) انظر: المرجع نفسه، ص181، 182.

(4) انظر: قاسم، أنيس، تأملات في الاحتلالين الصليبي والصهيوني، ليبيا، الدار العربية للكتاب، ط1، 1975، ص108، 109.

(5) عبده، محمد، التفاؤل من أخلاق الكبار، 2008/3/5، على شبكة الإنترنت.

مجاهد وضع نقطة التحول البارزة لصالح كفة المسلمين في معركة حطين سنة 583هـ/1187م التي تعتبر من المعارك الحاسمة في تاريخ الحروب الصليبية. فبانتصار المسلمين فيها أصبحت كل المدن الصليبية مواقع مفتوحة أمام صلاح الدين وقواته، وعلى إثرها فتح مدينة القدس وطهرها مما كان فيها من الصليبان والقساوس والرهبان، وأذن فيها المؤذنون، وزال البؤس وطابت النفوس بعد تسعين عاماً من غياب الأقصى⁽¹⁾.

حروب التتار

وكما تعرّض الإسلام للغزو الصليبي، تعرّض للغزو المغولي الذي حرق ونهب وذبح وسعى في الأرض فساداً. فلم تكن لهم قيم يحتكمون إليها، أو عهود يلتزمون بها، من حاربهم قاتلوه، ومن استسلم لهم أيضاً قتلوه ونجوه، استطاعوا تخريب العالم الإسلامي وتدميره، نهبوا الأموال المصانة، وداسوا القيم المقدسة، وفتكوا بالأنفس البريئة، وهدموا الأعراس المحرمة، وقامت سياستهم على تهديد وترعيب الملوك والحكام بالخطابات التي كان يرسلها هولاء لهم. مجازر ترتعد لها الفرائص، وتسكن الرعب في النفوس، وتُخيم في القلوب⁽²⁾.
لم تكن للمسلمين آنذاك من كلمة ووحدة وقوة وقيادة واحدة تجمعهم بل كانوا متفرقين، ممزقين، يتكالب حكاهم وأمرؤهم على الحكم والسلطة، فتنازعهم أهواؤهم وشهواتهم وملذاتهم على التفرد بالحكم. هذا هو حالهم آنذاك. دخلوا بغداد سنة 656هـ واستولوا على الخلافة العباسية وقتلوا الخليفة المستعصم بالله، وبقوا في بغداد مدة أربعين يوماً يقتلون ويذبحون وينهبون ويدمرون حتى غادروها خراباً ليس لها قائمة. ثم زحفوا إلى الشام سنة 657هـ فحاصروا المدينة ونصبوا عليها المنجنيقات، من كل ناحية حتى استولوا عليها فقتلوا وسبوا من أهلها خلقاً كثيراً⁽³⁾.

(1) انظر: أبو سعيد، حامد غنيم، الجبهة الإسلامية في مواجهة المخططات الصليبية، ص 277.

العفاني، سيد، مبشرات النصر والتمكين، ص 162.

(2) انظر: عبده محمد، التفاؤل من أخلاق الكبار، على شبكة الإنترنت.

(3) انظر: ابن كثير، البيداء والنهاية، تحقيق: أحمد أبو ملحم، وآخرون، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1985، ج13، ص 213-216.

شليبي، محمود، حياة الملك قطز (قاهر التتار)، بيروت، دار الجيل، ط1، 1992، ص 197، 198.

ثم دخلت سنة 658هـ وقد استهلّت وليس للناس خليفة، وملك العراقيين وخراسان وغيرها من بلاد المشرق للسلطان هولكو ملك التتار، وسلطان ديار مصر الملك المظفر سيف الدين قطز، وحال المسلمين في هوان وذل ممن يرزحون تحت وطأة الاستعمار المغولي. بينما كان هذا حال المسلمين تواترت الأخبار بقصد التتار بلاد الشام فدخل جيش المغول بصحبة ملكهم هولكو وجاوزوا الفرات على جسور عملوها، ووصلوا إلى حلب، فحاصروها سبعة أيام ثم افتتحوها بالأمان، ثم غدروا بأهلها وقتلوا منهم خلقاً لا يعلمهم إلا الله، ونهبوا الأموال، وسبوا النساء والأطفال، وجرى عليهم مما جرى على أهل بغداد، فجاسوا خلال الديار وجعلوا أعزة أهلها أذلة. وقد بلغ ذلك السلطان قطز ومن أنهم عازمون على الدخول إلى ديار مصر فبادرهم قبل أن يبادروه وبرز إليهم وأقدم عليهم قبل أن يقدموا عليه، فخرج في عساكره وقد اجتمعت الكلمة عليه، حتى انتهى إلى الشام واستيقظ له عسكر المغول وعليهم كتبغا، فكان اجتماعهم في عين جالوت يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان من هذه السنة، فاقتتلوا قتالاً عظيماً فكان النصر حليف المسلمين وقتل كتبغا (أمير المغول)⁽¹⁾.

معركة من المعارك الفاصلة في التاريخ، التي وضعت نهاية حاسمة لزحف المغول المدمر نحو البلاد الإسلامية، بقيادة بطل مجاهد واجه الكثير من التحديات، والعديد من الصعوبات، صارعه المحن في أشد صورها، يأس متمكن من النفوس، واستسلام مذل للعدو، فما كان منه إلا أن حرك النفوس واستثار الهمم وحضّ المسلمين على الجهاد، فأعاد الانتصار الوحدة بين شطري الجبهة الإسلامية مصر وبلاد الشام⁽²⁾.

لقد سطر هؤلاء الأبطال بسيرتهم وأخلاقهم وقوة بأسهم ووضوح هدفهم وعتيق دتهم المتينة صفحات مضيئة من المقاومة والاستبسال والنصر على أعداء الإسلام، تاريخ يبعث الأمل في النفوس ويحييه من جديد، ويعزز فينا أن هذه الأمة لا تموت حتى وإن طالّت مدة

(1) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص231-234.

(2) انظر: عبده، محمد، التقاؤل من أخلاق الكبار، شبكة الإنترنت.

أبو سعيد، حامد غنيم، الجبهة الإسلامية في مواجهة المخططات الصليبية، ص423، 424.

الخشوع والذل والهوان والاستسلام للاستعمار الشنيع بكل صورته، بل إنها أقوى ما تكون وأمضى وأشدّ عوداً في الشدائد والملمات والخطوب، فتحيا من جديد مترسة بترسانة قوية متينة شديدة هي العقيدة الإسلامية، واليقين التام بقدرة الله تعالى على كشف الغمة وإزالة البلوى وتحويل المحنة إلى منحة تنفيؤ بظلالها وتنعّم بها بعد لحظات الشدة والكرب.

إنّ التاريخ الإسلامي بما يحمله من انتصارات يعطي الأمل واليقين بغدٍ مشرق. فما من فترة تعلوها الويلات والنكبات والوهن الذي يصيب الإسلام والمسلمين إلا ويلبها فترة يعلوها المجد والعزة والانتصار والقيادة للإسلام والمسلمين، فما بعد الضيق إلا الفرج وقد تحقّق ذلك بالمبشرات التي تمّ ذكرها في هذه الصفحات وستتحقق بإذن الله في المستقبل القريب.

نظرة فاحصة

إنّ الناظر لأحوال المسلمين اليوم من التفرق والتشرذم، والصراعات والخلافات، والانقسامات الطائفية، والخضوع المذعن والمهيمن للكفار، والاهتمام بالمصالح الشخصية على حساب المصالح العامة للإسلام والمسلمين، يرى أنها الحالة أو الوضع نفسه في الماضي، وكيف انبثقت منهم شخصيات فذة قادت المسلمين، ووحدت كلمتهم، وحققت انتصارات ساحقة ضد الكفار، وهذا يعطينا أملاً في الخروج من هذه الحالة التي نحن عليها ولو بعد حين.

المبحث الرابع مبشرات من السنن الإلهية

الأمر لا تمضي في الناس جزافاً، والحياة لا تجري في الأرض عبثاً، فهناك نواميس ثابتة تتحقق، ولا تتبدل ولا تتحول⁽¹⁾، وسنة الله هي الطريقة المتبعة في معاملة الله تعالى للبشر بناء على سلوكهم وأفعالهم وموقفهم من شرع الله وأنبيائه وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة⁽²⁾.

وسنة الله ثابتة لا تتغير، عامة يسري حكمها على الجميع، مطردة لا تتخلف⁽³⁾. قال تعالى: ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب: 62]، وقال تعالى: ﴿ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ (فاطر، 43)، بدليل قصص وأخبار الأمم السابقة الوارد ذكرها في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران: 137-138).

حقيقة يقرها الله ويعلمها للناس، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء: 87]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ (النساء: 122) كي لا ينظروا الأحداث فرادى، ولا يعيشوا الحياة غافلين عن سننها الأصلية، محصورين في فترة طويلة من الزمان، وحيز محدود من المكان، ويرفع تصورهم لارتباطات الحياة وسنن الوجود، فيوجههم دائماً إلى ثبات السنن

(1) العفاني، سيد، مبشرات النصر والتمكين، ص 171

(2) زيدان، عبد الكريم، السنن الإلهية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1993، ص 13.

(3) المرجع نفسه، ص 14، 15.

واطراد النواميس، ويوجه أنظارهم إلى مصداق هذا فيما وقع للأجيال قبلهم، ودلالة لذلك الماضي، على ثبات السنن واطراد النواميس⁽¹⁾.

ومعرفة سنن الله جزء من معرفة الدين، وهي معرفة ضرورية؛ فهي تبصرنا بكيفية السلوك الصحيح في الحياة حتى لا تقع في الخطأ والغرور والأمانى الكاذبة، وبذلك تنجو مما حذرنا الله منه، ونظفر بما وعد الله به عباده المؤمنين المتقين⁽²⁾.

وهناك مبشرات من سنن الله تعالى تبشر بالخير وتبعث الأمل وتحييه من جديد في النفوس، وتبث الطمأنينة فيها وتحرك العقول للتفكير العميق وما يتبعه من جهود حثيثة للنهوض بالمجتمع والرقى به، وانتشاله من أحضان العيب والفساد، واللهو والشرك والخنوع إلى منابع الخير. فيسير على المنهج الذي ارتضاه رب العزة لنا، الذي كان نقطة تحول للمسلمين الأوائل فكانوا بذلك سادة الدنيا.

أولى هذه السنن المبشرة بالخير
سنة التغيير:

قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكْ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَذَّابٍ ءَالٍ فِرْعَوْنِ ۗ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ ۗ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٥٤﴾ (الأنفال: 53، 54).

يقول سيد قطب في معرض هذه الآية الكريمة:

إنه من جانب، يقرر عدل الله في معاملة العباد؛ فلا يسلبهم نعمة وهبهم إياها إلا بعد أن يغيروا نواياهم، ويبدلوا سلوكهم، ويقبلوا أوضاعهم، ويستحقوا أن يغير ما بهم مما أعطاهم إياه للابتلاء والاختبار من النعمة التي لم يقدرها ولم يشكروها ... ومن الجانب الآخر يكرم

(1) العفاني، سيد، مبشرات النصر والتمكين، ص 171.

(2) زيدان، عبد الكريم، السنن الإلهية، ص 16، 17.

هذا المخلوق الإنسان أكبر تكريم، حين يجعل قدر الله به ينفذ ويجري عن طريق حركة هذا الإنسان وعمله، ويجعل التغيير القدرى في حياة الناس مبنياً على التغيير الواقعي في قلوبهم ونواياهم وسلوكهم وعملهم، وأوضاعهم التي يختارونها لأنفسهم...، ومن الجانب الثالث يلقي تبة عظيمة -تقابل التكريم العظيم- على هذا الكائن، فهو يملك أن يستبقي نعمة الله عليه ويملك أن يزداد عليها، إذا هو عرف فشكر، كما يملك أن يزيل هذه النعمة عنه إذا هو أنكر وبطر، وانحرفت نواياه فانحرفت خطاه⁽¹⁾.

وهذا ما حصل لفرعون ومن سار ويسير على نهجه، فانه عز وجل أعدل من أن يظلم الناس، فهو سبحانه لا يغير نعمة أنعمها على أحدٍ إلا بسبب ذنب ارتكبه. وهذا ما حصل للاتحاد السوفييتي الذي انهيار وأصبح دولا مفككة بعد أن كان قوة عظمى لا تقهر والولايات المتحدة الأمريكية على الطريق نفسه بإذن الله.

"فانه تعالى لا يحدث للناس حالاً من النعيم أو البؤس إلا إذا أحدثوا لأنفسهم حالاً غيروا به ما كانوا عليه من الخير والهدى، فعاثوا في الشر والفساد، أو ما كانوا عليه من الطغيان والإفساد، فثابوا إلى الخير، وأنابوا إلى ربهم تائبين"⁽²⁾.

وتباشير الخير في هذه السنة من وجهين:

الوجه الأول:

يكن في أن النعم والآلاء التي يتبحر بها أهل الفساد والطغاة والمتجبرين لن تدوم طويلاً، والقوة التي لهم في كل المجالات السياسية والاقتصادية والتقنية، والحربية، والعلمية... أيضاً لن تبقى؛ فالتمكين المادي الذي بسطه الله تعالى لهم سيزول فهم بالرغم مما هم عليه من النعم والقوة إلا أنهم يفتقدون البركة والطمأنينة البابين اللذين لن يفتحا للكفار أبداً

(1) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج3، ص1535، 1536.

(2) عرجون، محمد الصادق، سنن الله في المجتمع من خلال القرآن، جدة، الدار السعودية للنشر، ط1، 1971، ص50.

لارتباطهما بالإيمان الصادق والتقوى، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ (الأعراف: 96)، وواقع الغرب اليوم هو شاهد على ذلك، ومآلهم سيكون كما تقدمهم من الطغاة الذين عاندوا الرسل وبعثوا على ربهم فأخذهم الله بذنوبهم عدلاً منه تعالى⁽¹⁾ وهذا يبعث في النفس أملاً وتفاؤلاً واستبشاراً بالخير⁽²⁾.

الوجه الثاني:

يكمن في أن تغيير حال المسلمين اليوم من الشقاء إلى السعادة، ومن النذل إلى العزة، ومن الضعف إلى القوة، ومن فقدان الثقة الذاتية إلى تحقيق الذات، ومن الضلال إلى الهدى لن يكون إلا إذا غيرنا ما بأنفسنا، فانه تعالى يقول: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ (الرعد: 11).

"والتغيير المطلوب ليس في العواطف السلبية ولا بالخطب الكلامية بل بالوحدة الإيمانية والعملية، وحدة يشعر فيها كل شعب مسلم، وكل أمة مسلمة وكل جماعة مسلمة، وكل حاكم مسلم وكل محكوم مسلم أينما حل من أرض في وطن مسلم أو غير مسلم، بمسؤوليته مسؤولية إيجابية عملية، تتحقق بالمشاركة الفعلية في حرب أعداء الإسلام المتكالبين عليه، وعلى أية صورة تبلغها أقصى طاقة المسلم، بالمال أو بالنفس أو الرأي والتدبير والدعاية الصادقة"⁽³⁾.

إيمان يعمر قلوب القادة والشعوب على حدٍ سواء، إيماناً يدفع الدعاة في ظل مسؤوليتهم العظمى ويدفع الرعية معهم تأسياً بهم إلى الرجوع إلى الله، رجوعاً لا تدفعه الأماني والتشبث بمظاهر جوفاء لا تغني عند الله شيئاً⁽⁴⁾.

فنصر الله للمسلمين مشروط بنصرتهم له قال تعالى: ﴿ يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (محمد: 7). ونصرتة تكون بتجرد النفس له تعالى وعدم

(1) انظر: عرجون، محمد الصادق، سنن الله في المجتمع من خلال القرآن، ص 52، 53.

(2) قطب، محمد، حول التأسيس الإسلامي للعلوم الاجتماعية، القاهرة، دار الشروق، ط 1، 1998، ص 100.

(3) انظر: عرجون، محمد الصادق، سنن الله في المجتمع من خلال القرآن، ص 53، 54.

(4) المرجع نفسه، ص 56.

الإشراك به، وألا نَسَلْبِقِي فِيهَا مَعَهُ أَحَدًا وَلَا شَيْئًا، وَأَنْ يَكُونَ اللَّهُ تَعَالَى أَحَبَّ إِلَيْهَا مِنْ ذَاتِهَا وَمِنْ كُلِّ مَا تَحِبُّ وَتَهْوَى، وَأَنْ تُحَكِّمَهُ فِي رَغْبَاتِهَا وَنَزَوَاتِهَا وَحَرَكَاتِهَا وَسَكَنَاتِهَا وَسِرِّهَا وَعِلَانِيَتِهَا وَنَشَاطِهَا كُلِّهَا وَخَلْجَاتِهَا، فَهَذَا نَصْرُ اللَّهِ فِي نَوَاتِ النَّفْسِ (1).

ثم لا بد من ارتباط العمل بالإيمان، فمجرد الإيمان من غير إعداد نفسي وفكري بالعمل الصالح والعلم النافع، ودون إعداد مادي بالقوة المرهبة للعدو لا يتفق مع سنن الله تعالى في إنزال نصره على المجاهدين في سبيله (2).

فأمل المسلمين اليوم هو تبديل حالهم إلى الأفضل ولن يكون ذلك إلا بالعودة إلى المنهج القويم الذي ارتضاه لنا رب العزة وأمرنا أن نسير عليه.

"والإنسان نفسه مكلف بأن يغيّر ما بداخله، ما في قلبه وصدوره، هو المسؤول عن ذلك في ميزان الله؛ لأن الله سبحانه وتعالى زوّده في فطرته، وفي قدراته وطاقاته، وفي وسعه، بما يعينه على تحقيق ذلك، زوّده في فطرته بالإيمان والتوحيد، وزوّده في كيانه بالسمع والبصر والفؤاد، لينفذ من خلالها إلى آيات الله الماثورة في الكون كله، لتذكّره ولتثبّت في قلبه الإيمان والتوحيد. وبعث له النبيين والمرسلين وأنزل معهم الكتاب، حتى لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل" (3)، إذن فالانطلاقة تبدأ من الإنسان، فيغيّر ما في نفسه، ومن واقعته فيغيّر الله حاله.

سنة التداول

وهي سنة المداولة بين الأمم والأقوام الوارد ذكرها في الآية الكريمة ﴿ إِنْ يَمَسُّكُمْ

فَرَحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرَحٌ مِثْلُهُ ۗ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ (آل عمران: 140)، وقد نزلت بعد غزوة أحد التي أصاب المسلمين فيها ما أصابهم، فالأحوال تتبدل، والدنيا تتحول، والعالم يتغير، وكم من غني افتقر، ومن فقير اغتنى، وكم من عزيز ذل، ونليل عز، وكم من

(1) الجليل، عبد العزيز ناصر، وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، الرياض، دار طيبة، ط3، 2001، ج1، ص210.

(2) عرجون، محمد الصادق، سنن الله في المجتمع من خلال القرآن، ص59.

(3) النحوي، عدنان، الصحة الإسلامية إلى أين؟، ص42، 43.

موسر أعسر، ومن معسر أيسر⁽¹⁾، وقد قال تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٧﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ (الشرح: 5-6)، وقال أيضاً: ﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ (الطلاق: 7).

"ومن نظر في أحوال الأمم عبر التاريخ يجد شعلة الحضارة تنتقل من أمة إلى أمة، ومن يد إلى أخرى، فقد كانت قيادة العالم قديماً في يد الشرق، على أيدي الحضارات الفرعونية والآشورية والبابلية والكلدانية والفينيقية، والفارسية والهندية والصينية، ثم انتقلت إلى الغرب على يد الحضارة اليونانية والرومانية، ثم انتقلت هذه القيادة مرة أخرى إلى الشرق على يد الحضارة العربية الإسلامية، وهي حضارة متميزة جمعت بين العلم والإيمان، بين الرقي المادي والسمو الروحي، ثم غفا الشرق وغفل عن رسالته، فأخذ الغرب الزمام، وكانت له القيادة مرة أخرى، لكنه لم يرع أمانة هذه القيادة، بل أفلس في ميدان الروح والأخلاق وفرط في العدل، وأعلى القوة على الحق، والمصالح على القيم، والمادة على الروح، والجماد على الإنسان ومن سنة الله أن تنتقل الشعلة إلى غيره"⁽²⁾.

وأملنا أن تنتقل عجلة القيادة العالمية للإسلام والمسلمين، فالتحلل والفساد الأخلاقي هما المحركان لهذه الحضارة الفاسدة، والحضارة لا يمكن وفق سنن الله أن تستمر بلا أخلاق، والأخلاق لا يمكن أن تنمو وتؤثر إلا في ظلال الإيمان⁽³⁾، إذن فدوام الحال من المحال والدهر يومان: يوم لك ويوم عليك، فحال المسلمين سيتبدل بإذن الله تعالى.
سنن الله في المعْرِضِ عن هداة:

هدى الله هو الإسلام وهو الهدى الحق وكل ما عداه ليس بهدى إنما هو هوى⁽⁴⁾، قال تعالى: ﴿ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ فَمَا لَهُ هُدًى ۗ هُوَ الْهُدَىٰ ﴾ (البقرة: 120)، وقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ ﴾ (الفتح: 28).

(1) القرضاوي، يوسف، المبشرات بانتصار المسلمين، ص 84.

(2) انظر: القرضاوي، يوسف، الإسلام حضارة الغد، القاهرة، مكتبة وهبة، ط 1، 1995، ص 27-116.

(3) انظر المرجع نفسه، ص 116.

(4) زيدان، عبد الكريم، السنن الإلهية، ص 35، 36.

والمُعْرَضُ عَنْ هَذَا لَلَّهِ سَنَةٌ فِيهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ

مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ (طه: 124)، وهذا المعرض عن هدى الله له المعيشة الضنك أي الضيقة في الدنيا، ووجه ضيق معيشته أنه شديد الحرص على الدنيا متهالك عليها خائف من انتقاصها⁽¹⁾، لا طمأنينة له ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيق حرج لضلاله، وإن تتعم ظاهره وليس ما شاء وأكل ما شاء، وسكن حيث شاء فإن قلبه ما لم يعمره هدى الله لا يحس بسعادة ولا بطيب العيش⁽²⁾.

وهذا هو حال الغرب اليوم فهم بالرغم من الحياة المليئة بالنعم إلا أنهم لا يجدون الراحة والطمأنينة، بل هم على شفا جرف هارٍ، فنقرأ ونسمع عن الانتحار والجرائم المتعددة بأعداد هائلة تفوق الخيال، وهذا مآل المعرض عن هدى الله. سنة الله في الترف والمترفين:

والترف هو التمتع والتوسع في ملاذ الدنيا وشهواتها وبطر النعم والطغيان بسبب النعمة⁽³⁾، فالمترفون لا يهتمون إلا بملاذ الدنيا وشهواتها وجمع المال لذلك، ولا يهتمهم ما يكون في الناس من منكرات فهي لا تقلقهم ولا ينهون عنها لأن انشغالهم واهتمامهم بما يجلب لهم بالملذات فقط⁽⁴⁾.

والله سنة لا تتغير في المترفين الذين أبطرتهم النعمة، قال تعالى: ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحْسَسُوا بِأَسَئِنَا إِذَا هُمْ مِنهَا يَرْكُضُونَ ﴾ (الأنبياء: 11-13)، وهي إهلاكهم وإنزال العذاب عليهم في الدنيا والآخرة⁽⁵⁾.

والله سنة فيمن بطر نعمته أن يبتليه بالفقر وتخريب الديار، قال تعالى: ﴿ وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ

(1) زيدان، عبد الكريم، السنن الإلهية، ص 40.

(2) ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، ج 3، ص 177.

(3) زيدان، عبد الكريم، السنن الإلهية، ص 183.

(4) المرجع نفسه، ص 185.

(5) المرجع نفسه، ص 186.

لِيَأْسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿ (النحل: 112)، وقال تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا ۗ فَبَلَغَتْ مَسْكِتُهُمْ لَمَّا قَسَحْنَا مِنْ بُعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۗ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾ (القصص: 58)⁽¹⁾.

فجزاء المترفين الهلاك والدمار وهذا ما حصل للأقوام السابقين الذين كفروا بالله وانغمسوا في المذات والشهوات، ولم ينكروا المنكر فعاقبهم الله بذنوبهم، وسيأتي يوم ينتهي به حال الكفار المترفين اليوم إلى هلاك وعاقبة مشينة، فالترف هو الحمض الأكال الذي يأكل الأمم والشعوب، إنه مفسد متلف مفترّ باعث على القعود صارف عن بذل الجهد، وعندئذ يكون الهلاك بقدر الله وسنة من سننه عز وجل⁽²⁾.

سنة الله في هلاك الظالمين:

من سنة الله في الظلم والظالمين هلاك الأمة بظلمها، قال تعالى: ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ (الأنعام: 45)، وقوله تعالى: ﴿ هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام: 47]. وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونََ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ﴾ (يونس: 13)، وهذه السنة دائمة في الأمم ولها مواقيت لهلاكها بسبب الظلم⁽³⁾.

وهي سنة مطردة في هلاك الأمم الظالمة، قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ ۗ مِنْهَا قَامِهِمْ وَحَصِيدٌ ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ۗ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۗ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْسِيرٍ ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۗ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ (هود: 100-102)⁽⁴⁾.

(1) زيدان، عبد الكريم، السنن الإلهية، ص 200، 201.

(2) قطب، محمد، حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، ص 101.

(3) زيدان، عبد الكريم، السنن الإلهية، ص 119، 120.

(4) المرجع نفسه، ص 121.

ومن عدل الله تعالى أنه يبقي الدولة مع الكفر ولا يبقيها مع الظلم، قال تعالى: ﴿ وَمَا

كَانَ رُبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ ﴾ (هود: 117)، فالدولة الكافرة قد

تكون عادلة بمعنى أن حكامها لا يظلمون الناس والناس أنفسهم لا يتظالمون فيما بينهم، فهذه الدولة مع كفرها تبقى، إذ ليس من سنته تعالى إهلاك الدولة بكفرها فقط، ولكن إذا انضم إلى كفرها ظلم حكامها للرعية وتظالم الناس فيما بينهم أهلكتها⁽¹⁾، وهذا حاصل اليوم من كفر الغرب وظلمه فمآله إلى الهلاك والدمار شيئاً فشيئاً.

سنن إلهية تبشر بالخير وبسقوط دول الكفر التي لا أساس ترتكز عليه وإن كانت

تمتلك الثروات والقوى المتنوعة، فمنهجها ضحل شائك مُضلل ومضلل، قطبه واحد المادة لا

غير، متخبط لا يعرف الطريق الصحيح، لا يجد راحة ولا طمأنينة لذلك مآله الهلاك والدمار،

وهذا ينعش الأمل فينا، ويعطينا دفعة قوية للأمام للنهوض والعمل والسير على منهج الله تعالى.

(1) زيدان، عبد الكريم، السنن الإلهية، ص 122.

المبحث الخامس الصحة الإسلامية

"إن عودة الوعي للمسلمين بحقيقة الدين الإسلامي وأهمية العمل بكل ما جاءت به الهدايات الربانية والتوجهات النبوية الشريفة والبحث عن وسائل الإنقاذ من خلال تعاليم الإسلام ذاته، وأهمية الشعور بالذاتية والهوية الإسلامية، والانخلاع من ربة الجاهلية المعاصرة، والنهوض من الكبوة والغفلة"⁽¹⁾، لهي حقيقة وواقع يبعث الأمل في النفوس من جديد ويحييها من جديد، ويشرح الصدور، ويعطي منظوراً إيجابياً للحياة ونظرة تلوها التفاؤل بمستقبل مشرق ناهض بالأمة الإسلامية وعودتها إلى قيادة العالم من جديد.

والمسلم مهما طال بَعده عن المنهج الرباني لا بد أن يفيق يوماً ما من نومه ويرجع إلى رُشدِه وذاتِه الغائبة، وهذا ما هو حاصل الآن من عودة المسلمين إلى دينهم الإسلامي، شريعة الله عز وجل التي ارتضاها لهم؛ "إذ إن أنظمة الحكم المختلفة عجزت عن تحقيق السعادة لهم أو النهوض بهم، وإبراهيم لزيغ الدعوات الوطنية والقومية وعدم قدرتها على التوحيد بين فئات الشعب الواحد بل وتوحيد الأمة، واستمرار تدهور أوضاع المسلمين والنيل منهم وتفشي الفقر والبطالة والمرض وهوانهم على العالم، وظهور أنظمة متعسفة سامت الناس أنواع الاضطهاد والعذاب والقهر والظلم كل ذلك وغيره دعاهم إلى التفكير بالتغيير والبحث فهدوا إلى العودة إلى الدين الإسلامي"⁽²⁾.

"وقد تنبأ العديد من مفكري الغرب بحدوث الصحة الإسلامية للأمة؛ إذ إن حالات التخلف والركود أمر عارض لهذه الأمة وليس بلانم لها، فهم يدركون أن الإسلام بعقائده وتشريعاته وأخلاقه ومنهجه السليم الذي يتفق مع الفطرة الإنسانية ولا يصادمها هو وحده القادر والظهور مرة أخرى، أما غيره من الثقافات والحضارات فلا تستطيع البقاء فضلاً عن العودة مرة أخرى إذا طمست وفقدت مصداقيتها في الواقع، فالإسلام يحمي الفضيلة ويقم

(1) انظر: فتح الباب، مجدي محمد، موقف المستشرقين من الصحة الإسلامية في النصف الثاني من القرن العشرين، القاهرة، دار الروضة، ط1، 2001، ص44.

القرضاوي، يوسف، الصحة الإسلامية بين الآمال والمحاذير، القاهرة، دار الصحة، ط3، 1995، ص6، 8.

(2) انظر: أبو زعور، محمد سعيد، الصحة الإسلامية بين الواقع وتطلعات المستقبل، عمان، دار البيارق، ط1، 1999، ص145.

دعائم المجتمع السعيد، ويكفل الحريات ويقرر مبدأ الأخوة بدون اشتراكية جائرة أو رأسمالية بيد قلة، لهذا ينتشر الإسلام بقوة مبادئه في مشارق الغرب ومغاربها دون أموال مرصودة أو استغلال لحاجات الناس، فهو وحده المنهج القادر على إسعاد البشرية⁽¹⁾.

والصحة لم تقتصر على المسلمين أنفسهم بل شملت غير المسلمين من مفكرين ومتقنين وعلماء أسلموا ودخلوا الدين الإسلامي، فالإفاقة وعودة الوعي ينطبقان على المسلم وغير المسلم، فكلاهما غافلان عن الحقيقة ويتحريهما للأوضاع وملامستهما للواقع السيئ المعاش البعيد عن منهج الله تعالى دفعهما إلى الصحة الإسلامية.

"الحضارة الغربية قد أفلست من ناحية توفير الطمأنينة للإنسان ولم تسعده بل وضعت في شقاء دائم ومرير فقد قال أحد المفكرين الهنود: "إنّ الإنسان في الغرب استطاع أن يحلق في الهواء كالطير وأن يغوص في البحر كالحيوت، ولكنه لم يحسن أن يمشي على الأرض كإنسان! وهذا مما يبشّر بالخير ويجعل الأمل قوياً في الصحة الإسلامية؛ فقد جرب المسلمون الحلول المستوردة من الغرب ومن الشرق، ولم ينفع ذلك، ولم يستطع أن يسعد الأمة من شقاء وأن يؤمنها من خوف، وأن يحقق لها النصر والوحدة والاستمرار باستثناء الإسلام الوحيد والقادر على هذا كله"⁽²⁾. لذلك انتشرت وامتدت الصحة بين المسلمين وغيرهم، إذ لمسوا دفء الإسلام وذاقوا حلاوة الإيمان بالله تعالى، وسكنت الطمأنينة جوارحهم فالتزموا بمنهج الله والسير عليه.

مظاهر الصحة:

للصحة الإسلامية مظاهر تتمثل بما يأتي:

المظهر الفكري للصحة:

أي أنها صحة عقل وفكر وثقافة، فكثير من الناس كانوا في خط غير خط الإسلام، داخل العالم الإسلامي، فأصبحوا يقتربون من الخط الإسلامي، بدليل الكتب التي يؤلفونها

(1) انظر: فتح الباب، مجدي محمد، موقف المستشرقين من الصحة الإسلامية، ص 45، 46.

(2) القرضاوي، يوسف، الصحة الإسلامية بين الآمال والمحاذير، ص 30، 31.

ويريدون أن تقرأ. فالفكر الإسلامي أصبح في مرحلة القوة ومرحلة المواجهة، فالكتاب الإسلامي أصبح هو الكتاب الأول في سوق التوزيع وترجمته من اللغة العربية إلى اللغات الأخرى وبالعكس⁽¹⁾.

صحوة الشباب

ويلاحظ أن الذي يجسد هذه الصحوة هم الشباب، فيرى حرصهم على الصلاة في المساجد، ودروس العلم وأداء فريضة الحج والاعتماد والالتزام بشعائر الإسلام المختلفة، والتصدي للدعوة إلى الله عز وجل والجهاد في سبيله⁽²⁾.

صحوة مشاعر وعواطف:

كما أنها صحوة فؤاد وقلب، فهي لا تقف عند الفكر، بل هي صحوة مشاعر أيضاً، وصحوة عواطف، وصحوة قلوب؛ فالإنسان لا يقاد بالعقل وحده، فهو عقل وعاطفة وهذه الصحوة فيها جانب من التوقد العاطفي. صحوة تجمع بين العقل والعاطفة، والمشاعر الإسلامية، مشاعر الولاء للإسلام والحب لله ولرسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه، والبغض للكفر والفسوق والعصيان فأوثق عرى الإيمان: الحب في الله والبغض في الله، وهل الإيمان إلا الحب والبغض؟ هذه مشاعر حقيقة أصبحت هي التي تؤثر اليوم في الحياة الإسلامية⁽³⁾.

انتشار الحجاب بين المسلمات:

بعدما كان غائباً عن المجتمعات الإسلامية والعربية رداً من الزمان، فقد أصبح ظاهرة شائعة بعد أن كان نادراً أو شاذاً⁽⁴⁾.

(1) أنظر: القرضاوي، يوسف، الصحوة الإسلامية بين الآمال والمحاذير، ص12، 13.

فتح الباب، مجدي محمد، موقف المستشرقين من الصحوة الإسلامية، ص51.

(2) أنظر: القرضاوي، يوسف، الصحوة الإسلامية بين الآمال والمحاذير، ص16، 17.

- فتح الباب، مجدي محمد، موقف المستشرقين من الصحوة الإسلامية، ص52.

(3) القرضاوي، يوسف، الصحوة الإسلامية بين الآمال والمحاذير، ص13، 14.

(4) فتح الباب، مجدي محمد، موقف المستشرقين من الصحوة الإسلامية، ص52، 53.

صحوة عالمية؛

إذ لم تقتصر على بلد دون آخر، بل شملت العالم كله فنجد انتشار المساجد في دول عربية، وقيام مراكز وهيئات وجمعيات إسلامية في بلاد كثيرة من العالم، مثل إنجلترا وألمانيا وإسبانيا وغيرها، بالإضافة إلى المراكز والجمعيات والحركات الإسلامية في العالم الإسلامي، وإسلام عدد كبير من أهل الغرب ومفكره⁽¹⁾.

صحوة اقتصادية إسلامية:

"إذ أصبح مفهوم الاقتصاد الإسلامي اليوم بارزاً، فنجد الدراسات والبحوث والأطروحات التي أثبتت أصالة الاقتصاد الإسلامي وتوازنه وتفوقه، وعقدت المؤتمرات والندوات العالمية والإقليمية بخصوصه، وأنشئت المراكز وأصدرت مجلات لبحوث الاقتصاد في كثير من البلدان، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل قامت بنوك وشركات إسلامية تحمل الصبغة الإسلامية والتي تزداد يوماً بعد يوم"⁽²⁾.

إن هذه الصحوة الإسلامية ينبوع خير ممتد ولن يتوقف؛ فمن ذاق حلاوة الإيمان واستطاب العيش في ظله لن يعود إلى ما كان عليه.

(1) انظر: القرضاوي، يوسف، الصحوة الإسلامية بين الآمال والمحاذير، ص16.

النحوي، عدنان، الصحوة الإسلامية إلى أين؟، ص18، 19.

(2) فتح الباب، مجدي، موقف المستشرقين من الصحوة الإسلامية، ص55.

المبحث السادس شهادات الغرب

من الحقائق التي تبعث الأمل وتحبب من جديد في النفوس وتبعث الارتياح فيها شهادات الغرب قادة، ومفكرين، ومبشرين بخوفهم من الإسلام وانتشاره في العالم وعودة الخلافة الإسلامية من جديد هذا من جانب، من جانب آخر شهادة حق وإنصاف من بعضهم عن الإسلام، ومن جانب ثالث نرى اعترافهم بأنهم حضارتهم والخواء الروحي الذي يعانون منه.

هذه الحقيقة من شأنها أن تهض همم المسلمين وتدفعهم للإفاقة من غفلتهم ومعرفة حقيقة عدوهم المتربص بهم، والتوجه نحو وحدتهم وتماسكهم وتنظيم أمورهم، والحفاظ على ثرواتهم وعدم استغلالها من قبلهم، وعودتهم إلى المنهج الرباني الذي أمرنا به رب العزة بالسير عليه، والعمل في كافة الشؤون الحياتية.

وفيما يلي بيان لشهاداتهم⁽¹⁾:

يقول لورنس براون:

إن الإسلام هو الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي.

ويقول غلادستون رئيس وزراء بريطانيا سابقاً:

ما دام هذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوروبا السيطرة على

الشرق.

ويقول الحاكم الفرنسي في الجزائر في ذكرى مرور مائة سنة على استعمار الجزائر:

(1) العالم، جلال، قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله، عمان، دار الأرقم، ط1، 1981، ص38،

39، 40.

إننا لن ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرؤون القرآن، ويتكلمون العربية، فيجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم، ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم.
ويقول أحد المبشرين:

إنّ القوة الكامنة في الإسلام هي التي وقفت سداً منيعاً في وجه انتشار المسيحية، وهي التي أخضعت البلاد التي كانت خاضعة للنصرانية.

ويقول بن غوريون رئيس وزراء إسرائيل سابقاً:

إنّ أخشى ما نخشاه أن يظهر في العالم العربي محمد جديد".

"ويقول هانوتو مستشرق فرنسي ومستشار وزارة الاستعمار الفرنسية:

لا يوجد مكان على سطح الأرض إلا واجتاز الإسلام حدوده، وانتشر فيه، فهو الدين الوحيد الذي يميل الناس إلى اعتناقه بشدة تفوق كل دين آخر.
أيضاً يقول لورانس براون:

إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً، وأمکن أن يصبحوا نعمة له أيضاً. أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا قوة ولا تأثير⁽¹⁾."

"يقول أدوين بلس مؤلف كتاب مشروع التبشير:

إنّ الدين الإسلامي هو العقبة القائمة في طريق تقدم التبشير بالنصرانية في إفريقيا، والمسلم فقط هو العدو اللدود لنا.

يقول وليم جيفورد بالكراف:

(1) البهي، محمد، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، بيروت، دار الفكر، ط6، 1973، ص32، 33، 525.

مئى نوارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه.

ويقول القسيس جون تكل:

إن الإسلام أخذ في الازدياد وإن تكن المجهودات التي تبذل في سبيل انتشاره تكاد تكون في حكم العدم⁽¹⁾.

"ويقول المستشرق غاردنر:

إن القوة التي تكمن في الإسلام هي التي تخيف أوروبا⁽²⁾.

"أعلن الكاردينال بول بوبار مساعد بابا الفاتيكان ومسؤول المجلس الفاتيكاني للثقافة:

أن الإسلام يشكل تحدياً بالنسبة لأوروبا وللغرب عموماً، وأن المرء لا يحتاج أن يكون خبيراً ضليعاً لكي يلاحظ تفاوتاً متزايداً بين معدلات النمو السكاني في أنحاء معينة من العالم، ففي البلدان ذات الثقافة المسيحية يتراجع النمو السكاني بشكل تدريجي، بينما يحدث العكس في البلدان الإسلامية ... ويتساءل المسيحيون بقلق عما سيحمله لهم الغد، وعما إذا لم يكن موتهم ميرماً بشكل ما؟

إن التحدي الذي يشكله الإسلام يكمن في أنه دين ثقافة ومجتمع وأسلوب حياة وتفكير وتصرف، في حين أن المسيحيين في أوروبا يميلون إلى تهميش الكنيسة أمام المجتمع، ويتناسون الصيام الذي يفرضه عليهم دينهم، وفي الوقت نفسه ينبهرون بصيام المسلمين في شهر رمضان⁽³⁾.

(1) شاتليه، الغارة على العالم الإسلامي، ترجمة: محب الدين الخطيب ومساعد اليافي، بيروت، مكتبة أسامة بين زيد، ط1، 1980، ص15، 36، 71.

(2) العالم، جلال، قادة الغرب يقولون دمرُوا الإسلام أبيدوا أهله، ص48.

(3) عمارة، محمد، هذا هو الإسلام، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط1، 2006، ص23.

"وفي عام 1985 قال الرئيس الأمريكي نيكسون بعد تولي جورباتشوف للسلطة في

الاتحاد السوفيتي سابقاً:

يجب على روسيا وأمريكا أن تعقدا تعاوناً حاسماً لضرب الأصولية الإسلامية.

وقال جان كلود باور مسؤول فرنسي عن الهجرة:

إنّ الإسلام هو الخطر على مستقبل الغرب.

وصرح القائد العام للقوات المسلحة الألمانية كلاوس نيومان:

يحدّر من أنّ الخطر الأخضر (الإسلام) قد حلّ محلّ الخطر الأحمر (روسيا)، وأنّ

هلاله يمتد بين المغرب وباكستان وأنه يشكل تحدياً أيديولوجياً للغرب.

وقال جورج بوش الابن:

إنّ أمريكا هي مصدر الخير كله، والعالم الإسلامي هو مصدر الشر كله، وما دامت

بعض دول العالم الإسلامي لم تخضع تمام الخضوع للإدارة الأمريكية، فإن أمريكا سوف تقوم بنفسها بتأديب هذه الدول⁽¹⁾.

"ويقول مسؤول في وزارة الخارجية الفرنسية عام 1952:

ليست الشيوعية خطراً على أوروبا فيما يبدو لي، إنّ الخطر الحقيقي الذي يهددنا تهديداً مباشراً وعنيفاً هو الخطر الإسلامي، فالمسلمون عالم مستقل كل الاستقلال عن عالمنا الغربي، فهم يملكون تراثهم الروحي الخاص بهم، ويتمتعون بحضارة تاريخية ذات أصالة، فهم جديرون أن يقيموا قواعد عالم جديد دون حاجة إلى إذابة شخصيتهم الحضارية والروحية في الحضارة الغربية.

ويقول مورو بيرجر في كتابه العالم العربي المعاصر:

إنّ الخوف من العرب واهتمامنا بالأمة العربية، ليست ناتجاً عن وجود البترول بغزارة عند العرب، بل بسبب الإسلام. يجب محاربة الإسلام للحيلولة دون وحدة العرب التي

(1) خضر، لطيفة إبراهيم، الإسلام في الفكر الغربي، القاهرة، عالم الكتب، ط2، 2002، ص80، 82، 90.

تؤدي إلى قوة العرب، فقوتهم تتصاحب دائماً مع قوة الإسلام وعزته وانتشاره، إن الإسلام يفزعنا عندما نراه ينتشر بيسر في القارة الإفريقية⁽¹⁾.

"ويقول هانوتو وزير خارجية فرنسا:

رغم انتصارنا على أمة الإسلام وقهرها، فإن الخطر لا يزال موجوداً من انتفاض المقهورين الذين أتعبتهم النكبات التي أنزلناها بهم، لأن همتهم لم تخمد بعد.

يقول المبشر تاكلي:

يجب أن نستخدم القرآن، وهو أمضى سلاح في الإسلام ضد الإسلام نفسه، حتى نقضي عليه تماماً، يجب أن نبين للمسلمين أن الصحيح في القرآن ليس جديداً، وإن الجديد فيه ليس صحيحاً.

يقول مراديوك باكتول:

إن المسلمين يمكنهم أن ينشروا حضارتهم في العالم الآن بنفس السرعة التي نشروها بها سابقاً، بشرط أن يرجعوا إلى الأخلاق التي كانوا عليها حين قاموا بدورهم الأول؛ لأن هذا العالم الخاوي لا يستطيع الصمود أمام روح حضارتهم.

يقول أرنولد توينبي في كتابه الإسلام والغرب والمستقبل:

إن الوحدة الإسلامية نائمة، لكن يجب أن نضع في حسابنا أن النائم قد يستيقظ.

يقول المستشرق و. ك. سميث الأمريكي والخبير بشؤون باكستان:

إذا أعطي المسلمون الحرية في العالم الإسلامي وعاشوا في ظل أنظمة ديمقراطية، فإن الإسلام ينتصر في هذه البلاد، وبالديكتاتوريات، وحدها يمكن الحيلولة بين الشعوب الإسلامية ودينها.

ويقول المستشرق البريطاني مونتجومري وات في جريدة التايمز اللندنية في عام

:1968

(1) العالم، جلال، قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله، ص 51، 52، 53.

إذا وجد القائد المناسب الذي يتكلم الكلام المناسب عن الإسلام، فإن من الممكن لهذا الدين أن يظهر كإحدى القوى السياسية العظمى في العالم مرة أخرى⁽¹⁾.

ويقول جب:

"إن الحركات الإسلامية تتطور عادة بصورة مذهلة، تدعو إلى الدهشة، فهي تتفجر انفجاراً مفاجئاً قبل أن يتبين المراقبون من أماراتها ما يدعوهم إلى الإستزابة في أمرها. فالحركات الإسلامية لا ينقصها إلا وجود الزعامة، لا ينقصها إلا ظهور صلاح الدين من جديد"⁽²⁾.

شهادات تؤكد خوف الغرب من الإسلام وانتشاره في العالم؛ ليقينهم بقوته وعظمته وتمكنه في النفس وتأثيره الإيجابي فضلاً عن الإشباع الروحي للنفس المسلمة. هذه الشهادات تشحن النفس المسلمة بشحنة إيجابية مفعمة بالحيوية وباعثة على الأمل والتفاؤل، فهذا الاعتراف من قبلهم يعطي المسلم دفعة قوية إلى الأمام ويستنهض همته وعزيمته للعمل بعقلية مخططة للأمور الحياتية مستنداً في ذلك على المنهج الإسلامي القويم. هذا الخوف والرعب من الإسلام يؤكد للمسلم قوة هذا الدين وعظمته، فهو كنز ثمين وبامتلاكه يمتلك الدنيا والآخرة، كما يجعله يتمسك به ويعض عليه بالنواجذ، كما يعطيه دافعاً قوياً لينهض من غفلته ونومه ويتمسك مع إخوته المسلمين مشكلين بذلك لحمة قوية وجداراً منيعاً يقف ضد أي عدون أجنبي.

أما بالنسبة لشهاداتهم التي تؤكد إنصافهم لهذا الدين⁽³⁾:

- يقول روجيه جارودي (مفكر فرنسي مسلم):

إنه لعارٌ أيُّ عارٍ.... أن تبقى هذه الأحقاد والضغائن ضد الإسلام كامنة في قلوبنا إلى

اليوم.

(1) العالم، جلال، قادة الغرب يقولون دمرُوا الإسلام أبديوا أهله، ص 53، 66، 68، 73، 79.

(2) المرجع نفسه، ص 80.

(3) شلبي، عبد الودود، لماذا يخافون الإسلام، القاهرة، دار الشروق، ط3، 1987، ص 6.

لقد علمونا الكذب باسم الصدق، والكراهية باسم الحب... والخرافة باسم الحقيقة والعلم.

ولا مناص من الاعتراف بسماحة الإسلام وعدالته التي كانت مضرب المثل لأعدائه قبل أصدقائه على السواء".

"يقول برناردشو:

لقد صور إكليروس القرون الوسطى الإسلام بأحلك الألوان! إما بسبب الجهل أو بسبب التعصب الذميم.

لقد كانوا في الواقع يمرتون على كراهية محمد، وعلى كراهية دينه وكانوا يعتبرونه خصماً للمسيح!

ولقد درسته باعتباره رجلاً عظيماً فرأيته بعيداً عن هذه المخاصمة بل يجب أن يدعى منقذ الإنسانية!

وإني لا اعتقد بأنه لو تولى رجل مثله حكم العالم الحديث لنجح في حل مشكلاته بطريقة تجلب إلى العالم السلام والسعادة⁽¹⁾.

"يقول ريتشارد وود (مستشرق):

إن كثيراً من المستشرقين يزعمون أن المسلمين لن يتقدموا ما داموا مقيدون بنصوص القرآن التي لا تتلاءم -بزعمهم- مع المعارف والفنون الحديثة. وهذا وهم باطل نشأ عن الجهل بمقاصد القرآن، وكفي برهاناً على بطلانه تاريخ صدر الإسلام، وعناية علماء العرب بالعلوم والفنون، ودراساتهم لكتب الحكماء الأقدمين.

تقول الدكتورة لوريا فاليري (مستشركة):

إن أسلوب القرآن فريد في بابه، وليس له مثل سابق في الأدب العربي، ويقع في النفس البشرية موقعاً صحيحاً لا تصنع فيه، ولا افتراء ولا تمويه ولا استكراه⁽²⁾.

(1) شلبي، عبد الودود، لماذا يخافون الإسلام، ص 6.

(2) جمال، أحمد محمد، مفتريات على الإسلام، دم، مطبوعات الشعب، ط 3، 1975، ص 259، 260.

وأخيراً تسطر هذه الأقوال اعترافهم بانهايار حضارتهم التي جرت عليهم الويلات والنكبات.

يقول ليبولد فلم دانز:

"إنّ الإنسان المنتمي إلى عصرنا هذا لا يؤمن بشيء ولا يفكر أو أنه لم يفكر بعد، ولكنه يعلم كثيراً أنّ نهاية المسيحية تشمل أيضاً نهاية الأيديولوجيات الأخرى كالماركسية التي تجتاز من أجل ذلك أزمة عميقة، وأن هذه الأزمة ليست أبداً علامة حياة بل علامة موت"⁽¹⁾.

يقول المفكر لاموني:

"إنّ الجنس البشري بكامله يمشی بخطى حثيثة إلى الهلاك، إنه في النزاع الأخير، كذلك الإنسان الجريح المسكين الذي لا يرجى له شفاء، فكثرة الأخطاء في حضارتنا تجرّها إلى الغرق.

ويقول برجسون الفيلسوف الفرنسي: إنّ فصل الدين عن العلم هو فناء محتوم للثنتين.

يقول برناردشو:

كنت أعرف دائماً أنّ الحضارة تحتاج إلى دين، وأنّ حياتها أو موتها يتوقفان على ذلك"⁽²⁾.

يقول ألكسس كاريل:

"إنّ القلق والهموم التي تعاني منها سكان المدن العصرية تتولد عن نظمهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فإن البيئة التي أوجدها العلم للإنسان لا تلائمها لأنها أنشئت دون اعتبار لذات الإنسان، إنّ الخواء الروحي، والفراغ في حياة الغرب وعدم وجود غاية كبرى يهدف إليها الإنسان، والجحود بالإله الذي تفرغ إليه وقت الشدة والحزن. كل هذه أوصلت الغرب إلى المصير المؤلم والنهاية الأسيّفة المحزنة"⁽³⁾.

(1) عزام، عبد الله، الإسلام ومستقبل البشرية، الزرقاء، مكتبة المنار، ط1، 1980، ص14، 15.

(2) المرجع نفسه، ص15، 16.

(3) كاريل، ألكسس، الإنسان ذلك المجهول، ترجمة: شفيق أسعد فريد، بيروت، مكتبة المعارف، ط1، 2003، ص41، 42.

يقول سولجنستين (روائي روسي):

"إن الطريقة الوحيدة نحو تصحيح المسار المادي المنحرف للإنسان الغربي المعاصر هو عودة الإنسان إلى الإيمان بقوة مهيمنة على مصير الإنسان، وهي التي تحدد له قيمه ومسؤولياته الأخلاقية والاجتماعية، وكذلك الإيمان بوجود قيم أخلاقية عالية وموضوعية شاملة لكل البشر، وهي تلو على كل اعتبارات الحرية الفردية التي لا تحدها حدود"⁽¹⁾.

يقول شبنجلر:

"إن للحضارة دورات فلكية، تغرب هنا، لتشرق هنا، وإن حضارة جديدة أوشكت على الشروق في أروع صورة هي حضارة الإسلام، الذي يملك أقوى قوة روحانية عالمية نقية"⁽²⁾.
هذه الحقيقة (شهادات الغرب) تبشّر بالخير وهي مصدر تفاؤل وأمل يحيي القلوب وينعشها. إن المتبحر في هذه الحقيقة يدرك أهميتها كواقع ملموس يساهم في تغيير إيجابي مطلوب، فعندما يعترف الغربيون بخوفهم من الإسلام الذي يمتد دون توقف فالإقبال عليه كثير، وبانهيار حضارتهم، وكلمة حق وإنصاف من بعضهم عن الإسلام، كل ذلك لا بد أن يشحن المسلم بشحنة إيجابية فعالة، فينظر إلى الأمام بنظرة مشرقة متفائلة تنعكس على جوارحه، فالنهاية حتمية للغرب المتعسف.

(1) عزام، عبد الله، الإسلام ومستقبل البشرية، ص 52.

(2) المرجع نفسه، ص 38، 39.

المبحث السابع

القوى التي تملكها الأمة

إن الأمة المسلمة تملك من القوى المادية والمعنوية ما يجعلها في طليعة الأمم؛ فالمسلم عندما يمتلك خيرات كثيرة تعود عليه بالعطاء الوفير تعطيه شحنة إيجابية لاستغلالها وحسن استثمارها، وهذا بحد ذاته يبعث الأمل في نفسه ويجعله ينظر بتفاؤل في تغيير الواقع المعاش.

تتمثل القوى المادية بـ:

أولاً: أعداد المسلمين:

لقد جاء في كتاب الله العزيز ما نصه: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَقْوَابِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُبَدِّلَ نُورَهُمُ لِنُورِهِ الْكَبِيرِ ۗ أَلَمْ تَرَ أَنزَلْنَا نُورًا مِّنَ السَّمَاءِ وَنَزَّلْنَا الذِّكْرَ ۗ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْبُحُرَانَ الْمُبِينَةَ وَفَصَّلْنَا فِيهَا لِلنَّاسِ الْحَبْأَ وَالزَّيْتِ ۗ وَأَنزَلْنَا فِيهَا قُرْآنًا مُّشْتَبِهًا ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصِفُونَ﴾ (التوبة: 32-33) فدين الله تعالى قائم وباق لن يزول ولن يتلاشى وسيمتد في كافة أرجاء المعمورة، وهذا أيضاً ما أشار إليه حديث المصطفى صلوات الله وسلامه (ليبلغن هذا الأمر (الإسلام) ما بلغ الليل والنهار)⁽¹⁾، "فلكل منطقة من الأرض يصلها الليل والنهار سوف يبلغها الإسلام، وهذا ما حدث فعلاً فكل الدول اليوم فيها مسلمون"⁽²⁾.

فأعداد المسلمين في تزايد مستمر وغيرها في انخفاض وهذا ما تشير إليه الإحصائيات المختلفة، ففي دراسة شملت 200 دولة قالت بان ربع سكان العالم الآن هم من المسلمين وتلثيهم موجودون في قارة آسيا، فيما بات سكان الشرق الأوسط يشكلون نسبة أقل بين مسلمي العالم⁽³⁾.

وعدد المسلمين على مستوى العالم يصل حالياً نحو 1.57 مليار نسمة، أي نحو 23%

من سكان العالم البالغ 6.8 مليار⁽⁴⁾.

(1) سبق تخريجه، ص149.

(2) كحيل، عبد الدائم، الإسلام بين الماضي والحاضر، على شبكة الإنترنت: www.kaheel7.com.

(3) شلون، لينا، دراسة شملت 200 دولة: المسلمون ربع سكان العالم غالبيتهم في آسيا، على شبكة الإنترنت، www.alquds.com: 2009/10/9.

(4) عبد الرحمن، عبد الله، دراسة غربية عن عدد المسلمين في العالم، على شبكة الإنترنت 2009/10/9:

www.maktoobblog.com

هذه الدراسة صادرة عن منتدى (بيو) حول الدين والحياة العامة وقد عبّر (بريان غريم) كبير الباحثين في مشروع منتدى بيو لـ CNN عن دهشته بشأن أعداد المسلمين. وقال بأنّ العدد أكبر مما توقعه سابقاً، فالأرقام التقديرية السابقة كانت تتراوح بين مليار و1.8 مليار مسلم⁽¹⁾.

أما عن أكبر التجمعات الإسلامية في العالم بحسب هذه الدراسة فجاءت على النحو التالي⁽²⁾:

إندونيسيا وتضم 202867000 مليون مسلم ويشكلون 88.2% من السكان.
باكستان وتضم 174082000 مليون مسلم ويشكلون 96.3% من السكان.
الهند وتضم 160945000 مليون مسلم ويشكلون 13.4% من السكان.
بنغلادش وتضم 145312000 مليون مسلم ويشكلون 89.6% من السكان.
مصر وتضم 78513000 مليون مسلم ويشكلون 94.6% من السكان.
نيجيريا وتضم 78056000 مليون مسلم ويشكلون 50.4% من السكان.
إيران وتضم 73777000 مليون مسلم ويشكلون 99.4% من السكان.
تركيا وتضم 73619000 مليون مسلم ويشكلون 98% من السكان.
الجزائر وتضم 34199000 مليون مسلم ويشكلون 98% من السكان.
المغرب وتضم 31993000 مليون مسلم ويشكلون 99% من السكان.

إنّ الإسلام اليوم ينتشر في كل قارات العالم أجمع وهناك توقع قائم على إحصائيات من قبل علماء غير مسلمين بأنّ عام 2025 سيكون الإسلام هو الدين الأول من حيث العدد على مستوى العالم⁽³⁾.

(1) انظر: نبأ نيوز-سي أن أن، ربع سكان العالم مسلمون: حقائق مذهلة ومثيرة عن أعداد المسلمين، على شبكة الإنترنت 2009/10/8: www.nabanews.net.

خريطة توزيع المسلمين في العالم لعام 2009، على شبكة الإنترنت 2009/11/3: www.israj.net

(2) نبأ نيوز، سي أن أن، ربع سكان العالم مسلمون: حقائق مذهلة ومثيرة عن أعداد المسلمين، مرجع سابق.

(3) كحيل، عبد الدائم، الإسلام بين الماضي والحاضر، على شبكة الإنترنت.

وبالرغم من حملات التضليل والتشوية والكراهية التي تشنها بعض القوى الغربية
بزعامه الصهيونية العالمية يلاحظ إقبال الغربيين على اعتناق الإسلام وخاصة بعد أحداث
أيلول، فقد ازدادت أعداد المسلمين في أوروبا وأمريكا في العقود الخمسة المنصرمة زيادة
ملحوظة لم تعد تقدر بالآلاف بل تقدر بالملايين، فتذكر الدراسات أن الإسلام تنامي في أوروبا
بنسبة 235% خلال النصف الثاني من القرن العشرين، مقابل 47% للمسيحية. وبالرغم من
الهجمة الشرسة على المسلمين في بقاع عديدة من العالم، والنزعة العدائية لكل ما هو إسلامي،
وإصاق الإرهاب والتخلف والهمجية بالمسلمين إلا أن تلك الدعايات المعادية للإسلام لم تأت
بنتائج تذكر، بل أغرت الكثيرين من الغربيين بالبحث عن حقيقة الإسلام، بل واعتناقه. فأعداد
المهتدين للإسلام في أمريكا تضاعف أربع مرات بعد أحداث أيلول فتشير الأرقام المنشورة
إلى أن 30 ألف أمريكي أشهروا إسلامهم بعد الحادث⁽¹⁾.

"وبالنسبة لبلدان الغرب الأوروبي فيلاحظ أن شمس الإسلام تسطع بوضوح فوق
الكثير من بلدانها ففي بريطانيا تقول صحيفة (الاندبندانت) في مقال طويل عن المسلمين
الجدد: إن حوالي 800 شخص بريطاني يعتنقون الإسلام سنوياً في منطقة (مارك فيلتون)
وحدها. وفي فرنسا تتوقع جهات إحصائية رسمية أن يصل عدد المسلمين الفرنسيين إلى 20
مليوناً بحلول عام 2020، نتيجة ارتفاع عدد المواليد وسط المسلمين وانتشار الدين الإسلامي
بين الفرنسيين. وفي ألمانيا أثبتت الإحصائيات أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يتزايد عدد
أتباعه باستمرار، وأن المسلمين الجدد من طبقة المتقنين والأكاديميين الألمان، ويؤكد (عمر
فندربروك) مستشار المركز الثقافي الإسلامي في بروكسل أن المستقبل لصالح الإسلام في
القارة الأوروبية؛ حيث إن عدد المسلمين في دول الاتحاد الأوروبي في زيادة مستمرة، ويتوقع
أن يرتفع عدد المسلمين في غضون نصف القرن القادم إلى خمسين مليون نسمة وفقاً لمعظم

(1) محمود، خلف أحمد، شمس الإسلام هل تسطع من الغرب؟ على شبكة الإنترنت، 2009/9/28:

التقديرات، وهذا العدد يداني حجم أكبر دول الاتحاد الأوروبي ويضاهي حجم الغالبية الساحقة منها⁽¹⁾.

إنّ فالإسلام سيكون المهيمن على العالم وهذا ما يلاحظ من الأرقام لأعداد المسلمين، ففي أمريكا من 20 إلى 25 ألف شخص يعتنقون الإسلام سنوياً، وفي سويسرا كل أسبوع يقدم سويسري واحد على نطاق الشهادتين بمسجد جنيف، وفي الدنمارك من 300 إلى 360 دنماركي يعتنقون الإسلام سنوياً، وفي إسرائيل (فلسطين المحتلة) 100 يهودي يعتنقون الإسلام سنوياً، اليابان 10 يابانيين يعتنقون الإسلام يومياً، استراليا 15 ألف استرالي يعتنقون الإسلام سنوياً، روسيا 25000 روسي يعتنقون الإسلام، وانضمت روسيا مؤخراً لمنظمة المؤتمر الإسلامي، وفي شهر تموز من عام 2008 نشرت جريدة (برافدا) الروسية مقال بعنوان: الإسلام سيكون دين روسيا مع حلول عام 2050⁽²⁾.

إنّ هذا المد الإسلامي بصورته الملحوظة هو مما يبعث الأمل في النفوس ويشرح الصدور ويجلي الهموم، فهذه القوة العددية تعطينا دافعاً وحافزاً للنهوض؛ فقلوب المسلمين كلها متصلة ومربوطة برباط متين لا تتفك عراه، رباط الإيمان بالله تعالى، فكلها إنّ اجتمعت وتماسكت هبت للمساعدة والقيام بالواجبات المطلوبة منها على منهج الله تعالى.

إنّ هذا مما يخيف الكفار ويرعبهم ويقض مضاجعهم ولا بد أن يستغل المسلمون هذه القوة ويستثمرونها الاستثمار الحسن.

ثانياً: الثروات الطبيعية:

يملك العالم الإسلامي ثروات طبيعية هائلة تشكل مخزوناً لقوة اقتصادية هائلة إنّ تم استغلالها واستثمارها بشكل منظم ومخطط له من قبل المسؤولين والمختصين، إنّ خياراته

(1) محمود، خلف أحمد، شمس الإسلام هل تسطع من الغرب؟ على شبكة الإنترنت، 2009/9/28: www.alukah.net

(2) الديمغرافية الإسلامية: الموجه العالمية للمد الإسلامي: انتشار الإسلام السريع في العالم، على شبكة الإنترنت، 2010/5/29 www.ebnmaryam.com

الموزعة جعلته لقمة سائغة يسيره سهلة المنال، إذ إنَّ حاله الملموس المشاهد من الضعف والتشرذم هو الذي أغرى الغير في أن يطعموا بخيراته.

الثروات الزراعية:

تعد الزراعة المورد الرئيس لإنتاج الغذاء في العالم الإسلامي وهي تمثل المركز الأول في العديد من الدول، وتحقق الأمن الغذائي لأكثر من 1.4 مليار نسمة، كما يسهم الإنتاج الزراعي بنصيب كبير في الدخل القومي للعديد من دول العالم الإسلامي، وتدخل العديد من المنتجات الزراعية كمادة خام صناعية مثل المطاط والقطن وقصب السكر، كما يستقطب قطاع الزراعة الكثير من الأيدي العاملة في العالم الإسلامي مما يقلل من انتشار البطالة في المجتمعات الإسلامية، ومن أهم العوامل التي تساعد على قيام الزراعة سقوط الأمطار بكثرة، وتوفر الأيدي العاملة، ووجود البحيرات الداخلية والأنهار والآبار وتنوع التضاريس⁽¹⁾.

ينتج العالم الإسلامي حوالي 14% من إجمالي الإنتاج العالمي للحبوب الغذائية منها القمح والشعير والأرز والذرة. وأهم الدول المنتجة للحبوب هي إندونيسيا وتركيا وبنغلادش وباكستان وكازاخستان والسودان والتيجر. وتعتبر تركيا ثامن أكبر منتج للقمح في العالم بنسبة 3.7% من الإنتاج العالمي والذي يقدر بـ 650 مليون طن سنوياً وتعتبر إندونيسيا ثالث دولة في العالم في إنتاجه بنسبة 9.2% ثم بنغلادش الرابعة بنسبة 5.3%، الذرة نسبة إنتاج العالم الإسلامي لها 3%، والإنتاج العالمي لها 460 مليون طن سنوياً، الشعير الإنتاج العالمي له 160 مليون طن سنوياً وتعتبر كازاخستان الرابعة في العالم في إنتاجه بنسبة 6.2% ثم تركيا التاسعة بنسبة 4.4%⁽²⁾.

(1) الدول الإسلامية .. ثروات طبيعية وموارد بشرية وفوائض مالية كبيرة، على شبكة الإنترنت، <http://athawra.alwehda.gov>:2009/5/23

(2) انظر: الثروة الزراعية في العالم الإسلامي، على شبكة الإنترنت: <http://wikipedia.org>.

منصور، عبد المالك، العالم الإسلامي اليوم، على شبكة الإنترنت: www.mansourdialogue.or

كما ينتج العالم الإسلامي أنواعاً مختلفة من المحاصيل ذات قيمة اقتصادية عالية،

وتدخل في الصناعة وتشكل 79% من الإنتاج العالمي، أهمها القطن ويزرع في باكستان وتركيا وفلسطين وأفغانستان والسودان وأوزباكستان وإيران ومصر وسوريا وجيبوتي ويشكل 25%، الجوت وينتج في بنغلادش وباكستان وإيران وأندونيسيا وتونس وسوريا والجزائر وموزمبيق وأذربيجان وكازاخستان ويشكل 22% من الإنتاج العالمي، إضافة إلى المطاط الطبيعي وينتج في إندونيسيا وماليزيا ونيجيريا والكاميرون ويشكل 42% من الإنتاج الإجمالي للدول، أما قصب السكر فينتج في باكستان وإندونيسيا ومصر وبنغلادش والسودان ويشكل 11% من إجمالي الإنتاج⁽¹⁾.

وتنتشر زراعة الكاكا في ماليزيا وإندونيسيا ونيجيريا والكاميرون وتشكل 45% من إجمالي الإنتاج وتعتبر ساحل العاج الدولة الأولى في إنتاجه في العالم بقرابة ثلث الإنتاج العالمي 31.2%، والشاي في إندونيسيا وتركيا وبنغلادش بنسبة 18% والبن في إندونيسيا والكاميرون بنسبة 12%، والتمور في السعودية وباكستان والعراق والإمارات وتونس وإيران بنسبة 80% من الإنتاج العالمي، وزيت النخيل في ماليزيا وإندونيسيا بنسبة 80%، والزيتون في سوريا وتونس وفلسطين والمغرب والأردن بنسبة 15% من إجمالي الإنتاج. وغيرها من المنتجات الزراعية الأخرى⁽²⁾.

وفيما يخص الثروة الحيوانية:

تتمتع العالم الإسلامي أعداداً كبيرة منها بسبب توافر مساحات واسعة من المراعي في دول إسلامية عدة من بينها السودان والصومال وتركيا وإيران وأوزباكستان. ومن بين

(1) الدول الإسلامية.. ثروات طبيعية وموارد بشرية وفوائض مالية كبيرة، على شبكة الإنترنت.

(2) انظر: الثروة الزراعية في العالم الإسلامي، على شبكة الإنترنت.

الدول الإسلامية.. ثروات طبيعية وموارد بشرية وفوائض مالية كبيرة، على شبكة الإنترنت.

الدول المربية للأبقار بنغلادش إذ يبلغ عدد الرؤوس لديها 24 مليون رأس فيما يبلغ عدد الرؤوس في السودان 22 مليون رأس و 17 مليون رأس في باكستان و16 مليون رأس في نيجيريا و11 مليون رأس في إندونيسيا وتشكل 13.3% من الإنتاج العالمي. وبالنسبة لتربية الأغنام يبلغ عدد الرؤوس في إيران 45 مليون و39 مليون رأس في تركيا و33 مليون رأس في كازاخستان و28 مليون رأس في باكستان و23 مليون رأس في السودان وتشكل 27% من الإنتاج العالمي. وبالنسبة لتربية الإبل يبلغ عدد الرؤوس في الصومال 6.9 ملايين رأس وفي السودان 2.7 مليون رأس وفي باكستان مليون رأس وموريتانيا مليون رأس وفي تشاد 5 ملايين وتشكل 79% من الإنتاج العالمي⁽¹⁾.

أما بالنسبة للثروة المعدنية فيمتلك العالم الإسلامي معادن متنوعة، الذهب وينتج العالم فيه سنوياً أكثر من 2.28 طن، ينتج العالم الإسلامي سدس هذه الكمية تقريباً، وتعتبر أوزباكستان ثامن دولة في العالم في إنتاجه إذ تنتج 3.3% ثم إندونيسيا العاشرة عالمياً وتنتج 2%. الفضة وينتج العالم من هذا المعدن سنوياً 12.5 طناً، نصيب العالم الإسلامي من إنتاجه العشر تقريباً، وتعتبر كازاخستان سادس دولة في العالم في إنتاجه بنسبة 7.1% من الإنتاج العالمي، النحاس وينتج العالم منه 8.5 مليون طن سنوياً، للدول الإسلامية نسبة 8%، الحديد أكثر من نصف مليار طن هو الإنتاج العالمي من هذه المعدن، للعالم الإسلامي نسبة 8% وتعتبر كازاخستان الدولة العاشرة في إنتاجه بنسبة 3.2% منه، الرصاص وينتج العالم منه مليونان وثلاثة أرباع المليون من الطن في السنة، في العالم الإسلامي 12% منه وكازاخستان هي تاسع دولة في إنتاجه بنسبة 3.6% ثم المغرب العاشرة بنسبة 2.8% وغيرها من المعادن⁽²⁾.

(1) الدول الإسلامية: ثروات طبيعية وموارد بشرية وفوائض مالية كبيرة، على شبكة الإنترنت.

(2) منصور، عبد الملك، العالم الإسلامي، على شبكة الإنترنت.

وبالنسبة لمصادر الطاقة في العالم تعتبر السعودية المنتج الأول للنفط في العالم بنسبة 13.5% تليها أمريكا وروسيا ثم إيران الرابعة بنسبة 5.8%، والخامسة الإمارات بنسبة 3.7% ومن الدول الأخرى في إنتاج النفط الكويت والعراق وليبيا وتركيا ونيجيريا وإندونيسيا، أما الاحتياطي فتأتي إيران كثاني دولة في العالم بعد روسيا. الفحم الحجري وهو مصدر طاقة مهم وينتج العالم منه 3.5 مليار طن سنوياً، وتأتي كازاخستان في المرتبة التاسعة في العالم بنسبة 3% وإنتاجها هو نصف إنتاج العالم الإسلامي من هذه المادة. الطاقة النووية (اليورانيوم) وينتج منه سنوياً أكثر من 36 ألف طن، وتعتبر النيجر سادس دولة في العالم في إنتاجه، ويوجد هذا المعدن في عدة دول هي: مصر والجزائر وباكستان والصومال وجمهورية أفريقيا الوسطى وتوجو وأوزباكستان وقرغيزيا⁽¹⁾.

أما عن القوة المعنوية (الروحية)⁽²⁾:

فتملك هذه الأمة قبل ذلك كله القوة الروحية المستمدة من عقيدتها القائمة على توحيد الله عز وجل والامتثال لأوامره والسير على منهجه القويم، هذه العقيدة التي ترتقي بالنفس وتسمو بها وتشعرها بالسكينة والطمأنينة التي تستقر في كيانها كله إن هي امتثلت لمنهج الله وسارت عليه؛ فالإيمان بالله تعالى يحرر النفس من سيطرة الغير لأنه يقتضي الإقرار بأن الله عز وجل هو المدبر لهذا الكون كله قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يَخْلُقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ حَرًّا وَلَا قَعْمًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا قِسْرًا﴾ (الفرقان: 3)، والإيمان بالله يبعث الطمأنينة في القلب والسكينة في النفس وإذا أطمأن القلب وسكنت النفس شعر الإنسان ببرد الراحة وحلاوة اليقين واحتمل الأهوال بشجاعة وثبت إزاء الخطوب مهما اشتدت، ورأى أن يد الله ممدودة إليه وأنه القادر على فتح الأبواب المغلقة، فلا يتسرب إليه الجزع ولا يعرف اليأس إلى نفسه سبيلاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ وَأَخْرَجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ

(1) منصور، عبد الملك، العالم الإسلامي، على شبكة الإنترنت.

(2) سابق، السيد، عناصر القوة في الإسلام، بيروت، دار الكتاب الغربي، ط2، 1973، ص14، 17، 18.

كَفَرُوا أَوْلِيَاءَهُمْ أَطْلُغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَمْحَسِبُ النَّارُ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿

(البقرة: 257)، والإيمان يرفع من قوى الإنسان المعنوية ويربطه بمثل أعلى هو الله عز وجل مصدر الخير والبر والكمال، وبهذا يسمو الإنسان عن الماديات ويرتفع عن الشهوات، ويرى أن الخير والسعادة في النزاهة والشرف وتحقيق القيم الصالحة، ومن ثم يتجه الإنسان اتجاهاً تلقائياً لخير نفسه، ولخير أمته، ولخير الناس جميعاً، وهذا هو السر في اقتران العمل الصالح بجميع شعبه وفروعه بالإيمان، إذ أنه الأصل الذي تصدر عنه وتتفرع منه، قال تعالى:

﴿ إِنَّ الدِّينَ أَمْرٌ وَعَمَلٌ أَلَمْ نَلِدِكُمْ فِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِبُ مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ

النَّعِيمِ ﴿ (يونس: 9).

والمقام هنا لا يتسع لبيان آثار العقيدة على الفرد المسلم والمجتمع والأمة ككل، فالأهم في هذا الأمر أن هذه العقيدة تعطي المسلم طاقة لا حدود لها، وتعطيه الأمل، وتتجدد هذه الطاقة بتجدد إيمان المسلم وقوة صلته بالله تعالى، والواقع يؤكد هذه الحقيقة فالغرب كله اليوم في شقاء وتعاسة، وسبب ذلك المادية المسرفة، والإباحية المتلفة والعصبيّة المجحفة، فهو يعاني من فراغ روحي قاتل، ونحن لا بد أن ندرك أبعاد وحجم هذه القضية، فنتمسك بعقيدتنا ونسير على منهج الله ورسوله صلوات الله وسلامه عليه.

إن وجود هذه القوى هي مما يحيى الأمل الغائب، تلك الرغبة التي ترنو إليها النفوس وتجلي الهموم من الصدور التي سكنها اليأس وخيم عليها الإحباط والاكتئاب فباتت النفس مستسلمة خانعة مستتدة إلى الدعاء فقط دون الإقدام على أي خطوة عملية جريئة، وهي مما تبعث الارتياح في النفس بعد العناء والتعب الذي أثقل كاهل الإنسان. نعم وخير وفير حباه الله لهذه الأمة التي إن استغلها واستثمرتها بشكل جيد عاد عليها بالخير الكثير.

هذه المبشرات والحقائق الدامغة تعطي المسلم قوة لا مثيل لها، وتجعله ينهض من جديد، ويرجع إلى منهج الله تعالى، ويرتضيه لنفسه ولغيره، فأمل المسلمين في حصولهم على مبتغاهم وتحقيق أهدافهم لا يكون إلا في السير على منهجه عز وجل والعمل بمقتضاه، فضلاً عن أن الأمل الذي يسكن جوارحه يدفعه إلى بذل الجهود الداعية إلى تحقيق أمنياته ورغباته. إذن فالأمل منبعه الدين الإسلامي وهو في الوقت نفسه دافع وحافز لتحقيق الأهداف والرغبات.

الفصل الرابع

مبادئ الأمل ومجالاته

المبحث الأول: الدعوة إلى الله.

المبحث الثاني: الجهاد في سبيله.

المبحث الثالث: عند حدوث المصائب.

المبحث الرابع: الوقوع في الذنوب والمعاصي.

المبحث الخامس: التغيير في منهج التفكير.

الفصل الرابع

مبادئ الأمل ومجالاته

تمهيد

تبين الباحثة في هذا الفصل الميادين والمجالات التي تحتاج أكثر من غيرها إلى تسليح أصحابها بالأمل، ذلك أن الأمل وإن كان حاجة لا غنى للإنسان عنها في دروب الحياة كلها كي يمنح الإنسان العزيمة والتجدد في العطاء، إلا أن ثمة مجالات ومواطن وظروف تشتد فيها الحاجة إلى الاعتصام بالأمل والرجاء في الله، فمما لا يخفى على كل ذي لب أن حالة الشدة لا تتساوى مع حالة الرخاء، وأن ظرف الحرب لا يماثل ظرف السلم، وأن الابتلاء بالمصائب والوقوع في الشدائد، واقتراف الذنوب لا توازي من كان خارج دائرتها، وأن التغيير للأفضل يحتاج إلى نفس إيجابية متفائلة، نفس تحمل الإصرار والتحدي في مواجهة الصعاب ومقاومتها، نفس تسعى إلى تغيير منهج تفكيرها السلبي إلى إيجابي، نفس مستحضرة أبدأ الأمل والرجاء بالله تعالى، والتفاؤل والاستبشار بالخير، نفس فعالة تتسم بالحيوية والنشاط والحركة.

ولذا فقد جاء هذا الفصل لإلقاء الضوء على المواطن التي تمسّ فيها حاجة الإنسان إلى جرعات الأمل التي تمنحه الثبات، وتمده بالقدرة على المواجهة والاستمرار في التصدي لما هو بصدد من مواقف.

جاء هذا الفصل في خمسة مباحث هي على النحو الآتي:

المبحث الأول: الدعوة إلى الله.

المبحث الثاني: الجهاد في سبيله.

المبحث الثالث: عند حدوث المصائب.

المبحث الرابع: الوقوع في الذنوب والمعاصي.

المبحث الخامس: التغيير في منهج التفكير.

المبحث الأول الدعوة إلى الله

إنَّ طريق الدعوة إلى دين الله عز وجل طريقٌ مليءٌ بالعقبات والمحن والخطوب، والداعية الحصيف والواعي يدرك خطورة هذا الطريق، فيحصن نفسه ويستعد لمواجهة تلك الخطوب والعقبات، فينظر إليها على أنها تجارب تصقل شخصيته، وعلى أنها زائلة لا محالة، ولن تستمر طويلاً، فيرى في نهاية المطاف أن هدفه سيتحقق عاجلاً أم آجلاً بمشيئة الله تعالى.

والداعية المؤمن الموصول بالله عز وجل لا ييأس من إصلاح النفوس واستقامة القلوب، فهو يدرك أنه إن أخفق مرة لا بد أن يفلح مرّات، وإن صبر لا بد أن تُفتح له أبواب القلوب الموصدة، فالنصر صبر ساعة، والعاقبة للمتقين والنصر لدعاة الحق. ولكن هذا النصر لا يتحقق إلا بعد أمد، ولا تشرق الشمس إلا بعد ليل طويل حالك مليء بالمتاعب والابتلاءات تزيغ القلوب وتحير العقول⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَكْبِهِمْ أَلْبَاسًا وَأَلْصِقَاءَ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهَ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (البقرة: 214).

والأمة اليوم بحاجة إلى الداعية المتفائل الذي يضع هدفه نصب عينيه بصفة مستمرة ويتجه إليه بلا انحراف، والذي يدرك أن جهوده لن تضيع سدى فلا تغتر عزيمته ولا يفقد ثقته بذاته، والذي يتحرك باستمرار لا يعتوره الكسل والفتور فهمته عالية، والذي يستقطب الآخرين بابتسامة مشرقة وبطيب الكلام، والذي يدرك أن الأيام متداولة يوم لك، ويوم عليك، فيها التعب

(1) العتبيبي، عجائب، الدعاء والمشايخ يحددون وصفة القضاء على الإحباط في طريق الداعية، على شبكة الإنترنت: www.aldaawah.com.

وفيهما الفرح فلا تزعزع يقينه المصائب، ولا تفل عزيمته الفواجع، والذي يستحضر في ذهنه الأمور الإيجابية ويسعى لتحقيقها وإنزالها على أرض الواقع.

إن وجود الأمل لدى الداعية، ونظرتة المتفائلة تجعله قادراً على مواجهة الصعاب من الأمور في رحلته وتحقيق ما يصبو إليه.

دواعي الأمل عند الداعية:

والداعية المؤمن بالله أمله به كبير، ونظرتة تجاه مجريات الأحداث يعلوها التفاؤل، إذ لا يخفى عليه فضل الدعوة إلى الله عز وجل، وتتمثل دواعي الأمل لدى الداعية بما يأتي:

1. إيمانه بمكانة الدعوة وفضلها:

حيث يقول تعالى في محكم كتابه: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (فصلت: 33) فيكفيه شرفاً وكرامةً أن قوله في مضمار أحسن الأقوال، وأن كلامه في التبليغ أفضل الكلام، وهذا مدح وثناء لمن يدعو إلى الله، وهو مما يوطد دعامة الأمل لديه.

وهو ممن يعلم حديث المصطفى صلوات الله وسلامه عليه: (لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمُر النّعم)⁽¹⁾.

فهداية رجل واحد إلى الإسلام بعد الضلال خير وأفضل من نعيم الدنيا وملذاتها، فهو بدعوته إلى الإسلام قد أنقذه من النار وهداه إلى الجنة، ولله على مقامات السعادة، وهذا أجره عند الله عظيم، وهذا في هداية الواحد فكيف بهداية الجمع من الناس؟ الأجر حينئذ يزداد ويتضاعف، وهذا مما يوطد دعامة الأمل لديه وينعشه.

(1) مختصر صحيح مسلم، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب: في فضائل علي بن أبي طالب، حديث رقم 1640، ص 434.

وحين يتأمل قوله تعالى: ﴿ وَتَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران: 104).

فدعوته إلى الله عز وجل هي خير، يعود عليه وعلى غيره في الدنيا والآخرة، فهو من الدعاة إلى الحق والهداية، وينظر في وصف الله تعالى له: ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ فقد أفلح في عمله.

وعندما يعنى النظر في حديث الرسول الكريم صلوات الله عليه وسلامه: (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجر من أجور من أتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً)⁽¹⁾، فأجره يزداد ويتضاعف بهداية الجمع من الناس، وهذا مما ينعش الأمل لديه ويعززه.

2. إيمانه بما ينتظره من أجر عظيم عند الله تعالى:

وهو يدرك أن جهده الذي يبذله في دعوته لن يضيع أبداً لقوله تعالى: ﴿ فَاسْتَجَابَ

لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ ۖ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ ﴾ (آل عمران: 195). فلا بد أن يجني ثمرة جهوده عاجلاً أم آجلاً.

كما أنه يوقن أن صبره على المحن والخطوب في دعوته له أجر عظيم وثواب جزيل، قال تعالى: ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (النحل: 96)، قسم من الرب تعالى مؤكداً باللام أنه يجازي الصابرين بأحسن أعمالهم ويتجاوز عن سيئها⁽²⁾.

وهو يعلم أن دعوته إلى الله عز وجل فيها إصلاح للنفوس مما علق فيها من شوائب وأوساخ، وبالتالي فهو يتقصد لقب المصلح وأجر المصلح عظيم عند الله ولن يضيع لقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الصَّالِحِينَ ﴾ (الأعراف: 170)، وهو أيضاً محسن في دعوته للناس إلى الله عز وجل، والإحسان درجة عظيمة لا

(1) مختصر صحيح مسلم، كتاب العلم، باب: من دعا إلى هدى أو ضلالة، حديث رقم 1860، ص 492.

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 2، ص 606.

يبلغها إلا من كان على خلق عظيم. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾
(التوبة: 120).

كما أنه يدرك منزلته العظيمة عند الله عز وجل في الصبر على البلاء وفي وظيفته الشاقة، تلك التي تأتي بعد منزلة الأنبياء. (فمن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ سئل أيُّ الناس أشدُّ بلاءً؟ قال: الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل)⁽¹⁾.

فأيُّ شرف ومنحة تلك التي يطالها من جراء دعوته إلى الله تعالى أولاً وهي وظيفة الرسل الكرام، ومن تحمّله وصبره على البلاء ثانياً؟! وهذا مما يوطد الأمل في نفسه؛ لأن دعوته لن تضيع هباءً منثوراً ولو اتبعه عدد قليل، وهذا ما صدق على دعوة الأنبياء والرسل الكرام.

وعندما يقرأ قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا

حَسَنًا﴾ (الكهف: 2)، فالداعية ممن يعملون الصالحات، وهو ممن يبشرهم الله تعالى بالأجر الحسن، وهذا مما يدعوه لأن يواصل ويستمر في دعوته أملاً بأن الخير سيعم، فالحق باقٍ والباطل زاهق والعاقة للمتقين.

ومما يوطد الأمل لديه ويدعمه إدراكه بأنه إن لم يجد أجراً دنيوياً، أو إن تأخر، أن يضع الأجر الأخروي نصب عينيه لقوله تعالى: ﴿وَلَا جُرْأِخْرَةَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (يوسف: 57)، فالأفضلية في الأجر الأخروي.

كما أنه يضع أمامه أن الجنة ثمنها عظيم، وبلوغها ليس أمراً سهلاً، فما يلقاه من تكذيب، وإيذاء، وحسد وإعراض، واستهزاء وسخرية ينبغي أن لا يثنيه ذلك عن هدفه ومبتغاه، فأمله بالله عز وجل كبير، وثمر ذلك عظيم عند الله. قال رسول الله ﷺ: (حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ)⁽²⁾.

(1) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب: ما جاء في الصبر على البلاء، حديث رقم 2400، ج 7، ص 125.

(2) مختصر صحيح مسلم، كتاب صفة الجنة، باب: حفت الجنة بالمكاره، حديث رقم 1969، ص 522.

3. استحضاره للقوة العظيمة في سيرة الأنبياء والمصلحين:

وهو ممن يستطيع أن يستلهم الأمل والثقة من إطلاعه على سير الرسل الكرام الذين لم ييأسوا في دعوتهم لأقوامهم، بل كانوا متفائلين بالخير وبيشائر الفرج من الله عز وجل، الذين تحملوا الأذى وصبروا واستمروا في دعوتهم، فلم يثتم الأذى ولم يعثورهم الكسل والفتور، منهج عملي يوطد دعامة الأمل في نفس الداعية؛ إذ إنه يتعايش معهم، وينهج طريقهم، ويتبع خطواتهم، ويبصر نظرتهم المتفائلة للأمور.

"فهذا نبي الله نوح عليه السلام الذي بذل كل ما يستطيع من جهد في سبيل دعوة قومه إلى توحيد الله وعبادته، وما كان من قومه إلا التكذيب والسخرية، والصد والإعراض، والأذى. قال تعالى: ﴿ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهِ يَنْتُحُوا لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴾ (الشعراء: 116)،

وقال تعالى: ﴿ قَالُوا يَنْتُحُوا قَدْ جِئْنَاكُمْ فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ

الصّٰدِقِينَ ﴾ (هود: 32)، وقال تعالى: ﴿ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ﴾ (هود:

38). وقد طالبت فترة دعوته حيث لبث يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ولم يؤمن معه في

هذه الفترة إلا عدد قليل، قال تعالى: ﴿ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (هود: 40)، ومع هذا لم

ييأس ولم تفتر همته، بل ظل مستمراً في دعوته سراً وجهاً، وليلاً ونهاراً⁽¹⁾، قال تعالى:

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۖ فَلَمَّ يَزِدْهُمْ دُعَاوِي إِلَّا فِرَارًا ۖ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ

لِتُغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصْبُعَهُمْ فِيْٓ أَذَانِهِمْ وَاسْتَعْصَمُوا بِرِجَالِهِمْ وَأَصْرَبُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۖ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ

جِهَارًا ۖ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾ (نوح: 5-9).

ولقد ظل على هذه الحال حتى نصره الله وأهلك عدوه فأغرقه ونجاه الله تعالى ومن

معه من الطوفان، قال تعالى: ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ

الْبَاقِينَ ﴾ (الشعراء، 119، 120).

(1) انظر: أبو فارس، محمد عبد القادر، أسس في الدعوة ووسائل نشرها، عمان، دار الفرقان، ط1، 1992،

ونبي الله يعقوب عليه السلام تمرُّ به الشدائد ويفقد أعز ما يملك، وفي قمتها نراه صابراً يوجه أولاده إلى تلمس يوسف وأخيه، ويوصيهم ألا ييأسوا من رحمة الله، فإن رحمة الله واسعة وفرجه قريب، قال تعالى: ﴿ يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسُّوْا مِنْ يُوْسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رُوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رُوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْكٰفِرُونَ ﴾ (يوسف: 87)، وحياته كلها أمل ورجاء في الله تعالى، يقول لأبنائه: ﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ﴾ (يوسف: 83)، ويقول: ﴿ فَصَبِّرْ جَمِيلًا وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَيَّ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف: 18]، ولذلك جاءت عاقبة الأمل والصبر أن أعثره الله على ابنه فوجد يوسف كما وجد أخاه، وردَّ الله عليه بصره ﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ﴾ (يوسف: 96).

"أيوب عليه السلام الذي أصابه البلاء في ماله، وولده، وجسده، فقد كان له من الدواب والأنعام والحرث شيء كثير، فابتلي في ذلك كله وذهب عن آخره، ثم ابتلي بمرض في جسده ولم يبق منه سوى قلبه ولسانه يذكر بهما الله تعالى، ولم يبق أحد من الناس يحنو إليه سوى زوجته كانت تقوم بأمره، ومع هذا كله لم يتدمر، ولم ييأس بل صبر حتى عافاه الله مما كان فيه"⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَأَيَّانَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَعِدْنَاهُمْ وَإِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ (الأنبياء: 83، 84).

فالداعية عندما يواجه المحن والابتلاءات لا بد أن يصبر وينتظر فرج الله تعالى كما صبر سيدنا أيوب عليه السلام، إذ لم يعثره ظن السوء بالله تعالى، بل كان رجاؤه وأمله بالله كبيراً.

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص197.

يوسف عليه السلام الذي ابتلي بمحن كثيرة، محنة كيد أخوته له، ومحنة دعوة امرأة عزيز مصر له وهي ذات منصب ومال وجمال لكنّه آثر على ذلك السجن، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَلَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْنِ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (يوسف: 34)، فصبره على كيد إخوته له عندما ألقوه في الحب وبيعه وتفريقهم

بينه وبين أبيه، وصبره على عدم مطاوعة امرأة العزيز على شأنها لهو مثل حي للمؤمن الصابر الأمل الذي ينتظر بشائر الفرج.

"سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام الذي واجه خلال ثلاثة عشر عاماً عدواً شرساً قاسي القلب، غليظ الطبع، لقي منه أذىً كبيراً، وما آمن معه إلا قليل، فما أثار ذلك في عزمته، وما فكر لحظة واحدة باليأس، بل ثبت ثبات الشم الرواسي، واستمر دؤوباً في دعوته، يقوم بواجبه حتى نصره الله نصراً مؤزراً، وهزم عدوه هزيمة كسرت شوكته وأزالت دولته"⁽¹⁾.

وقد كان رسول الله ﷺ مثالاً يحتذى به، "حيث كان يغذي النفوس ويربيها ويملوها بالتفاؤل والأمل والإيمان، وبأن ظهور هذا الأمر كائن لا محالة، يبث عناصر الثقة في قلوب الرجال، ويفيض عليهم مما أفاضه الله على فؤاده من أملٍ رحيب بانتصار الإسلام، وانتشار مبادئه، وزوال سلطان الطغاة، والصبر على صنوف العذاب وألوان البلاء"⁽²⁾.

من ذلك جاء خباب بن الأرت إلى رسول الله ﷺ وهو متوسدٌ بُرْدَةً وهو في ظل الكعبة، فقال له: يا رسول الله ألا تدعو الله لنا؟ فقال رسول الله ﷺ مقوياً عزمته وشاحداً لهمته: (لقد كان من قبلكم ليمشطُ بمشاط الحديد، ما دون عظامه من لحمٍ أو عصب، ما

(1) أبو فارس، محمد، أسس الدعوة ووسائل نشرها، ص 31.

(2) حماد، محمد، لا يأس مع الإيمان، على شبكة الإنترنت 2007/6/5:

يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه، فيشقُ باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله⁽¹⁾.

أيضاً موقف الرسول الكريم ﷺ وهو يبشِّرُ المؤمنين يوم الخندق وبيث في نفوسهم جرعات من الثقة والأمل بقوله: والذي نفسي بيده ليفرجن عنكم ما ترون من الشدة وإني لأرجو الله أن أطوف بالبيت العتيق آمناً، وأن يدفع الله إليّ مفاتيح الكعبة، وليهلكن الله كسرى وقيصر، ولتتفقن كنوزهما في سبيل الله⁽²⁾.

ويتعلم الداعية من الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه إصراره على تبليغ دين الله، فبالرغم مما لاقاه من السخرية والصد والتحقير والأذى كان عليه الصلاة والسلام يغشى مجالس المشركين ومجامعهم ويحدثهم عن الإسلام، ويطلب منهم النصر، فعن جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه بالموقف فيقول: (ألا رجلٌ يحملني إلى قومه؟ فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي)⁽³⁾، وظل رسول الله ﷺ يتردد على القبائل يدعواهم فرادى وجماعات، في منازلهم وفي الأسواق...، رجاء أن يخرج الله من أصلابهم من عبده لا يشرك به شيئاً، حتى كانت بيعة العقبة الأولى بشائر الفرج من الله عز وجل⁽⁴⁾.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب: ما لقي النبي وأصحابه من المشركين بمكة، حديث رقم 3852، ص730، 731.

(2) الغزالي، محمد، فقه السنة، مصر، دار الكتاب العربي، ط1، 1952، ص229.

(3) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: ثواب القرآن وفضائله، باب: حرص النبي ﷺ على تبليغ القرآن، حديث رقم 2926، ج8، ص124، وقال حديث غريب صحيح.

(4) انظر: الصلابي، علي محمد، السيرة النبوية، ص305، 311.

زهران، أحمد، عشرية الدعوة في مواجهة الشدائد، على شبكة الإنترنت 2008/4/13:

www.islamonline.com

وهو بموقفه هذا عليه الصلاة والسلام يعلم الرعية الثبات والإصرار على تبليغ دين الله تعالى، وبث الأمل والثقة والتفاؤل ببشائر الخير والفرج من الله تعالى، والداعية الحضيف يدرك مشقة الطريق السائر فيه، ففيه من أصناف العقبات والشدائد الكثير، التي لا بد أن يواجهها بنفس متفائلة محسنة الظن بالله عز وجل، إذ لا بد أن يحصد ثمرة جهوده عاجلاً أم آجلاً.

وفي هذا يقول ابن قيم الجوزية:

"المصالح والخيرات واللذات والكمالات كلها لا تنال إلا بحظ من المشقة، ولا يعبر إليها إلا على جسرٍ من التعب، وقد أجمع عقلاء كل أمة أنّ النعيم لا يدرك بالنعيم، وأنّ من أثر الراحة فاتته الراحة، وأنه بحسب ركوب الأهوال واحتمال المشاق تكون الفرحة واللذة، فلا فرحة لمن لا همّ له، ولا لذة لمن لا صبر له، ولا نعيم لمن لا شقاء له، ولا راحة لمن لا تعب له، بل إذا تعب العبد قليلاً استراح طويلاً، وإذا تحمل مشقة الصبر ساعة قاده لحياة الأبد، وكل ما فيه من أهل النعيم المقيم فهو صبر ساعة"⁽¹⁾.

فالرسل الكرام لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه إلا بعد عناء ومشقة، وصبر على المحن والخطوب، وإصرار على تحقيق الهدف، لذلك ينبغي على الداعية أن ينهج منهجهم ويسير على هداهم ليصل نحو هدفه ومبتغاه.

ومن بواعث الأمل لدى الداعية هي نجاحه في عمله، وهذا النجاح يتوقف على وجود صفات معينة لديه هي على النحو الآتي:

أولاً: الإيمان العميق:

فكلما كان إيمان الداعية عميقاً متأسلاً في القلب، كان ذلك أقرب لتحقيق هدفه ومبتغاه، وتوطيد عنصر الأمل لديه؛ إذ إنّ زيادة الإيمان في قلب الداعية تعكس النسبة الحقيقية

(1) ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد، مفتاح دار السعادة، السعودية، دار ابن عفان، ط1، 1996، ج2، ص15، 16.

لعطائه وإبداعاته، فالربانية والقرب من الله تعالى هي أعظم حافز يدفع المرء للعمل والإبداع⁽¹⁾.

فقمة التفاؤل اتصال القلب بالرب عز وجل؛ لأنه يربط الفاني بالحي القيوم، ولأنه يمنح المرء قدرات، واستعدادات، وطاقات نفسية لا يملكها أولئك المحبسون في قفص المادة. "وإن سر سعادة الإنسان هو رصيد ما في قلبه من إيمان، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ

بِاللَّهِ يَدِّ قَلْبَهُ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (التغابن: 11) فالإيمان بالله تعالى يزيل الغم والهم من حياة الإنسان، فالمؤمن لا ييأس إن منعه الناس، ولا يجزع إن خانوه، لأنه يعتمد على مسبب الأسباب، ومدبّر الأمور لسان حاله يقول:

واشددْ يَدِيكَ بِجِبَلِ اللَّهِ مَعْتَصِماً فَإِنَّهُ الرُّكْنُ إِنْ خَانَتْكَ أَرْكَانُ

كما أن الإيمان بالله يخفف عنه الحمل، فهناك من يحمل عنه، وليه وولي المؤمنين، قال تعالى: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ (البقرة: 257)، وما أجمل تلك الكلمة الخالدة التي خرجت من قلب معمور بالإيمان، إنه قلب الرجل الصالح إبراهيم بن أدهم: لو علم الملوك ما نحن عليه لقاتلونا عليه بالسيوف⁽²⁾. (حلاوة الإيمان).

ويقول الإمام الغزالي في هذا الصدد:

"ولكنني أؤمن إيمان يقين ومشاهدة أنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وأني لم أتحرك ولكنه حركني، وأني لم أعمل ولكنه استعملني"⁽³⁾.

إذن ففوة صلة القلب بالله عز وجل وإعمار الإيمان في جوارح الإنسان هي سبيل بلوغ المرامي والغايات لديه، وهي باب الأمل والتفاؤل، واستنهاض الهمم.

" وإقامة الدين لن تتحقق إلا بجهد البشر، وهذا المجهود البشري له محوران: محور شعوري وجداني ومحله القلب، ويتمثل في قوة اتصال هذا القلب بالله تعالى كما قال تعالى:

(1) انظر: عبده، محمد، ماذا يعني انتمائي للدعوة، دن، عمان، ط1، 2008، ص60

(2) ياسين، طه، عيون الأمل، ص93، 98.

(3) ناصيف، إميل، روائح الحكم والأقوال الخالدة، بيروت، دار الجيل، ط1، 2005، ص62.

﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَدْعُهُ ﴾ (الحج: 40)، ومحور سلوكي يتمثل في اتخاذ الأسباب

اللازمة لإقامة الدين⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ

تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مَن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۗ وَمَا تُفِقُوا

مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تظَلُمُونَ ﴾ (الأنفال: 60).

من جهة أخرى قوة الإيمان وعمقه عند الداعية تجعله يتصل بمصدر للطاقة لا ينضب

أبدأ، بل يزداد على مدى الأيام في هذا العصر المادي؛ ففي غمرة العمل قد تغلب على الداعية

الحركة وحب الاتصال بالناس، بل قد يغرق في متابعتهم وحل مشكلاتهم وإذا بماء الإيمان

لديه ينضب، أو يتعكر دون أن يدري، وبالتالي يحدث فتور في العمل والعطاء لديه، كما

سيكون هناك ضعف في تأثيره على غيره⁽²⁾.

وبما أن هذا المصدر للطاقة متجدد فإنه سيولد لديه باستمرار عنصر الأمن وينعشه في

ذاته، ويسعى نحو تحقيق هدفه، فلا تثنيه العقبات في الوصول إلى غايته؛ فهو محسن الظن

بالله تعالى الذي هو عنوان الفلاح، وسمت الصلاح، ومفتاح النجاح.

"فالمؤمن الحق موصول بالله تعالى مغمور بعطائه وكرمه، وهو باستمرار في رقي

دائم على طريق الهداية والمعرفة"⁽³⁾.

ثانياً: الفقه والوعي:

إن استقطاب الناس واجتذابهم إلى دين الله يحتاج من الداعية أن يكون فقيهاً في أمور

الدين، ملماً بها، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الزمر: 9)،

(1) عبده، محمد، ماذا يعني انتمائي للدعوة، ص 61.

(2) انظر: بكار، عبد الكريم، مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، دمشق، دار القلم، ط1، 1999، ص 124.

(3) المرجع نفسه، ص 125.

وقوله ﷺ: (إنما العلم بالتعلم، ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)⁽¹⁾، "وهذا أساس لا بد منه حتى يجد الناس عند الداعية إجابة لتساؤلاتهم وحلولاً لمشكلاتهم، وتعليماً لهم لأحكام الشرع، وتبصيراً لهم بحقائق الواقع، وبه يكون قادراً على الإقناع وتنفيذ الشبهات، وإتقان في العرض، وإبداع في التوعية والتوجيه"⁽²⁾.

"العامل على غير علم كالمسالك على غير طريق، والعامل على غير علم يفسد أكثر مما يصلح"⁽³⁾.

فالداعي لا بد أن يكون على بصيرة وعلم بما يدعو إليه، وإلا وقع في الخبط والخط، وبالتالي يكون ضرره أكثر من نفعه، وإفساده أكثر من إصلاحه، وهذا مما لا يحقق هدفه ومبتغاه.

كما يحتاج الداعية أن يكون متزوداً بالثقافات والمعارف المختلفة؛ "فهم الداعية لأحوال المدعويين المختلفة العلمية والثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، ومعرفة مستوياتهم العقلية والمعرفية، وعاداتهم وتقاليدهم، من شأنه أن يرفع من مستوى نشاطه الدعوي وإقبال الناس عليه، والجهل بحالهم قد يوقعه في أخطاء من شأنها أن تعيق عمله الدعوي، وتؤخر استجابة الناس لما يدعوهم إليه، وقد يتجاوز هذا الحد إلى النفور منه ومما يدعوهم إليه"⁽⁴⁾، وقد صدق رسول الله ﷺ: (إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق)⁽⁵⁾، وهذا بحكم حركته الواسعة وانتشاره الكبير، واتصالاته المتنوعة، إذ إنه يلتقي بأنواع كثيرة من الناس، كل له مزاجه وثقافته وإطلاعه، لذلك ينبغي عليه أن يشبع هذه الثقافات ويلم بشيء

(1) أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب العلم، باب: من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، حديث رقم 71، ص39.

(2) باندحج، علي، مقومات الداعية الناجح، جدة، دار الأندلس الخضراء، ط1، 1996، ص45.

(3) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، ج1، ص304.

(4) أبو فارس، محمد، أسس في الدعوة ووسائل نشرها، ص63، 64.

(5) أورده جلال الدين السيوطي في الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، حديث رقم 2508، ج1، ص384، وقال حديث صحيح.

منها، وفي هذا يقول ابن الجوزي: "للفقيه أن يطالع من كل فن طرفاً، من تاريخ وحديث ولغة وغير ذلك، فإن الفقه يحتاج إلى جميع العلوم، فليأخذ من كل شيء منها مهماً"⁽¹⁾، "خاصة وإن اجتذاب الناس والتأثير فيهم غداً أمراً ليس سهلاً في عصر تعددت فيه الاتجاهات، وكثرت فيه الفلسفات والشبهات"⁽²⁾، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ أَوْ كَظَلَّمْتَ فِي مَكْرٍ لُجِيِّ يَغْشَى مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ طُلُمْتُ بِعَعْضِهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أُخْرِجَ يَدُهُ لَمْ يَكْدُ يَرْنَهَا وَمَنْ لَمْ

يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾ (النور: 40).

فتقافة الداعية هي التي ستكشف عن الإمكانيات الإبداعية الكامنة لديه، إذ إنها تمثل المجال الحيوي الذي تنمو فيه المواهب والعقريات، كما تمثل الأساليب والأدوات الفاعلة التي يركّز عليها في أعماله⁽³⁾.

إن افتحام العقول والنفوس بات أمراً صعباً، لذلك يحتاج الداعية بعد الإيمان بالله والثقة به والالتكال عليه إلى قدر كبير من العلم والثقافة، والدراسة والفكر، والخبرة، والإطلاع، فهي جميعاً تعينه على ملامسة الداء بالدواء اللازم، ومواجهة المشكلة بالحل الحاسم، وبغير ذلك سيخبط خبط عشواء⁽⁴⁾.

"والإصلاح والتغيير لا يكون فقط بإسداء النصح، وإصدار التوجيهات، وتدبير الخطب والمحاضرات، إنه يتطلب تغييراً في مجرى الواقع المعاش، لذلك فالداعي الذي يصلح للتحديث في الإسلام هو رجل خبير بالحياة وعلوها، مكين في الوحي الأعلى، يأخذ منه بلباقة ما يشفي علل الناس ويصلح بالهم، وما يتألف به نافرهم ويسكن ثائرهم، وما يدحض به نزعات الإلحاد، ويحبط كيد الشيطان، وما ترق به القلوب القاسية، وتتفرج به الأسارير المنقبضة، وما

(1) ابن الجوزي، عبد الرحمن، صيد الخاطر، تحقيق: السيد الجميلي، بيروت، دار ابن زيدون، ط1، 1986، ص514، 515.

(2) انظر: يكن، فتحي، الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط6، 1985، ص19.

عبد العزيز، جمعة أمين، الدعوة قواعد وأصول، الإسكندرية، مصر، دار الدعوة، ط1، 1988، ص71.

(3) بكار، عبد الكريم، مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، ص54.

(4) يكن، فتحي، الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية، ص20، 22.

يشعر الناس بعد الاستماع منه أنهم فقراء إلى الله، محتاجون إلى هداياته، ولا بصيرة لهم إلا منه ولا ملجأ إلا إليه⁽¹⁾.

داعية يتصف بسرعة البديهة، والوعي العميق، واليقظة، والقدرة على مواجهة الدسائس والمؤامرات، "داعية يزن كل شيء بدقة، فيلاحظ الضرر كما يلاحظ النفع، ويبصر الحسنة كما يبصر السيئة، سواء في تفسير المواقف، أو في الحكم على الأشخاص، أو في اتخاذ قرار ما"⁽²⁾، وصدق رسول الله ﷺ حيث قال: (مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ، أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبٌ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَفَعَّ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تَمْسِكُ مَاءً وَلَا تَنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلِمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسَلْتُ بِهِ)⁽³⁾.

فهو بوعيه ونظرته الثاقبة للأمور، وقدرته على التواصل كمثل الغيث الذي يحتاجه الناس والأرض والدواب ليعيشوا في هذه الحياة الدنيا. فعمله والنور الذي يبصر به وقدرته على إيصاله للناس هو ما يحتاجونه للعيش بسلام وأمان، ورضى وأملٍ وتقاؤل بالخير.

ثالثاً: الهمة العالية والعمل الدؤوب:

الهمة هي الدافع على الفعل والمحرك له، وعلو الهمة يعني: التطلع إلى معالي الأمور، وبذل الوسع لتحقيق الهدف المرجو والغاية المأمولة⁽⁴⁾. وقد عرف ابن القيم علو الهمة بقوله:

ما يملك الانبعاث للمقصود صرفاً، لا يتمالك صاحبها، ولا يلتفت عنها، بمعنى أنها (الهمة) تستولي عليه كاستيلاء المالك على المملوك، فهو لا يقدر على المهلة ولا يتمالك

(1) عبد العزيز، جمعة أمين، الدعوة قواعد وأصول، ص74.

(2) شرارة، عبد اللطيف، تغلب على التشاؤم، ص26.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب: فضل من علم وعلم، حديث رقم 79، ص73.

(4) فؤاد، إيهاب، إيقاظ الهمم، ص20.

صبره لغلبة سلطانها عليه وشدة إلزامها إيّاه بطلب المقصود، ولا يلتفت عنها إلى ما سوى أحكامها⁽¹⁾.

فأقرب القلوب إلى الله تعالى هو أعلى الناس همة؛ لأن القلب المرتبط بالله لا تحده حدود ولا تقيدته قيود، ولا يركن ولا يمل حتى يصل إلى ما يريد، فهو يطمح إلى المزيد، فيعمل دون كلل مبتغياً وجه الله تعالى ومستشعراً الأجر على قدر العمل والمشقة والنصب⁽²⁾.

قال ابن قتيبة: "ذو الهمة إن حُطَّ فنفسه تأبى إلا علواً، كالشعلة من النار يصوبها صاحبها وتأبى إلا ارتفاعاً"⁽³⁾.

فالهمة هي المحرك والدافع على العمل، بل هي تسبق العمل مصداقاً لقوله ﷺ: (من همّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة)⁽⁴⁾، فصاحب الهمة العالية لا يخسر بحال؛ لأن حاله كله مع الله عز وجل⁽⁵⁾.

والداعية الذي يسعى لتحقيق هدفه لا بد أن تكون همته عالية، يبذل كل طاقته وما في وسعه ليقوم بالأمانة والمسؤولية الملقاة على عاتقه، وقد امتدح القرآن الكريم الذين آمنوا حق الإيمان وشمروا بسواعد الجد والاجتهاد إلى مرضاة ربهم قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ (المؤمنون: 61)، وعلى قدر العطاء والجد يكون القرب من الله تعالى، قال تعالى في الحديث القدسي: (... ومن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، ومن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإذا أقبل إلي يمشي، أقبلتُ عليه أهراً)⁽⁶⁾، ولن يستوي

(1) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، تحقيق: عماد عامر، القاهرة، دار الحديث، ط1، 2003، ج3، ص5.

(2) فؤاد، إيهاب، إيقاظ الهمم، ص22.

(3) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج1، ص231.

(4) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: إذا همّ العبد بحسنة كتبت وإذا همّ بسيئة لم تكتب، حديث رقم 131، ج1، ص152.

(5) فؤاد، إيهاب، إيقاظ الهمم، ص23، 24.

(6) سبق تخريجه.

الكسالى مع الجادين أصحاب الهمم العالية، قال تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء: 95).

إنّ فعالي الهمّة "هو رجلٌ ماضٍ في الأمور، ذو عزيمة وصرامة محكمة، وهو ذرّاءٌ غايات، سبوق إلى الغايات، مقدام على العظام، يقصد خطيرات الأمور، ويركب المراقبي الصعبة، ويضطلع بأعباء المهمات. وإنه ليذلل العقاب، ويروض الصعاب، ويركب ظهور العوائق، ويتخطى رقاب الموانع، لا يتعاضمه أمر، ولا يقف دون غاية، ولا يفوته مطلب، ولا تُعجزه لبانة، ولا ينكل عن خُطة"⁽¹⁾.

وما أجمل ما عبّر عنه الشافعي بقوله:

همتي همّة الملوك ونفسي
نفس حر ترى المذلة كفراً

فصاحب الهمّة العالية هو صاحب روح وثابة، وعقل متقد وفكر واع وفهم صحيح، فهو داعية ومصليح ومعلم، وصاحب أمل على الدوام.

"وصاحب الهمّة-العالية تجده متحركاً على الدوام، ولا يقف في منتصف الطريق، ولا يبرد إذا هبّت عليه رياح اليأس، أو تشل حركته إذا اجتاحتها أعاصير الفتن، فالحركة في قاموس الدعوة هي الحياة والسكون هو الموت"⁽²⁾.

فعمله وحركته الدائبة هي عنوان نجاحه وتحقيق هدفه ومبتغاه، قال تعالى: ﴿ فَمَنْ

يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ (الزلزلة: 7).

(1) فؤاد، إيهاب، إيقاظ الهمم، ص 19.

(2) البلاي، عبد الحميد، المصطفى من صفات الدعوة، الكويت، مكتبة المنار الإسلامية، ط 1، 2000، ص 146،

وقال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه في هذا الشأن:

"من جرى في عنان أمله عثر بأجله"، أي من كان جريه إلى سعادته بعنان الأمل يُمني نفسه بلوغ مطلبه بلا عمل سقط في أجله بالموت قبل أن يبلغ شيئاً مما يريد⁽¹⁾، فالداعية لا بد أن يبذل أقصى ما في وسعه ليصل إلى غايته ومنها، فالقعود والأمانى لا يحقق شيئاً أبداً.

رابعاً: القدوة الحية والنموذج المتحرك:

لا يخفى أبداً أثر القدوة فهي الصورة الحية للفكرة، والتطبيق العملي للدعوة، والتوضيح الجلي للحجة، ولا شك أنها من أعظم أسباب بذر المحبة في القلوب، ووجود القناعة في العقول، فشاهد الحال أقوى من شاهد المقال⁽²⁾.

كما أنها المثال الحي المرتقي في درجات الكمال التي تثير في نفس البصير العاقل قدراً من الاستحسان، والإعجاب، والتقدير، والمحبة، ومع هذه الأمور تتهيج دوافع الغيرة لديه، فيحصل التأثير والافتداء، وتكون الاستجابة قوية⁽³⁾.

والداعية الذي يرنو نحو تحقيق الهدف لا بد أن يكون قدوة حية لغيره في سمات مهمة تستدعي أن تتواجد فيه، فلا يكون ممن يقول ولا يفعل، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ

تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٦٧﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٦٨﴾﴾ (الصف: 2،

3)، فهو المرآة التي ينظر إليها الآخرون من خلاله، فإذا لم تتطابق أقواله مع أفعاله فلن يجني ثمرة جهوده أبداً، وسيكون قدوة سيئة غير متبعة.

فيكون رحيماً بالناس رفيقاً بهم، مشفقاً عليهم يريد لهم الخير والنصح؛ فهم يمقتون العنف وأصحابه، وينفرون من القسوة وأهلها، وصدق الله تعالى حيث يقول: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ

(1) أبي طالب، علي بن، نهج البلاغة، ص 683.

(2) بادحدح، علي، مقومات الداعية الناجح، مرجع سابق، ص 27.

(3) البلالي، عبد الحميد، المصطفى من صفات الدعاة، مرجع سابق، ص 21، 22.

مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّمْ يَكُنْ لَّهُمْ قَوْلٌ غَلِيظٌ أَلْقَيْنَا لَآ نَفْعُوكُمْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ
وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿ آل عمران: 159 ﴾،
والداعي المحروم من الرحمة غليظ القلب، لا ينجح أبداً في عمله، ولا يقبل الناس عليه، وإن
كان ما يقوله حقاً وصدقاً⁽¹⁾.

قال رسول الله ﷺ: (إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على
العنف وما لا يعطي على سواه)⁽²⁾.

قال الإمام علي رضي الله عنه: "من لَانَ عَوْدُهُ كَثُفَتْ أَغْصَانُهُ"⁽³⁾، فاللين الهين
مستقطب للناس بلين معاملته لهم.

فالرحمة باعث ودافع ومحرك للداعية لإنقاذ الناس من الهلاك، وهي في الوقت نفسه
عامل استمرار وإصرار، وتوسيع لدائرة الاستيعاب، والتأثير رغم الصد والإعراض. وقدوتنا
في ذلك رسولنا محمد ﷺ يوم أحد عندما شجَّ وجهه الشريف، وكُسرت ربايعيته، وبينما الدم
يسيل على وجهه يقول عليه الصلاة: "اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون"⁽⁴⁾.

"إن الرحمة تجعل المرء يرق لآلام الخلق ويسعى لإزالتها، ويأسى لأخطائهم فيتمنى
لهم الهدى، وهي العاطفة الحية النابضة بالحب والرافة"⁽⁵⁾.

ويكون حليماً بهم لا ينفعل ولا يتسرع في حكمه للأمر، بحيث يضع الأشياء في
مواضعها، فيكظم غيظه، ويضبط نفسه عند الغضب، ويعفو ويصفح عن المسيء⁽⁶⁾، قال
تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (الأعراف: 199)، وقال تعالى:

﴿ ... فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ (آل عمران: 159).

(1) انظر: -الأغبري، علي، الدعوة والدعاة، اليمن، مكتبة دار السلام، ط1، 2008، ص40، 49.

يكن، فتحي، الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية، ص33

(2) مختصر صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب: في الرفق، حديث رقم 1785، ص474.

(3) أبي طالب، علي بن، نهج البلاغة، ص726.

(4) كفوري، صفى الرحمن، الرحيق المختوم، ص240.

(5) الغزالي، محمد، خلق المسلم، ص203.

(6) بادحدح، علي، مقومات الداعية الناجح، ص78.

ومن أمثلة ذلك من سيرة المصطفى أن أعرابياً بال في المسجد، فتناوله الناس، فقال لهم رسول الله ﷺ: (دعوه، وهريقوا على بؤله سَجْلاً من ماء أو ذنوباً من ماء، فإنما بعثتم ميسرين، ولم يبعثوا معسرين)(1).

فمن كان سمح النفس، متأنياً حليماً، استطاع أن يظفر بأكبر قسط من محبة الناس له وتقته به، فهو يعاملهم بالسماحة، واللين، والبشر، والتعاضى عن السيئات والنقائص، وبالتالي الوصول إلى هدفه ومبتغاه(2).

قال الإمام علي رضي الله عنه: "أول عِوَضِ الحليم من حِلْمِهِ أن الناس أنصروه على الجاهل"(3).

ومن السمات التي تفتح القلوب للداعية وتجعله محل قبول عندهم وألفة منهم، طلاقة وجهه وطيب كلامه، فالوجه هو عنوان الداعية والمرأة التي تعكس نفسيته وأعماقه، فإذا كان متجهماً أوحى بالضيق والتجهم، وإن كان طلقاً مبتسماً أوحى بالبشر والخير. وما أجمل ما عبّر عنه الإمام علي في هذا الصدد: والبشاشة حُبالة المودة، بمعنى أن البشوش يصيد مودات القلوب(4).

أما عن طيب الكلام، فكلام الداعية هو وسيلة الاتصال بالناس، ووسيلة التعبير عن المعاني والأفكار، فإن كان متمكناً من لسانه متحكماً بكلامه، قادراً على انتقاء الكلم الطيب والتعبير الحسن، كان بالتالي قادراً على كسب قلوب الناس والولوج إلى نفوسهم وذواتهم(5).

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب: صب الماء على البول في المسجد، حديث رقم 220، ص 95.

(2) بادحدح، علي، مقومات الداعية الناجح، ص 81.

(3) أبي طالب، علي بن، نهج البلاغة، ص 724.

(4) المرجع نفسه، ص 682.

(5) يكن فتحي، الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية، ص 49، 51.

قال تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (البقرة: 83).

وقال تعالى: ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَىٰ ۗ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾

(البقرة: 263)

وقال تعالى: ﴿ وَهَدُوا إِلَىٰ الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهَدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾ (الحج: 24).

ومن مشكاة النبوة:

قول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام: (لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن

تلقي أخاك بوجه طلق)⁽¹⁾.

وقوله أيضاً ﷺ: (والكلمة الطيبة صدقة)⁽²⁾.

وقوله أيضاً عليه الصلاة والسلام: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو

ليسكت)⁽³⁾.

أيضاً أن يكون الداعي ميسراً لا معسراً فيخاطب الناس على قدر عقولهم فييسر لهم ما

صعب، ويشرح لهم ما غم عليهم، ولا يصعب عليهم الأمور، بل يكن لئناً سهلاً في التعامل

معهم. فقد قال رسول الله ﷺ عندما بعث أبا موسى الأشعري ومعاذ إلى اليمن: (يسراً ولا

تعسراً، وبشراً ولا تنفراً)⁽⁴⁾.

"ومن اليسر على المدعو أن يتخوّل بالموعظة مع مراعاة الوقت المناسب لها، حتى

يجد الأذان الصاغية"⁽⁵⁾، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (كان النبي يتخولنا بالموعظة

في الأيام كراهة السامة علينا)⁽⁶⁾.

(1) مختصر صحيح مسلم، كتاب البر والصلوة، باب: في تعاهد الجيران بالبر، حديث رقم 1782، ص 474.

(2) أخرجه البخاري في صحيح، كتاب الأدب، باب: طيب الكلام، حديث رقم 6023، ص 1166.

(3) مختصر صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: من الإيمان حسن الجوار وإكرام الضيف، حديث رقم 32، ص 16.

(4) مختصر صحيح مسلم، كتاب السير، باب: في أمر البعوث بالتيشير، حديث رقم 1112، ص 294.

(5) انظر: عبد العزيز، جمعة أمين، للدعوة قواعد وأصول، مرجع سابق، ص 189، 193.

(6) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب: ما كان النبي يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا،

حديث رقم 68، ص 71.

إنّ سماحة الداعية، ولينه، وسهولة معشره، هي التي تفتح مغاليق القلوب وتنفذ به إلى أعماق النفوس، يلامسها بالهداية فتقبل، ويدعوها إلى الخير فتستجيب⁽¹⁾.

الصبر سمة رئيسية ينبغي توافرها في الداعية؛ إذ إنّ اجتذاب الناس واستيعابهم يحتاج منه إلى أن يصبر عليهم لا أن يضيق بهم، ويتبرم منهم؛ فهم أصحاب أمزجة شتى، وعيوب شتى، وطباع شتى، وحاجات ومصالح شتى، كما أنّ مشاكلهم كبيرة وهمومهم كبيرة، يحتاجون إلى من يتسع لهم هذا من جهة، من جهة أخرى الداعية الحصيف يوقن بأنّ طريقه مليء بالمحن والابتلاءات والعقبات، لذلك يتوجب عليه أن يصبر ويثبت أمامها، فيستحضر نعم الله عليه لتهون عليه مصيبتة، ويقل وقعها على نفسه، ويتذكر الجزاء العظيم للصابرين، ويطلع على سير الرسل الكرام الذين صبروا

قال الماوردي: "واعلم أنّ النصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، واليسر مع العسر، وبمفتاح عزيمة الصبر تعالج مغاليق الأمور، وعند انسداد الفرج تبدو مطالع الفرج"⁽²⁾.
ومن معين القرآن الكريم ننهل منه:

﴿ وَكَلَبُوا كُفْرًا بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَنَشِيرِ
الصَّابِرِينَ ﴾ (البقرة: 155).

﴿ إِنَّمَا يُوقِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (الزمر: 10).

﴿ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِّنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (لقمان: 17).

ومن مشكاة النبوة:

قول الرسول الكريم ﷺ: (... من يصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيراً

وأوسع من الصبر)⁽³⁾.

(1) يكن، فتحي، الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية، ص 41.

(2) الماوردي، علي محمد حبيب، أدب الدنيا والدين، تحقيق: مصطفى السقا، دم، دار الفكر، ط3، 1955، ص 280.

(3) مختصر صحيح مسلم، كتاب الزكاة: باب: التعفف والصبر، حديث رقم 555، ص 151.

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (ما من جرعة أعظم عند الله، من جرعة غيظ كظمها عبد ابتغاء وجه الله)⁽¹⁾.

وفي هذا الصدد يقول الإمام علي رضي الله عنه:

"وعليكم بالصبر فإن الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد، ولا خير في جسد لا رأس معه، ولا في إيمان لا صبر معه".

وقال أيضاً: "لا يَعمد الصَّبور الظَّفَر وإن طال به الزمان"⁽²⁾، فالصابر المحتسب لا بد أن يجني ثمرة صبره وإن طال به الأمد.

إن تواجد هذه السمات وغيرها مما لا يتسع به المقام من بيانها في شخص الداعية، لهي باب يلج منه الناس ويقبلون عليه دون وجل؛ فالخلق الرفيع هو عنوان رقي الإنسان، وقدرته على التواصل، والتأثير في غيره.

هذه المقومات هي بمثابة الدافع والحافز لصاحب الدعوة والتي تعطيه الأمل، فلا بد أن يفتنيها ليندفع نحو تحقيق هدفه.

(1) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب: الحلم، حديث رقم 4189، ج4، ص463، إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(2) أبي طالب، علي بن، نهج البلاغة، ص697، 717.

المبحث الثاني

الجهاد في سبيل الله تعالى

إنّ مفهوم الجهاد أوسع من أن يقتصر على القتال في ساحة المعركة، بل على العكس فالجهاد يكون في السلم والحرب معاً. والسؤال الذي يطرح نفسه كيف يكون ذلك؟

كلمة الجهاد معناها بذل الوسع والطاقة⁽¹⁾. واصطلاحاً: بذل الإنسان كل ما في وسعه وطاقته وتحملّه المشاق في سبيل الوصول إلى هدف معلوم⁽²⁾.

أيضاً يعني استنراغ الطاقة لتحقيق الأهداف التي توجه إليها الرسالة الإسلامية في ميادين الحياة الفكرية، والاجتماعية، والاقتصادية، والعلمية، والعسكرية، وغيرها في أوقات السلم والحرب سواء⁽³⁾.

وهذا ما يوجه إليه القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۗ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ

مِنْ حَرَجٍ ﴾ ([الحج: 78])، فالجهاد بأيّ كان بأموالكم وأسننتكم وأنفسكم هو مما لا يشق عليكم،

إنما كلفكم بما تطيقون وما أزمكم بشيء يشق عليكم إلا جعل الله لكم فرجاً ومخرجاً⁽⁴⁾.

إنّ فالجهاد هو أن يخرج الإنسان ما لديه من طاقة سواء كانت ذهنية أم جسدية،

لتحقيق هدفه على أرض الواقع في جميع المجالات، والإنسان الإيجابي هو الذي يترك بصمته

على أرض الواقع، يجاهد بكل ما أوتي من طاقة وجهد في أي تخصص كان؛ ليصل إلى هدفه

(1) أنيس، إبراهيم، المعجم الوسيط، ج1، ص142.

(2) كولن، محمد فتح الله، روح الجهاد حقيقته في الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، القاهرة، دار النيل، ط3، 2006، ص21.

(3) الكيلاني، ماجد عرسان، أهداف التربية الإسلامية، دبي، دار القلم، ط1، 2005، ص247.

(4) ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، ج3، ص246.

ومبتغاه. وهذا ما نلمسه من الغرب فهم يسعون بكل ما أوتوا من طاقة لتجسيد أهدافهم على أرض الواقع، والفارق بيننا وبينهم أننا أصحاب رسالة ينبغي علينا نشرها وإيصالها للعالم. وبما أن أهل الكفر والباطل يسعون للقضاء على الإسلام وأهله بكل الوسائل والطرق، لا بد من ردعهم وما من وسيلة لردعهم إلا الجهاد في سبيل الله.

إنّ الجهاد ليس وسيلة للإبادة وإحكام السيطرة على الآخرين، وليس أيضاً وسيلة لرد العدوان والدفاع عن الإسلام والمسلمين، إنما هو أرقى من ذلك، هو ركن أساسي في دين الله عز وجل فغايتة إعلاء كلمة الله، وتوطيد منهجه الذي يرقى بالنوع البشري ويسمو به، حيث النور والهدى، والعدل والرحمة، والحرية، والرقى الفكري والمادي، والانسلاخ من عبودية البشر والمادة والتوجه نحو عبودية خالق هذا الكون.

"الجهاد الذي ينادى بالإنسان عن القيم التي تحجب وتخفي قوانين الخلق في النشأة والمصير وتقتصر على نوازع التمتع بالحياة وشهواتها، وبالتالي تنتشوه جميع أشكال الاعتقاد والشعور والممارسات في ميادين السلوك والاجتماع والعلاقات حتى إذا ظهر أهل الكفر في الأرض أشاعوا الفتن والمظالم السياسية، والمفاسد الاجتماعية وردوا شبكة العلاقات الاجتماعية إلى عهد الغاب والهمجية والتخلف. ولذلك كان طلب بذل النفس لمحاربة قيم الكفر ومؤسساته وممثليه، وبذل المال لنشر قيم الرسالة الإسلامية، وإقامة مؤسساتها والإنفاق على العاملين والدارسين فيها، حتى يتحقق التفوق للقيم الإسلامية فيشيع السلام ويكون الدين كله لله"⁽¹⁾.

"إنّ الجهاد في سبيل الله عبارة عن عملية إيصال الإنسان إلى ذاته مع ربه، وهذا ما يطلق عليه الجهاد الأكبر، حيث يبلغ الإنسان معرفة نفسه بعد اجتيازه العقبات بينه وبين نفسه

(1) الكيلاني، ماجد عرسان، أهداف التربية الإسلامية، ص248.

حتى يبلغ معرفة الله ومحبة الله والذوق الروحاني، وهو عملية إيصال الآخرين إلى ذواتهم وإلى ربهم ويطلق عليه الجهاد الأصغر، وتتحقق بإزالة الموانع بين الإنسان والإيمان بالله سواء بالنضال أو القتال؛ لإيصاله إلى الله عز وجل ومن ثم التعرف عليه والعروج في معرفته⁽¹⁾.

إذن فالإنسان يجاهد ما في نفسه من عقبات ليتجاوزها ويحيد عنها لتسمو نفسه وترقى إلى مرتبة عليا، فيبذلها في سبيل الله، كما أنه يساعد غيره في الوصول إلى الطريق الذي يضيء لهم حياتهم، ويخرجهم من الظلمات فيتعرفوا على الدين الحق الذي يرقى بهم. والطريق ممهد لكل من يريد أن يبذل نفسه في سبيل الله.

"لم يشرع الجهاد إلا لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ولتكون كلمة الله هي العليا، ولحماية المسلمين من أن يفتتوا في دينهم، أو تستباح حرماهم وتحتل أرضهم، وكل هذه الأمور يجب أن تستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولا يمكن استمرار تحقيقها إلا باستمرار الجهاد في سبيل الله"⁽²⁾.

قال تعالى: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة: 257).

"فالإيمان نور يشرق به كيان المؤمن أول ما ينبثق في ضميره، نور يكشف حقائق الأشياء وحقائق القيم وحقائق التصورات، فيراها قلب المؤمن واضحة بغير غبش، بيئة بغير لبس، مستقرة في مواضعها بغير أرجحة، فيأخذ منها ما يأخذ ويدع ما يدع في هوادة وطمأنينة

(1) كولن، محمد فتح الله، روح الجهاد وحقيقته في الإسلام، ص 21.

(2) القادري، عبد الله، الجهاد في سبيل حقيقته وغايته، جدة، دار المنارة، ط 1، 1985، ج 1، ص 107.

وثقة، نور يكشف الطريق فيمضي فيه دون تخبط، نور واحد يهدي إلى طريق واحد، أما ضلال الكفر فظلمات شتى منوعة، ظلمة الهوى والشهوة، وظلمة الشرود والتيه، وظلمة الكبر والطغيان، وظلمة الضعف والذلة، وظلمة الرياء والنفاق، وظلمة الطمع والشك والقلق، وظلمات شتى لا يأخذها الحصر تتجمع كلها عند الشرود عن طريق الله، والتلقي من غير الله، والاحتكام لغير منهجه، والعاقبة هي اللانقاة بأصحاب الظلمات الخلود في النار⁽¹⁾.

هذا هو أمل المجاهد في سبيل الله الذي يسعى إلى تحقيقه، ويبدل أغلى ما عنده (نفسه)، يقدمها في سبيل الله على أمل نشر رسالته وتحقيقها وتوطيد دعائمها، نشر الإسلام واستقراره في النفوس، وإخراج أهل الأرض كافة من الظلمات القابعين فيها إلى نور الإسلام وعدله، ورحمته، وهداه، فيرقى بهم إلى درجات العلياء، لتضيء حياتهم ويسعدون بها، ويبدلون ما عندهم لإعلاء كلمة الله عز وجل.

لذلك وجب على كل مؤمن غير يسعي لتحقيق الرسالة الإسلامية، أن يقدم أغلى ما لديه (نفسه، ماله) وكل ما يستطيع، فما عند الله باقٍ، وما عند البشر فانٍ.

والسؤال الذي يطرح نفسه ما هي دواعي الأمل لدى المجاهد؟

إن لدى المجاهد بواعت كثيرة للأمل منها:

1. رجاء وأمل المجاهد في سبيل الله لا يوازي رجاء وأمل الكافر:

إن النصر على الأعداء والظفر بهم، وتحقيق الغاية العليا من الجهاد (إعلاء كلمة الله) من أسمى الأمنيات التي تطلبها الأمة، وهو لا يأتي ببسر وسهولة، بل لا بد من التضحيات، والصبر على الشدائد، وإقامة حدود الله، وتنفيذ تعاليمه، وإعداد ما أمر به من عدة وقوة؛ فالنصر لا يعطى لأحد محاباة أو جزافاً، والمجاهد في سبيل الله يرجو من الله ما لا يرجوه

(1) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج1، ص293.

الكافر؛ فكل منهما تصيبه الجروح في القتال وما يتبعها من الآلام الجسدية، لكن شتان ما بين الاثنين، فجهاد المسلم هو لله وفي سبيله، وفي دفع الاعتداء، واسترداد الأوطان وإنقاذ المقدسات، وحماية الدعوة من العدوان، لذلك فهو يرجو من الله على ذلك الأجر والثواب، أما الكافر فهو لا يرجو مثله، فهو يقاتل في سبيل الطاغوت فإلى جهنم وبئس المصير⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ۗ إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونًا فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُ كَمَا تَأْمُونُ ۗ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ ﴾ (النساء: 104).

بهذا التصوير يفترق طريقان، ويبرز منهجان، ويصغر كل ألم، وتهون كل مشقة، ولا يبقى مجال للشعور وبالضنى وبالكلال، فالآخرون كذلك يألمون، ولكنكم ترجون من الله لا يرجون⁽²⁾!

فبالرغم مما يعتري النفس البشرية من الضعف جراء المشقات والآلام، ومن رواسب الماضي الجاهلي، إلا أن المنهج الرباني يستثيرها، ويستجيش مشاعرها، برجائها من الله عز وجل في تحصيل الأجر والثواب العظيمين في نهاية المطاف.

"هذا الرجاء له قوته وأثره في النفس المؤمنة؛ فيدفعها نحو الأمام، حتى إنه قد ينسيها كل هموم الدنيا وآلامها"⁽³⁾.

إن الرجاء هو ارتياح في القلب لانتظار ما هو محبوب لدى النفس البشرية، وذلك المحبوب المتوقع تمهدت جميع أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد، ولم يبق إلا ما ليس يدخل تحت اختياره، وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات⁽⁴⁾.

(1) انظر: غوشة، عبد الله، الجهاد طريق النصر، د. م، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون المقدسات الإسلامية، ط1، 1976، ص171، 196.

(2) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج2، ص739.

(3) غوشة، عبد الله، الجهاد طريق النصر، ص197.

(4) الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، ج4، ص174، 175.

إذن فرجاء المجاهد يحصل بإعداد جميع الأسباب المحصّلة للنصر والتمكين لدين الله عز وجل، فهو يبذل أقصى ما لديه لتحقيق غايته، "فحال الرجاء يورث طول المجاهدة بالأعمال، والمواظبة على الطاعات كيفما تقلبت الأحوال"⁽¹⁾.

"إنّ النفس المؤمنة المجاهدة التي يسود روحها التفاؤل والرضا والأمل، فهي أقوى بنياناً وأكثر إنتاجاً، وأقدر على مواجهة الأحداث والنوازل؛ فهذه الروح تبعث النشاط في النفس، وترفع من معنوياتها، وتشدّ من أزرها وتدفعها إلى الأمام لتحقيق غايتها، ورسالة الإسلام لا تعرف اليأس ولا القنوط ولا الأحزان التي تحطم النفوس وتزلزلها، وتحبطها وتصرفها عن القيام بالمهام والمسؤوليات الملقاة على عاتقها"⁽²⁾، بل على العكس تماماً تحيي روح الأمل، وتبعثه من جديد في نفس المجاهد، ليستقر في مكانه، ويحقق غايته ومسعاها؛ لأنه يدرك فضل الجهاد ومنزلة المجاهدين عند الله تعالى، وفضل الشهادتين، والفوز برضى الله تعالى، فندستور هذه الأمة ومشكاة النبوة الشريفة ينبوعاً خيراً، ينهل منهما ذلك السوميض (الأمل) الذي يعينه على المضي في طريق الارتقاء بالإنسان وبناء الحضارات الراقية.

2. انتظار الأجر من الله عز وجل:

يقول الله تعالى في محكم كتابه:

﴿ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِمَّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾ (آل عمران: 195).

فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم في سبيل العقيدة، وأونوا في سبيل الله لا في أي غاية سواه وقاتلوا وقتلوا، صورة أصحاب العقيدة، وأصحاب الثبات، النبتة الطيبة بالرغم من الأذى وبالرغم من المطاردة والجهد الشاق، يكون تكفير السيئات، ويكون الجزاء والثواب.

(1) الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، ج4، ص176.

(2) انظر: الخطيب، محمد عبد الله، مفاهيم تربوية، مصر، دار المنار الحديثة، ط1، 1989، ج1، ص71،

هذا هو الطريق، طريق المنهج الرباني، الذي قدر الله أن يكون تحققه في واقع الحياة بالجهد البشري، وعن طريق هذا الجهد، وبالقدر الذي يبذله المؤمنون المجاهدون في سبيل الله ابتغاء وجه الله. وهذه هي طبيعة هذا المنهج، ومقوماته وتكاليفه، ثم هذه هي طريقة المنهج في التربية، وطريقته في التوجيه، للانتقال من مرحلة التأثر الوجداني بالتفكير والتدبر في خلق الله، إلى مرحلة العمل الإيجابي وفق هذا التأثر تحقيقاً للمنهج الذي أراده الله⁽¹⁾.

إن مجرد تكفير السيئات عن المجاهد في سبيل الله كفيلاً من أن ينعش الأمل لديه والتفاؤل، والرضا، والارتياح، والسرور في داخله، فيمضي قدماً ليصل إلى غايته ومسعاه. فاللام في كلمتي (لأكفرن، ولأدخلنهم) التي تفيد الجزم والتوكيد من الله تعالى تعطي النفس نشوة وراحة لا مثيل لها، وتحرك ما في داخلها من طاقة وعزيمة، فهذا الفضل العظيم من الله عز وجل يعطي المجاهد الأمل الباعث على الهمة والمولّد للطاقات الدفينة.

3. علو منزلة المجاهد في الدنيا والآخرة:

يقول الله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۗ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٥٦﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (النساء: 95، 96).

يقرر التعبير القرآني قاعدة عامة مطلقة من قيود الزمان والمكان، قاعدة عدم الاستواء بين القاعدين من المؤمنين عن الجهاد والأنفس والمجاهدين بأموالهم وأنفسهم، تفضيل للمجاهدين عن غيرهم. فلإيمان وزنه وقيمته على كل حال؛ مع تفاضل أهله في الدرجات وفق تفاضلهم في النهوض بتكاليف الإيمان، فيما يتعلق بالجهاد بالأموال والأنفس. ثم يعود

(1) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج1، ص549.

ليقرر هذه القاعدة مؤكداً، لها، متوسعاً في عرضها، ممعناً في الترغيب فيما وراثها من أجر عظيم (وفضل الله المجاهدين ...).

وهذا التوكيد، وهذه الوعود، وهذا التمجيد للمجاهدين، والتفضيل على القاعدين، والتلويح بكل ما تهفو له نفس المؤمن من درجات الأجر العظيم، ومن مغفرة الله ورحمته للذنوب والتقصير يؤكد قيمة الجهاد بالأموال والأنفس في ميزان الله، من أنه ضرورة مصاحبة لركب الدعوة الإسلامية، ومن أن النفس البشرية تحتاج إلى ما يحفزها ويعالج ما لديها من ضعف وحرص، وتقصير في مواجهة التكاليف، وخاصة تكاليف الجهاد بالأموال والأنفس⁽¹⁾.

هذا فضل الله عز وجل وكرمه السابغ على المجاهد في سبيله، الذي يقدم نفسه وماله لقاء تحقيق غايته، والذي يترجم إيمانه إلى عمل يفيد هذه الأمة. فعدم الاستواء، وتفضيل المجاهدين هو مما يحفز النفس البشرية ويعطيها الأمل والرضا لتتطلق نحو تحقيق الهدف المرسوم.

4. التجارة الرباحة:

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِمْ حَقٌّ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبِشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (التوبة: 111).

"إنَّ الدخول في الإسلام صفقة بين متبايعين الله سبحانه وتعالى فيها المشتري والمؤمن فيها هو البائع، فهي بيعة مع الله لا يبقى بعدها للمؤمن شيء في نفسه ولا في ماله، يحتجزه دون الله ودون الجهاد في سبيله لتكون كلمة الله هي العليا، وليكون الدين كله لله. فقد باع

(1) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج2، ص740، 741.

المؤمن لله في تلك الصفقة نفسه وماله مقابل ثمن معلوم، هو الجنة، وهو ثمن لا تعدله السلعة ولكنه فضل الله ومنه.

والذين بايعوا هذه البيعة، وعقدوا هذه الصفقة هم صفوة مختارة، ذات صفات مميزة، منها ما يختص بذوات أنفسهم في تعاملها المباشر مع الله في الشعور والشعائر، ومنها ما يختص بتكاليف هذه البيعة في أعناقهم من العمل خارج ذواتهم، لتحقيق دين الله في الأرض من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقيام على حدود الله في أنفسهم وفي سواهم⁽¹⁾.

بيع رابح، وصفقة عظيمة جليلة من رب العزة للمجاهد في سبيله، خالقه والمتفضل عليه بكرمه السابع ورحمته به، فهو الذي خلقه وهده للإيمان ومنحه المال ثم يشتري منه نفسه وماله، وهما منه وإليه، والثمن غال لا يقدر عليه إلا الله عز وجل، حيث النعيم المقيم في جنات الخلد⁽²⁾.

مثل هذا الكرم والعطاء العظيمين يدرك المجاهد منزلة الجهاد في سبيل الله، حيث تحقق به إعلاء كلمة الله، ونشر الإسلام، والدفاع عن المسلمين، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، الذي هو أمل كل مسلم، وهو في الوقت نفسه دافع وباعث على الأمل في نفس المجاهد، فسمو الهدف ونبل الغاية يحركان ما فيه من دوافع كامنة، فينطلق محققاً هدفه وغايته.

5. الحياة الخالدة:

يقول تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَكَسَبَتْهُمْ بِأَلْدِينِ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا حَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ (آل عمران: 169-171).

(1) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج3، ص 1713، 1714.

(2) عمر، عمر أحمد، الجهاد في سبيل الله، دمشق، دار المكتبي، ط1، 1999، ص85.

"قالمجاهدون هم أحياء عند ربهم، الذين قتلوا في سبيل الله وتجردوا له من كل الأعراض والأغراض الجزئية الصغيرة واتصلت أرواحهم بالله. حقيقة يؤكدها النص الإلهي. وهم فرحين برزق الله، لأنهم يدركون أنه من فضله عليهم، فهو دليل رضاه. فأى شيء يفرحهم إن أكثر من رزقه الذي يتمثل فيه رضاه؟ ثم إنهم لم ينفصلوا من إخوانهم (الذين لم يلحقوا بهم من خلفهم)، ولم تنقطع بهم صلاتهم، وإنهم (أحياء) كذلك معهم، مستبشرين بما لهم في الدنيا والآخرة. موضع استبشارهم لهم (أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وقد عرفوا هذا واستيقنوه من حياتهم (عند ربهم)، ومن تلقبهم لما يفيضه عليهم من نعمة وفضل، ومن يقينهم بأن هذا شأن الله مع المؤمنين الصادقين، وأنه لا يضيع أجر المؤمنين"⁽¹⁾.

ألا يعطي ويبعث هذا الجزم والفضل والعطاء في نفس المجاهد الأمل وينعشه في داخله؟! حياة سرمدية لا موت فيها، أحياء عند ربهم يرزقون، ألا يحرك في نفس المجاهد النفاؤل والاستبشار بالخير، بعد العناء والجهد المبذول، والصبر على الشدائد؟! إن مثل هذا العطاء الرباني من شأنه أن يحرك الهمة في نفس المجاهد، فيندفع ليبذل نفسه في سبيل الله، وما هذا العطاء الرباني بموازٍ للنفس التي خلقها رب العزة.

وآية كريمة في موضع آخر تؤكد أن الذين يقتلون في سبيل الله فاعليتهم في نصره الحق فاعلية مؤثرة، وأن الفكرة التي من أجلها قتلوا تترتوي بدمائهم وتمتد، وأن تأثر الباقيين وراءهم باستشهادهم يقوى ويمتد، فهم يبقون عنصراً فعالاً دافعاً مؤثراً في تكييف الحياة وتوجيهها. فهذه صفة الحياة الأولى من أنهم أحياء بالاعتبار الواقعي في دنيا الناس، ثم هم أحياء عند ربهم إما بهذا الاعتبار، وإما باعتبار آخر لا ندري كنهه، وحسبنا إخبار الله تعالى (أحياء ولكن لا تشعرون) لأن كنه هذه الحياة فوق إدراكنا البشري القاصر المحدود ولكنهم أحياء⁽²⁾، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا

تَشْعُرُونَ ﴾ (البقرة: 154).

(1) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج1، 517، 518.

(2) المرجع نفسه، ج1، ص143.

درس تربوي عظيم يبعث الأمل في النفس المؤمنة المدركة لعظيم فضل الله وكرمه على المجاهد الذي بذل نفسه في سبيله. درس يحرك مكانن الطاقة لدى النفس البشرية لتتدفع نحو العلياء، نحو العزة والكرامة، نحو الثواب والجزاء الذي أعدّه الله تعالى للمجاهد في سبيله (حياة أبدية).

"فالجهد منبع حياة لا موت فيه؛ فالشهداء في عيش رغيد وحياة ملؤها السعادة والطمأنينة، أليسوا في كل لحظة مع الله؟"⁽¹⁾.

وهذا غيض من فيض؛ فالقرآن الكريم هو ينبوع خير وعطاء لهذه الأمة، وما يوازي ذلك ينبوع إلا الالتزام بالمنهج الرباني الذي ارتضاه لها رب العزة.
6. مكاتة المجاهد:

ما روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي عليه الصلاة والسلام، فقال: أيُّ الناس أفضل؟ فقال رسول الله: (رجلٌ يجاهد في سبيل الله بماله ونفسه)⁽²⁾.

فالمجاهد بنفسه وماله في سبيل الله من أفضل الناس، ودرجة الأفضلية له عنهم بأنّه قدّم نفسه وماله في سبيل الله، فلم يتوان لحظة واحدة لله عن ذلك. وهذا مما ينعش الأمل في صدره، ويبعث الارتياح في نفسه؛ فهو أعلى درجة من غيره.
وقول الرسول ﷺ: (ما من أحد يدخل الجنة، يحب أن يرجع إلى الدنيا، وأن له ما على الأرض من شيء غير الشهيد، فإنه يتمنى أن يرجع فيقتل عشر مرّات؛ لما يرى من الكرامة)⁽³⁾.

هذه الكرامة وهذا الفضل لا يعرفه إلا الشهيد الذي جاهد بنفسه في سبيل الله، فهو يتمنى أن يقتل عشرات المرات في سبيل الله، وهذا إن دلّ فإنما يدل على عظيم منزلة الجهاد والمجاهدين. فما عند الله باقٍ ونامٍ لا تحصله إلا نفس مؤمنة راجية أمله.

(1) كولن، محمد فتح الله، روح الجهاد وحقيقته في الإسلام، ص 62.

(2) مختصر صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب: أفضل الناس المجاهد في سبيل الله بنفسه وماله، حديث رقم 1072، ص 285.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب: فضل الشهادة في سبيل الله، حديث رقم 1877، ج 7، ص 26، 27.

7. أجر المجاهد في سبيل الله:

وقوله عليه الصلاة والسلام: (عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعينٌ باتت تحرس في سبيل الله)⁽¹⁾.

فالعين التي تسهر على الحدود والثغور، وترابط في ميدان الحرب وفي أخطر المواقع ثوابها عظيم وهو أن لا تمسها النار، فالمرابط لا يقل أهمية عن المجاهد الذي يُقتل في سبيل الله، فهو بعمله هذا يقدم نفسه في سبيل الله فلربما أصيب، وهذا مما يبعث الأمل في نفسه وينعشه، ويبعث الارتياح لديه، فعمله هذا مقدس وله منزلته العظيمة عند الله عز وجل.

وعن أبي موسى الأشعري قال: سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعةً ويقاقل حميةً ويقاقل رياءً فأَيُّ ذلك في سبيل الله؟ قال: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)⁽²⁾.

فالمجاهد الذي يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا هو في سبيل الله، الذي سينال إحدى الحسنين إما الشهادة وإما النصر بخلاف غيره، وكلتاها مما يبعث الأمل في نفسه فيدفعه نحو تحقيق غايته.

وقول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام: (لغدوة أو روحة⁽³⁾ في سبيل الله خيرٌ من الدنيا وما فيها)⁽⁴⁾.

فالغدوة الواحدة أو الروحة الواحدة في وقت معين وقصير سواء في الصباح الباكر أو في الليل في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها، فهذا الوقت المُضَيِّق على قلة مساحته متى كان موجهاً في سبيل الله هو خيرٌ من هذه الدنيا وما فيها على سعتها وما تحويه من أمور شتى.

(1) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب فضائل الجهاد، باب: ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله، حديث رقم 1639، ج5، ص357، وقال: حديث حسن غريب.

(2) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب فضائل الجهاد، باب: ما جاء فيمن يقاتل رياءً وللدنيا، حديث رقم 1646، ج5، ص363، 364، وقال: حديث حسن صحيح

(3) الرواح: اسم للوقت من زوال الشمس إلى الليل، ويقابله الصباح والروحة: المرة من الرواح. الغدوة: غداً غدواً وغدوة بكر، أنيس، إبراهيم، المعجم الوسيط، ج1، ص646.

(4) الغدوة: السير أول النهار إلى الزوال. الروحة: السير من الزوال إلى آخر النهار، مختصر صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب: غدوة في سبيل الله أو روحة خيرٌ من الدنيا وما فيها، حديث رقم 1076، ص286.

إنّ هذا الكرم السابغ المغنق على المجاهد في سبيل الله هو بحد ذاته أمل وتفاؤل بالخير، وببشائر الفرج بعد الكرب، واليسر بعد العسر.

وقوله عليه الصلاة والسلام: (من أغبرت قدماء في سبيل الله فهما حرام على النار)⁽¹⁾.

فبمجرد إغبار قدمي المجاهد في سبيل الله تحرمان على النار، سواء استشهد أم لم يستشهد، وسواء ظفر بالنصر أم لم يظفر. فما هذا العطاء والمنة العظيمين من رب العزة للمجاهد في سبيله؟! فيكفيه هذا أن يوطد دعامة الأمل في نفسه، فسيره وقاتله في سبيل الله كفيلاً بأن يُحرّم عليه النار.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: يا أبا سعيد! (من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وجبت له الجنة). فعجب لها أبو سعيد، فقال: أعدما عليّ يا رسول الله! ففعل ثم قال: (وأخرى يُرْفَعُ بها العبد مائة درجة في الجنة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض) قال: يا رسول الله وما هي؟ قال: (الجهاد في سبيل الله، الجهاد في سبيل الله)⁽²⁾.

"فالجنة درجات نعيمها متفاوت وكلما علت الدرجة زاد النعيم وعظم، والدرجات العلى لا تكون إلا لمن كان عمله في الدنيا مميّزاً"⁽³⁾، والجهاد في سبيل الله عمل عظيم ومميّز، فالمجاهد يجاهد بنفسه وماله، وهما محببان؛ فالنفس أغلى ما في هذا الوجود وكذلك المال، لكن المجاهد قدمهما وبذلهما في سبيل الله وهذا مما يقتضي أن يكون العطاء بقدر التضحية، لكن عمله هذا يقابله بأن يرفع مائة درجة في الجنة، والمسافة شاسعة بين كل درجتين. فأيّ كرم هذا؟! وأي أمل ينعش نفسه ويرضيها، مقابل هذا العطاء الرباني!؟

(1) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب فضائل الجهاد، باب: ما جاء في فضل من اغبرت قدماء في سبيل الله، حديث رقم 1632، ج5، ص350، وقال: حديث حسن غريب صحيح.

(2) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب: بيان ما أعدّه الله للمجاهد في الجنة من درجات، حديث رقم 1884، ج7، ص30.

(3) سمارة، فوزي، بشائر النصر في القرآن والسنة، عمان، مؤسسة الطريق، ط1، 2006، ص28.

وقوله ﷺ: (كل ميت يُختم على عمله إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله، فإنه يُنمي له عمله إلى يوم القيامة، ويأمن من فتنة القبر)⁽¹⁾.

إن ثواب الجهاد يستمر حتى بعد الممات، فالإنسان إذا مات انقطع عمله وزالت أسباب الأجر والثواب لانقطاع العمل باستثناء المجاهدين، فالأجر والثواب مستمر كما لو كانوا أحياء يزاولون أعمالهم وأفعالهم إلى يوم القيامة⁽²⁾، وعلاوة على ذلك يؤمن من فتنة القبر.

أي أمل يُبعث في نفس المجاهد؟ وأي ارتياح ورضى وسرور تسكن روحه، بعد هذا العطاء الرباني والمنحة الإلهية؟! فتواب جهاده ماضٍ إلى يوم القيامة، لم ينقطع ولن ينقطع، فهو حيٌّ يرزق بجوار ربه. أفلا بعد ذلك يضحى بنفسه دون انتظار وتفكير في الأمر!!

عن المقدم بن معد يكرب قال: قال رسول الله ﷺ: (للشهيد عند الله ست خصال: يفر له في أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه)⁽³⁾.

من هي تلك النفس التي لا تتمنى ولا تشتهي ولا أن تظفر بهذه العطايا الربانية؟، إن هذا العطاء بحد ذاته أمل ورجاء يظفر به من يستحقه، من بذل نفسه في سبيل الله، ولم يتوان لحظة واحدة في ذلك.

إن:

- إن المجاهد في سبيل الله لديه الأمل والتفاؤل بالخير والرضى والسرور؛ فهو لا ينظر إليه بنظرة إنسان اعتيادي في مستوى بقية الناس؛ لأنه اتخذ الغاية التي بُعث بها الأنبياء والرسل الكرام هدفاً له. فالجهاد مهمة الأنبياء والرسل⁽⁴⁾.

- إن المجاهد تسكن روحه الأمل والرجاء؛ فهو حيٌّ يرزق عند الله بمجرد استشهاده.

(1) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب فضائل الجهاد، باب: ما جاء في فضل من مات مرابطاً، حديث رقم 1876، ج5، ص344، وقال: حديث حسن صحيح.

(2) سمارة، فوزي، بشائر النصر في القرآن والسنة، ص30.

(3) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب فضائل الجهاد، باب: في ثواب الشهيد، حديث رقم 1663، ج5، ص374، 375، وقال: حديث حسن صحيح غريب.

(4) انظر: كولن، محمد فتح الله، روح الجهاد وحقيقته في الإسلام، ص43.

- إنَّ الجهاد ضمان للاستقرار الداخلي والخارجي للأمة؛ فهو سياجها الذي يحميها من العدو الخارجي، ومن الاضطرابات والقلقل التي قد تحدث في الداخل، فالنفس البشرية ضعيفة أمام الشهوات والملذات، وتسعى بكل طاقتها لإدراكها، والجهاد هو الذي يعصمها من تلك المشاحنات؛ فهو يخرج هذه الطاقات ويوجهها الاتجاه الإيجابي في حماية نفسها من العدو وتثبيت دعائم منهجها. وهذا هو أمل كل مسلم في حدوث الأمن بكل أنواعه، وما يترتب عليه من أجواء تبعث الهمة في النفس البشرية نحو مسؤولياتها الملقاة على عاتقها، والنتيجة تحقيق الهدف المرجو.

- إنَّ الجهاد يحول دون الذل والهوان، فعزة المؤمن بجهاده الداخلي والخارجي، فهو لا يرضى أن يكون في المؤخرة، وأن لا يوطد دعائم منهج الله عز وجل، ولا يعلي كلمة الله في الأرض ولا ينشر الأمن والاستقرار، ولا يخرج الناس من الظلمات إلى النور، إنما يسعى إلى تحقيق ذلك ببذل أعلى ما لديه. أليس هذا هو أمل أمّتنا، التمكين لها؟! والرجوع إلى سابق عهدها من القوة والعزة والكرامة؟! والمؤمن الذي يعي أهمية هذا الأمر لا يتوان لحظة واحدة عن تحقيق الهدف والغاية، "قال الموت الشريف بفضلّه المؤمن الحق على العيش الذليل"⁽¹⁾.

- إنَّ سمو الهدف يعد باعثاً على الأمل؛ فهو يحرك مكامن الدوافع لدى المجاهد، ويستثير همته، فينطلق مجاهداً في سبيل الله، أمّا عدوه فهو يقاتل في سبيل الطاغوت، فهدفه إنزال الأذى والفتنة بالمستضعفين، وشتان ما بين من يقاتل في سبيل الله ومن يقاتل في سبيل الطاغوت. قال تعالى: ﴿ فَلْيَقْتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۗ وَمَنْ يُقْتَلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا

(1) انظر: كولن، محمد فتح الله، روح الجهاد وحقيقته في الإسلام، ص 139.

﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ
الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا
وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿

(النساء: 74-76) وطوبى لمن قاتل في سبيل الله فنال إحدى الحسينيين، ألا يعد ذلك

باعثاً على الأمل؟ محفزاً للنفس مستثيراً لهمتها؟

المبحث الثالث مند حلول المصائب

إنّ الحياة الدنيا هي دار ابتلاء للإنسان، والابتلاء يعني لغةً: الامتحان والاختبار⁽¹⁾. واصطلاحاً يعني: اختبار طاعة الإنسان لله تعالى واتباع تعاليمه الواردة في القرآن الكريم، والسنة النبوية في جميع شؤون الحياة، أي أنّ الابتلاء هو المظهر العملي لعلاقة العبودية بين الله تعالى والإنسان⁽²⁾.

دواعي الأمل عند المصائب:

1. الإيمان بأن الحياة دار ابتلاء:

والمؤمن الحصيف هو الذي يدرك أنّ الدنيا دار ابتلاء، وأنّها لا تخلو من المصائب، وأنّه معرضٌ لا محالة بأن تنزل به شديدة، أو تصيبه مصيبة بنفسه، أو أهله، أو ولده، أو ماله، أو غير ذلك، فيثبت أمامها، ويصبر، ويرجو الثواب من الله تعالى، ويسلم أمره له عز وجل، قال تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (الملك: 2)، وما يفعله من الثبات والصبر ورجاء المثوبة ما هو إلا عملٌ صالحٌ لن يضيعه الله عز وجل، وهذا من سمات الإنسان الإيجابي الذي يحمل في جعبته الأمل والتفاؤل، الذي ينظر إلى المصيبة نظرة إيجابية متفائلة مستبشرة بالخير.

وفي هذا الصدد يقول ابن الجوزي:

"وليس في الابتلاء بقوة الأشياء إلا التسليم واللجأ إلى القدر في الفرج، فيرى الرجل المؤمن الحازم يثبت لهذه العظائم، ولا يتغير قلبه، ولا ينطق بالشكوى لسانه، وما ذاك إلا أنّه علم أنّ الدنيا دار ابتلاء، لينظر الله فيها كيف تعملون"⁽³⁾.

(1) أنيس، إبراهيم، المعجم الوسيط، ج1، ص71.

(2) الكيلاني، ماجد، أصول التربية الإسلامية، دبي، دار القلم، ط1، 2006، ص188.

(3) ابن الجوزي، صيد الخاطر، ص345.

إنّ الإنسان معرّض دائماً لأن يفقد محبوب، ويفوته مطلوب، وإذا حزن لكل محبوب يُفقد، ولكل مطلوب يفوته، فإنه سوف يكون دائم الحزن، يقول الكندي: "فينبغي إذن أن لا نحزن على الفائتات، ولا فقد المحبوبات، وأن نجعل أنفسنا بالعادة الجميلة راضية بكل حال، لنكون مسرورين أبداً"⁽¹⁾.

لذلك لا بد أن يلزم نفسه بالرضا وعدم الحزن على ما فقده أو ما فاتته، فالمحبوبات والمطلوبات من الأشياء الحسية التي هي عرضة للفساد والزوال هذا من جهة، من جهة أخرى لا بد أن يضع الإنسان في باله أن ما يمتلكه هو عارية لمعير، هو الله عز وجل، وهو يمكن أن يسترد عاريته متى شاءه، لذلك ينبغي عليه أن لا يحزن إذا استرد المعير عاريته منه⁽²⁾.

إذن فالعاقل هو الذي يعرف ويدرك أنّ الابتلاء سنة إلهية لا بد منها، ومن أثر السلامة والعاقية دون حصول البلاء فهو من فئة الجاهلین. وفي هذا يقول ابن الجوزي:

"فأما من يريد أن تدوم له السلامة والنصر على من يعاديه، والعاقية من غير بلاء، فما عرف التكليف، ولا فهم التسليم، أليس رسول الله ﷺ ينصر يوم بدر ثم يجري عليه ما جرى يوم أحد!"⁽³⁾.

2. الإيمان بقدر الله تعالى وحكمته:

إنّ المؤمن يحمل في ثنايا صدره أملاً ورجاءً، وتفاؤلاً واستبشاراً بالخير وينظر بإيجابية لحوادث الأمور فهو:

"يعلم أن ما ينزل به من مصائب ليست خبط عشواء، إنما هي مقترنة وفق قدر معلوم، وقضاء مرسوم، وحكمة أزلية، فما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه"⁽¹⁾، قال

(1) الكندي، يعقوب بن اسحاق، (في الحيلة لدفع الأحزان)، رسائل فلسفية، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، بيروت، دار الأنطلس، ط1، 1997، ص9.

(2) نجاتي محمد عثمان، الدراسات النفسانية عند العلماء المسلمين، دم، دار الشروق، ط1، 1993، ص33، 35.

(3) ابن الجوزي، صيد الخاطر، ص343.

تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ۗ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (الحديد: 22-23).

إن فكل ما في الكون بأمر الله تعالى، وكل المصائب معلومة لديه عز وجل، مكتوبة في اللوح المحفوظ قبل إيجاد الخليقة وهذا مما يهون المصائب على الناس، فلا يحزنوا على ما فاتهم من نعيم الدنيا، ولا يفرحوا بما أوتوا فرحاً يستتبعه البطر⁽²⁾، "وقيمة هذه الحقيقة -أن هذا الوجود لا يقع فيه حادث إلا وهو مقدر من قبل في تصميمه، محسوب حسابه في كيانه، لا مكان فيه للمصادفة، ولا شيء فيه جزاف- في النفس البشرية أنها تسكب فيها السكون والطمأنينة عند استقبال الأحداث، فلا تجزع الجزع الذي تطير به شعاعاً، وتذهب معه حسرات عند الضراء، ولا تفرح الفرح الذي تستطار به وتفقد الاتزان عند السراء"⁽³⁾.

3. الإيمان بأن الشدة إلى زوال:

وهو يوقن أن الفرج آتٍ لا محالة، وما من عسرٍ يدوم، "فمن رحمة الله تعالى إنزال الفرج والمخرج في أوقات الضيق وساعات العسرة، وانسداد الأبواب والآفاق"⁽⁴⁾.

قال تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ (الشرح: 5-6) "قال التكرار

لتأكيد الملازمة والارتباط الوثيق بين اليسر وبين العسر"⁽⁵⁾.

(1) القرضاوي، يوسف، الإيمان والحياة، ص 163.

(2) الزحيلي، وهبة، التفسير المنير، ج27، ص 328، 339.

(3) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج6، ص 3493.

(4) مظاهر الرحمة الإلهية، على شبكة الإنترنت: www.balagh.com.

(5) المرجع نفسه.

وقال تعالى: ﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ (الطلاق: 7).

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۗ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۗ وَمَنْ

يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ ﴾ (الطلاق: 2-3).

ويقول الماوردي في هذا الصدد:

"ولتسهيل المصائب أن يتصور انجلاء الشدائد، وانكشاف الهموم، وأنها تتقدر بأوقات لا تتصرم قبلها، ولا تستديم بعدها، فلا تقصُرْ بجزع، ولا تطول بصبر، وأن كل يوم يمرّ بها، يذهب منها بشطر، ويأخذ منها بنصيب، حتى تتجلي، وهو عنها غافل" (1).

قال بعض الصالحين: استعمل في كل بليّة تطرقك حسن الظن بالله تعالى في كشفها، فإنّ ذلك أقرب بك إلى الفرج.

ويقال: العاقل لا يُذَلَّ لأول نكبة، ولا يفرح بأول نعمة، فربما أقلع المحبوب عمّا يضرّ، وأجلى المكروه عمّا يسرّ" (2).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: لو أنّ العسر دخل في جحر لجاء اليسر حتى يدخل معه.

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: عند تناهي الشدة تكون الفرجة، وعند تضايق البلاء يكون الرخاء، ومع العسر يكون اليسر" (3).

4. الإيمان بما ينتظر الصابرين على المصائب من الأجر:

وهو يعلم أنّ الله تعالى قد أجزل بعطائه على الصابرين على المصائب، قال تعالى:

﴿ وَنَشِرِ الصَّابِرِينَ ۖ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۖ ﴾ وَأُولَئِكَ

عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ (البقرة/ 155-157).

(1) الماوردي، علي محمد حبيب، أدب الدنيا والدين، ص 282.

(2) التتوخي، المحسن بن علي بن محمد، الفرج بعد الشدة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط3، 2005، ص33.

(3) المرجع نفسه، ص 39.

فهم الذين إذا أصيبوا لم يجزعوا، ولم يخرجوا عن إيمانهم، ولم يستطع الشيطان بجنوده أن يسيطر عليهم، أو يهيمن على قلوبهم المؤمنة، إنما استرجعوا بقولهم (إنا لله وإنا إليه راجعون) ففيها إذعان منهم واعتراف بأن أموالهم التي تكونت من جهد، وحصلوا عليها بعد مشقة قد خسرت، وأجسادهم التي ربما تكون قد مرضت، أو أولادهم الذين ربما يكونون قد ماتوا أو أصيبوا، كل ذلك لله، من الله وإليه عز وجل⁽¹⁾.

"أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون" ثناء من الله عليهم، قال عمر بن الخطاب نعم العدلان ونعمت العلاوة، فالعدلان الصلوات والرحمة، والعلوة هي الهداية⁽²⁾.

فهذه بشارة الله عز وجل للصابرين، ثلاث كل منها خير، مما يتحاسد عليه أهل الدنيا "الصلاة، والرحمة، والهداية" عطاء رباني أجزله الله تعالى لمن صبر على مصيبة ألمت به. وبعد هذا العطاء الجزيل من ذا الذي لا يُبعث في نفسه الأمل وينعشه من جديد ويقبل على الله تعالى بنفس راضية منسرحة الصدر متفائلة بالخبر.

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتى، واخلف لي خيراً منها، إلا أخلف الله له خيراً منها). قالت: فلما توفي أبو سلمة، قلت كما أمرني رسول الله ﷺ فأخلف الله لي خيراً منه رسول الله ﷺ⁽³⁾.

هذا التأكيد الذي فيه الجزم بالخلف بما هو أفضل وأحسن للمصاب هو مما يعطيه الأمل والسلوة، والتخفيف من حدة المصيبة التي وقعت له، وبالتالي تحفزه لأن ينظر بنظرة إيجابية للمصائب التي قد تعتوره مستقبلاً.

(1) الشعراوي، محمد متولي، الصبر عند الشدائد، بيروت، دار القلم، ط1، 2000، ص 43.

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص 203.

(3) مختصر صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب: ما يقال عند المصيبة، حديث رقم 461، ص 125.

قال بزرجمهر في هذا الصدد: انتظار الفرج بالصبر يعقب الاغتباط.

وكان يقال: الصبور يُدرك أحمد الأمور⁽¹⁾.

5. الإيمان بالثواب من الله عز وجل:

وهو ممن يرجو ثواب الله عز وجل على ما ابتلاه من مصائب، مما تهوّن عليه مصيبته وهي تكفير السيئات، قال رسول الله ﷺ: (ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه، إلا حطّ الله به سيئاته، كما تحط الشجرة ورقها)⁽²⁾.

وقوله عليه الصلاة والسلام: (ما يصيب المؤمن من وصبٍ ولا نصبٍ، ولا سقمٍ، ولا حزنٍ حتى ألهم يهّمه إلا كفرّ به من سيئاته)⁽³⁾.

وقوله ﷺ: (ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقي الله وما عليه من خطيئة)⁽⁴⁾.

فتكفير الله عز وجل لسيئات المسلم وما أكثرها وزيادة الحسنات، وما أحوج المسلم إليها هي مما ينعش الأمل في نفسه والتفاؤل والاستبشار بالخير، وما ذلك إلا للمسلم، فهي تهوّن عليه مصيبته وتساعد في الصبر عليها⁽⁵⁾.

فما أجزل عطاء الله! فأصغر وأقل أذى يصيب المسلم يحطّ من ذنوبه، ألا يبعث ذلك الأمل في النفس التي قد تملّكها الإحباط والاكتئاب واليأس؟!

(1) التتوخي، الفرج بعد الشدة، ص 36.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك، حديث رقم 2571، ج 8، ص 129.

(3) مختصر صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب: ما يصيب المؤمن من الوصب والحزن، حديث رقم 1798، ص 476، 477.

(4) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب: ما جاء في الصبر على البلاء، حديث رقم 2401، ج 7، ص 125، حديث حسن صحيح.

(5) انظر: القرضاوي، يوسف، الإيمان والحياة، ص 165.

6. الفهم لحقيقة الدنيا وكونها فانية زائلة:

وهو ممن يعلم حقارة الدنيا وهوانها، وأنها لا تخلو من الأكدار، والمصائب، والآلام، فأدنى مصيبة تصيب الإنسان تعكّر صفوه، وتنغصّ حياته، والكيس الفطن لا يغتر بها، بل يجعلها مزرعة للأخرة، ويعلم أنّ مرارة الدنيا هي بعينها حلاوة في الآخرة، وحلاوة الدنيا هي بعينها مرارة في الآخرة⁽¹⁾.

قال تعالى: ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (الحديد:20).

وقال رسول الله ﷺ: (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر)⁽²⁾.

فهي سجن ودار ابتلاء ومحن، وبالتالي لا تخلو من المنغصات، ولأن ينتقل من مرارة منقطعة إلى حلاوة دائمة، خير من عكس ذلك، قال رسول الله ﷺ: (حُفَّت الجنة بالمكساره، وحُفَّت النار بالشهوات)⁽³⁾.

قال الماوردي في هذا الصدد:

"ولتسهيل المصائب، استشعار النفس بما تعلمه من نزول الفناء، وتقضي المسار، وأنّ لها آجالاً منصرمة، مُدداً منقضية، إذ ليس للدنيا حال تدوم، ولا لمخلوق فيها بقاء. سأل بعض خلفاء بني العباس جليساً له عن الدنيا، فقال: إذا أُقبِلت أدبرت.

وقال عمرو بن عبيد: الدنيا أمدّ، والآخرة أمدٌ"⁽⁴⁾.

(1) انظر: الحمد، محمد إبراهيم، المصائب والآلام "حكم وأسرار"، على شبكة الإنترنت 2009/1/23:

www.alghad.com

خضر، احمد إبراهيم، الوصايا العشر في مواجهة المحن والمصائب والأزمات الشخصية، على شبكة

الإنترنت 2008/3/27: www.alimam.ws

(2) مختصر صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب: في الزهد في الدنيا وهوانها على الله، حديث رقم

2079، ص 552.

(3) سبق تخريجه، ص 201.

(4) الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 281.

فأمل المسلم ورجاؤه هو النعيم الذي سيصيبه في الآخرة، فما من مصيبة تعتوره
ويصبر عليها، ويحتسب ثوابها عند الله عز وجل إلا أجزل له العطاء، فعلمه بأن الدنيا دار
ابتلاء، وأنها لا تخلو من الأكدار، يهون عليه مصابه، وأن الله تعالى سيثيبه على نظرتة تلك.
قال العلماء:

"ولولا أن الدنيا دار ابتلاء لم تعتور فيها الأمراض والأكدار ولم يضق العيش فيها
على الأنبياء والأخيار، فأدم يعاني المحن إلى أن خرج من الدنيا، ونوح بكى ثلاثمائة عام،
وإبراهيم يكابد النار وذبح الولد، ويعقوب بكى حتى ذهب بصره، وموسى يقاسى فرعون
ويلقى من قومه المحن، وعيسى لا مأوى له إلا البراري في العيش الضنك، ومحمد ﷺ يصابر
الفقر، وقتل عمه حمزة وهو من أحب أقاربه إليه، ونفور قومه عنه، وغير هؤلاء من الأنبياء
والأولياء. ولو خلقت الدنيا للذة لم يكن حظ المؤمن منها"⁽¹⁾.

7. الإقتداء بصبر الأنبياء والصالحين على مصائبهم:

وهو ممن يتأسى بالصالحين، وينظر في سيرهم، ويعتبر بقصص السابقين، فليس هو
وحده المبتلى، فقد ابتلي من هو خير منه وأفضل عند الله من الأنبياء والصالحين، فصبروا
على ما ابتلوا به حتى أتاهم نصر الله وفرجه. وهو يعلم أنه في كل مكان لا بد من مصاب، قد
يصاب مرة، وقد يصاب مراراً. وعند ذلك يطمئن قلبه، وتهادئ نفسه، ويرضى بما قسم الله له،
ويصبر على ما ابتلاه الله راضياً محتسباً⁽²⁾.

قال ابن القيم:

"ومن علاج حرّ المصيبة أن يطفئ نار مصيبته ببرد التأسي بأهل المصائب، فينظر
يمنة فهل يرى إلا محنة، ثم ليعطف يسرة، فهل يرى إلا حسرة، وأنه لو فتش العالم لم يرَ فيهم

(1) انظر: خضر، أحمد إبراهيم، الوصايا العشر في مواجهة المحن والمصائب والأزمات الشخصية.

المنيجي، محمد بن محمد، تسلية أهل المصائب، على شبكة الإنترنت: www.khayma.com.

(2) انظر: بادويلان، أحمد سالم، تعلم كيف تصبر واقطف الثمار، الرياض، دار الحضارة، ط1، 2007، 90.

خضر، أحمد إبراهيم، الوصايا العشر في مواجهة المحن والمصائب والأزمات الشخصية.

إلا مبتلى، إما بفوات محبوب، أو حصول مكروه، وأن شرور الدنيا كظل زائل، إن أضحكت قليلاً، أبكت كثيراً، وإن سرت يوماً، ساءت دهرأ، وإن متعت قليلاً، منعت طويلاً، وماملت داراً خيراً إلا ملأتها عبرة، ولا سرته بيوم سرور إلا خبأت له يوم شرور⁽¹⁾.

وقال الماوردي أيضاً في هذا الصدد:

أن يتأسى بذوي الغير، ويتسلى بأولي العبر، ويعلم أنهم الأكثرون عدداً، والأسرعون مدداً، فيستجد من سلوة الأسي، وحسن العزاء، ما يخفف شجوه، ويقل هلعه.

قال عمر بن الخطاب: الصقوا بذوي الغير، تتسع قلوبكم⁽²⁾.

فتأسيه بالغير هو مما يريح نفسه ويشرح صدره وهذا من مقتنيات الأمل، فمن يقتني تلك الخصلة يتسم بشخصية إيجابية متفائلة راضية بما أصابها.

"وهو ممن يدرك أن النعم زائرة، وأنها لا محالة زائلة، وأن السرور بها إذا أقبلت، مشوب بالحنن من فراقها إذا أدبرت، وأنها لا تفرح بإقبالها فرحاً، حتى تعقب بفراقها ترحاً؛ فعلى قدر السرور يكون الحزن. وقال بعض الحكماء: من علم أن كل نائبة إلى انقضاء، حسن عزاه عند البلاء"⁽³⁾.

فالعاقل هو الذي يدرك أن النعم لا تدوم، وأن المصائب كذلك لا تدوم، "فالأشياء في عالم الكون كثيرة التغيير ولا ثبات لها، وهي كلها زائلة دائرة مضمحلة، فلا ينبغي على الإنسان أن يستكثر ويستعظم زوال ما سلب منه؛ لأن ذلك أمر لا محالة حادث، ومن أحب دوام ما لا يمكن دوامه، فقد جلب على نفسه الغم"⁽⁴⁾.

(1) ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، ج3، ص87.

(2) الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص283.

(3) المرجع نفسه، ص283.

(4) نجاتي، محمد عثمان، الدراسات النفسانية عند العلماء المسلمين، ص48.

والمؤمن عندما يدرك ذلك يشعر بالرضا، والارتياح، والسرور، وهذه مسن سمات صاحب الأمل.

8. مقارنة مصيبتيه بما هو أكبر منها وبمصيبة غيره من الناس:

وهو ممن يعرف بأن كل مصيبة لا بُدَّ أن يكون هناك أكبر منها، فالمؤمن ينظر بعين بصيرته فيحمد الله على أمرين:

أولهما: دفع ما كان يمكن أن يحدث من بلاء أكبر.

ثانيهما: بقاء ما كان يمكن أن يزول من نعمة غامرة وفضل جليل.

فهو ينظر إلى النعمة الموجودة قبل أن ينظر إلى النعمة المفقودة، وينظر إلى البلاء المتوقع بجانب نظره إلى البلاء الواقع. وهذا بلا شك يحدث كثيراً من الارتياح والرضا، فالبلاء المتوقع كثير وقد دفع عنه، والنعم الموجودة كثيرة وقد بقيت له⁽¹⁾.

قال الماوردي:

"ولتسهيل المصائب، أن يعلم أن فيما وقِيَ من الرزايا، وكفِيَ من الحوادث، ما هو أعظم من رزيتة، وأشد من حادثته، ليَعلم أنه ممنوح بحسن الدفاع.

قيل للشعبي في نائبة: كيف أصبحت؟

قال بين نعمتين: خير منشور، وشرٌ مستور"⁽²⁾.

فنظرة المؤمن تعلوها إشراقة أمل غير منقطع، ورجاء من العزيز، وتفاؤل بالخير، واطمئنان قلبي، وسكينة تغمر نفسه.

9. الرضا بقدر الله تعالى:

الرضا نعمة إلهية، ومن حظي بها ناله خيرٌ وفير، وما هي إلا للمؤمن الذي آمن بربه، ورضي بما قسمه له، ووثق به وبرحمته، وعدله وفرجه، وأدام الاتصال به، وعبادته،

(1) القرضاوي، يوسف، الإيمان والحياة، ص 164.

(2) الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 282.

وطاعته، وتجنب إغضابه وعصيانه" (1) قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ

شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (التغابن: 11). فالإيمان يستتبعه هداية القلب، والمهتدي هو إنسان راضٍ ولديه

قناعة بما قسمه الله له.

يقول علماء النفس:

إن كثيراً من الهموم والضغوط النفسية- التي تنعكس سلباً على صحة الإنسان وحياته- سببها عدم الرضا، ذلك أن الإنسان في حياته تواجهه المشقة والعنت والمعاناة، وذلك واضح في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾ (البلد: 4) أي في معاناة، والإنسان بطبعه لديه تطلعات دائمة، وطموحات طائلة، وأحلام هائلة. وقد يحصل الإنسان على ما يريد، ولكنه لا يقنع، بل يطلب المزيد، وحتى لو حصل على ما يريد، فإنه إن لم يُرزق بنعمة الرضا، فإنه يرى أن الذي حصله أقل كماً ونوعاً، والنتيجة العيش في الهم والغم، ذلك بسبب خوفه من زوال هذه النعم التي منحها الله إياها (2).

إذن فالرضا مخرج المسلم من الهموم والضغوط النفسية، فهو يقنع بما أعطاه الله عز وجل من نعم ويشكره عليها وما ابتلاه به من مصائب فيصبر ويرجو ثواب ذلك من الله عز وجل. (فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط) كما قال رسول الله ﷺ (3).

يقول ديل كارنيجي:

عشت سنوات طويلة في نيويورك، لم يحدث - لمرة واحدة- أن دق جرس بابي أحد ليحذرنى من ذلك المرض (القلق)، الذي تسبب، في إحداث عشرات الآلاف من الحالات الأكثر ضرراً من الجدري. لم يحذرنى أحد بأن واحداً من بين كل عشرة أشخاص من سكان الولايات

(1) يونس، سمير، الرضا: نعمة روحية وعلاج لهموم الدنيا، على شبكة الإنترنت: www.balagh.com.

(2) المرجع نفسه.

(3) سبق تخريجه، ص 68.

المتحدة سيكون معرضاً للانهايار العصبي الذي يحدث للغالبية العظمى من الحالات التي تصاب بالقلق⁽¹⁾.

إنّ القلق مرض يهدم الشخص ويحطمه، ويصيبه من الأمراض الجسدية الكثيرة التي هو في غنى عنها، ولا ينجو من ذلك كله إلا من كان راضياً بكل ما قسمه الله تعالى له، والرضى من مقتضيات الأمل، فصاحب الأمل هو إنسان راضٍ قنوع بما رزقه الله تعالى له، وهذه النعمة تبعث في النفس الراحة والاطمئنان، والهدوء والسكينة. نعمة فقدتها الكثير، وهم يبحثون عنها، لكن هيهات أن يحصلها من كان بعيداً عن الله عز وجل، المؤمن به إيماناً جازماً.

10. تطهير النفس من الآثام والذنوب:

وهو لا بد أن يدرك أنّ هذه المصائب والآلام، ما ابتلاه الله عز وجل بها إلا ليظهر قلبه ويخلصه من الخصال القبيحة؛ ذلك أنّ العافية والصحة قد تدعو إلى البطر والإعجاب بالنفس، لما يتمتع به الإنسان من نشاط وقوة، وهدوء بال، ونعيم عيش. فإذا قُيد بالبلاء والمرض انكسرت نفسه، ورق قلبه، وتطهر من أدران الأخلاق الذميمة، والخصال القبيحة من كبر، وخيلاء، وعجب، وحسد ونحوها، وحلّ محلها الخضوع لله، والانكسار بين يديه، والتواضع لخلق الله، وترك الترفع عليهم⁽²⁾.

قال رسول الله ﷺ: (ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة)⁽³⁾.

إنّ فابتلاء الله تعالى المسلم بالمصائب هي لتطهيره من الآثام والذنوب، ولتقويم نفسه من الاعوجاج والضلال وهذا فيه خير كثير له؛ إذ فيه تجديد للنفس وتغييرها نحو الأفضل، وإحلال الطمأنينة والسكينة فيها، والهدوء والاستقرار، إذ إنّ النفس المليئة بالذنوب تجدها

(1) كارنيجي، ديل، دع القلق وأبدأ الحياة، ترجمة: محمد فكري أنور، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط5، 2004، ص 65، 66.

(2) الحمد، محمد إبراهيم، المصائب والآلام... حكم وأسرار، على شبكة الإنترنت.

(3) سبق تخريجه، ص 241.

مُظلمة وقلقة لا تتعم بالسلام والهدوء وراحة البال، فالذنوب تظلم قلبها، وتُنقل كاهلها فلا تشعر بعد ذلك بالأمان والسلام. وهذه السمات من الهدوء والطمأنينة والاستقرار هي من مقتضيات الأمل فصاحبه ذو شخصية قوية هادئة مطمئنة يعلو صدرها الراحة.

ويقول ابن القيم:

تقولوا أنه سبحانه يداوي عباده بأدوية المحن والابتلاء لطغوا وبَغُوا وعتوا، ولكن الله تعالى إذا أراد بعبد خيراً سقاه دواء من الابتلاء والامتحان على قدر حاله، يستفرغ به من الأدواء المهلكة حتى إذا هذبه ونقاه وصفاه، أهله لأشرف مراتب الدنيا، وهي عبوديته، ورقاه أرفع ثواب الآخرة وهي رؤيته⁽¹⁾.

فطهارة القلب، وخلو النفس من الخصال الذميمة هي مما يبسط خاطر ويريح النفس ويبعث فيها الارتياح، وهذا من مقتضيات الأمل، وعلاوة على ذلك الأمر والثواب الذي أعده الله تعالى للمؤمن، وهذا مما يبعث الأمل في نفسه، فيصبر ويحتسب الأجر والثواب من الله عند نزول المصيبة له.

كتب بعض الكُتّاب إلى صديق له في محنة لحقته:

"إنّ الله تبارك وتعالى ليمتحنُ العبد ليكثر التواضع له والاستغاثة به، ويجدّد الشكر على ما يوليه من كفايته، ويأخذ بيده في شدته، لأن دوام النعم والعافية تبطر الإنسان حتى يعجب بنفسه، ويعدل عن ذكر ربه"⁽²⁾.

إنّ فصلة العبد دوماً بالله عز وجل هي مما يريح النفس، ويشرح الصدر، ويبعث الأمل ويجدده أيضاً، وينظر بنظرة إيجابية للأمور.

11. ومن دواعي الأمل أن الجزع والحزن لا يرد المصيبة:

"وهو ممن يدرك أن الجزع لا يرد المصيبة بل يضاعفها- والجزع هو القول السيء والظن السيء"⁽³⁾، وسئل سعيد بن جبير عن الجزع، فقال: جزع المصيبة هو ألا يحتسبها العبد

(1) ابن القيم، زاد المعاد في هدى خير العباد، ج3، ص 90.

(2) التوخي، الفرج بعد الشدة، ص 38.

(3) ابن قيم الجوزية، عدة الصابرين ونخبة الشاكرين، بيروت، دار ابن حزم، ط1، 2003، ص 231.

عند الله، ولا يرجو ثوابها، ويرى أنه سوءٌ أصابه⁽¹⁾. - ويزيد في مصيبتة، ويشمت عدوه، ويسوء صديقه، ويغضب ربه، ويسرُّ شيطانه، ويحبط أجره، ويضعف نفسه. أما إذا صبر واحتسب أخزى شيطانه، وأرضى ربه، وساء عدوه، وسرَّ صديقه، وحمل عن إخوانه، وعزاهم هو قبل أن يُعزوه، وهذا هو الثبات في الأمر الديني. قال رجلٌ للأحنف بن قيس التميمي: ما أصبرك! قال: الجزع شرُّ الحالين، يباعد المطلوب، ويورث الحسرة، ويبقي على صاحبه عاراً⁽²⁾، بل يكفيك إن صبر وحمد الله أن يُبنى له بيت في الجنة اسمه بيت الحمد، فلينظر أي المصيبتين أعظم، مصيبتة العاجلة بفوات محبوبة، أو مصيبتة بفوات بيت الحمد في جنة الخلد⁽³⁾.

قال رسول الله ﷺ: (إذا مات ولد العبد، قال الله تعالى لملائكته: أقبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده! فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة، وسموه بيت الحمد)⁽⁴⁾.

فما أجزل عطاء الكريم يفيض به على عباده ليعطيهم الأمل، والسرور، والارتياح، ويخفف عنهم مصائبهم، والعاقلة هو من يصبر ويحتسب الأجر والثواب من الله عز وجل وهذا هو أمل المسلم.

قال بعض الحكماء: العاقل يفعل أول يوم من المصيبة ما يفعله الجاهل بعد أيام⁽⁵⁾، (فالصبر عند الصدمة الأولى) كما قال رسولنا محمد ﷺ⁽⁶⁾.

ولا بد أن يدرك أن الله لم يبتليه بالمصيبة ليهلكه بها، ولا ليعذبه بها، وإنما ليفتقده بها فيمتحن صبره ورضاه عنه وإيمانه، وليسمع تضرعه وابتهاله، وليراه طريحاً ببابه، لائذاً بجنابه، مكسور القلب بين يديه، رافعاً قصص الشكوى إليه⁽⁷⁾.

(1) ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد، الصبر والثواب عليه، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، بيروت، دار ابن حزم، ط1، 1997، ص 129.

(2) المرجع نفسه، ص 130.

(3) ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، ج3، ص 88.

(4) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الجنائز، باب: فضل المصيبة إذا احتسب، حديث رقم 1021، ج3، ص 396. حديث حسن غريب.

(5) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، ج3، ص 89.

(6) سبق تخريجه.

(7) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي العباد، ج3، ص 89.

فالله عز وجل هو الذي يبعث الأمل في النفس ويحييه من جديد، برجوع العبد إليه، ويرضيها ويبعث السرور والارتياح فيها. وما ذلك إلا للمؤمن الذي صبر ورضي بما ابتلاه الله به.

وما أروع ما قاله عثمان بن عفان⁽¹⁾.

خَلِيلِي لَا وَاللَّهِ مَا مِنْ مَلْمَأَةٍ
وَإِنْ نَزَلَتْ يَوْمًا فَلَا تَخْضَعُنَّ لَهَا
فَكَمْ مِنْ كَرِيمٍ قَدْ بُلِيَ بِنَوَائِبِ
فَكَانَتْ عَلَى الْأَيَّامِ نَفْسِي عَزِيزَةً
تَدُومُ عَلَى حَيٍّ وَإِنْ هِيَ جَاءَتْ
وَلَا تَكْثُرُ الشُّكُوى إِذَا النُّعْلُ زَلَّتْ
فَصَابِرَهَا حَتَّى مَضَتْ وَاضْمَحَلَّتْ
فَلَمَّا رَأَتْ صَبْرِي عَلَى النُّزْلِ نَلَّتْ

وقال عبد الله بن عباس: أفضل العدة الصبر على الشدة.

وقيل في منثور الحكم: من أحبَّ البقاء، فليعدَّ للمصائب قلباً صبوراً.

وقال علي بن أبي طالب للأشعث بن قيس: إنك إن صبرت، جرى عليك القلم وأنت مأجور، وإن جزعت، جرى عليك القلم وأنت مأزور.

وقال الحسن البصري: لا تحملنَّ على يومك همَّ غدك، فحسبُ كل يوم همُّه⁽²⁾.

(1) التتوخي، الفرج بعد الشدة، ص 374.

(2) الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 276-279.

المبحث الرابع الوقوف في الذنوب والمعاصي

في النفس البشرية ضعف يحول بينها وبين بلوغ سَلَم الكمال، بابها في الانغماس بشهوات الدنيا وملذاتها، وانكبابها على المعاصي والحياد عن طريق الاستقامة، تلك المعاصي التي تثقل كاهلها وتهبط بها إلى درك الشقاء، ومن هي تلك النفس التي لا تقترف الخطايا والسيئات، وترتكب المعاصي والخطيئات؟
ومن دواعي الأمل للعصاة والمذنبين أن فتح الله تعالى لهم باب التوبة، بالإضافة إلى رحمته الواسعة ومغفرته للذنوب:

إنَّ هذا الدين ليدرك ضعف هذا المخلوق البشري الذي تهبط به ثقله الجسد أحياناً إلى درك الفاحشة... ولذلك منحه باباً يغسل منه خطاياهم ومعاصيهم التي ارتكبها، باباً يُرجعُ إلى نفسه الطمأنينة والسكينة، والتنعيم بالهدوء وراحة البال، والاستقرار، باباً يزيح عنه ثِقلاً كبيراً، باباً ينور له قلبه بعد أن اكتنفته ظلمة شديدة السواد، باباً مفتوحاً لا يغلق في وجهه متى أراد الرجوع إلى الله تعالى، ذلك الباب هو التوبة، طريق العودة والانابة إلى الله تعالى.

"إنَّ الذنوب والمعاصي سبب للنكد وضيق العيش في الدنيا والآخرة"،⁽¹⁾ "وسبب لظلمة القلب وقسوته، وابتعاد صاحبه عن الله عز وجل، وسبب في اضطراب النفس وقلقها، وحزنها وهمها، وسبب في إزالة كثير من النعم، لذلك كانت التوبة سبيلاً لتفريج الهموم، وطمأنينة النفس، وراحة البال في الدنيا، والنجاة يوم الحساب"⁽²⁾، "توبة تزيل ظلمة الذنوب وأثارها في القلوب، كما يمحو بزوغ الفجر ونور الشمس ظلام الليل، وكما يمحو الصقل صدأ الحديد"⁽³⁾.
توبة تتيح للمعاصي الفرصة لتدارك الغائب، وتصحيح المسار، فيرتقي بعد ما هبط، ويقترّب من ربه بعدما بَعُد، ويرجع إليه بعد ما شَرَد⁽⁴⁾.

(1) حقي، مصطفى، التوبة من المعاصي والذنوب، الرياض، دار الحضارة، ط1، 2007، ص 40.

(2) المرجع نفسه، ص 40.

(3) القرضاوي، يوسف، التوبة إلى الله، القاهرة، مكتبة وهبة، ط1، 1998، ص116.

(4) المرجع نفسه، ص44.

رحمةً من الخالق لعباده المقترفين للخطايا والمركبين للمعاصي، أملٌ يُبعث في نفس حادت عن الطريق القويم، ونالت من ارتكاب المعاصي والذنوب فأثقلت كاهلها، واسودَّ قلبها، وظنّت أن لا مخرج من هذا الضلال والتهيه والشroud، أملٌ يغيرُ هذه النفس فتقبّل على الحياة بإشراقه ونور وضيائه، نفس إيجابية تحاول التغيير في أرض الواقع بعدما تغيرت هي أولاً.

لقد منّ الله تعالى على العصاة والمُسرفين على أنفسهم في ارتكاب المعاصي، أن منحهم ذلك العطاء الجزيل، "التوبة التي هي من أجلّ العبادات وأحبها إليه تعالى، ومن أوسع الطرق إلى رحمته وجنته ورضوانه"⁽¹⁾، والتي تعتبر مرحلة ميلاد جديدة للمسلم؛ فهو يجاهد نفسه بنبذ كل ما هو مرذول، والتخلي بكل ما هو محمود، وهي نوع من الرياضة النفسية التي يمارسها المسلم ليدفع بها النقص والعجز والضعف، ليكتمل ما هو ضروري، فيتخلى بالقيم والأخلاق القويمة⁽²⁾.

إنّ فالمسلم يستطيع عن طريق التوبة أن يتخلص من أمراضه وآفاته، ويرجع إلى صحة النفس، وسلامة القلب، معافىً من كل مرض⁽³⁾.

والناظر، والعاقل، ومن يظفر بتلك الخصلة -الأمل- التي تُسكن نفسه الطمأنينة وراحة البال، في منهج الله عز وجل ودستوره يجد في ثناياه رحمة الله بعباده، وعطائه الجزيل وبعثه الأمل في نفوسهم، وإحلال التفاؤل مكان التشاؤم، وطرد اليأس والقنوط من نفوسهم، بابٌ مفتوح لكل من يريد العودة والإنابة إليه سبحانه، هذا ومع تجاوزهم لحدود الله تعالى وإسرافهم على أنفسهم في انغماسهم بالمعاصي والردائل، أقول ومع هذا يجدون إلهاً رحيماً، غفوراً، تواباً، لا يصددهم ولا يطردهم بل "يطمعهم في مغفرته، ويدلهم على الطريق، ويأخذ

(1) حقي، مصطفى، التوبة من المعاصي والذنوب، ص 11.

(2) انظر: الشرقاوي، حسن، نحو علم نفس إسلامي، الإسكندرية، مصر، مؤسسة شباب الجامعة، ط1، 1984، ص 195.

(3) الشرقاوي، حسن، نحو علم نفس إسلامي، ص 196.

بأيديهم المرتعشة، ويسند خطواتهم المتعثرة، وينير لهم الطريق، ليفيؤوا إلى الحمى الآمن،
ويثوبوا إلى الكنف الأمين»⁽¹⁾.

يقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالضَّعِيفِ
وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا
أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاَسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران: 133-135)

"تصوير حسّي حركي، وكأنه سباق إلى هدف أو جائزة تتال "المغفرة وجنة عرضها
السموات والأرض أعدت للمتقين" فالمتقون ليسوا ملائكة أطهاراً، ولا أنبياء معصومين، إنما
هم بشر من خلق الله، يصيبون ويخطؤون، ويطيعون ويعصون، ويستقيمون وينحرفون إلا
أنهم لا يتمادون في الخطايا، ولا يذهبون في المعاصي حيث لا يعودون، بل سرعان ما
يعودون إلى باب ربهم، واقفين على عتباته مبتغين لمرضاته، طالبين لعفوه، سائلين لمغفرته،
راجين لرحمته. وحتى إذا فعلوا فاحشة وظلموا أنفسهم "وهي أشع الذنوب وأكبرها" ذكروا الله
فاستغفروا لذنوبهم، ومن يغفر الذنوب إلا الله؟"⁽²⁾.

منهج يقبل عثرة الضعف، ليستجيش في النفس الإنسانية الرجاء، وكما يستجيش فيها
الحياء! وما المغفرة إلا من الله تعالى، ومن يغفر الذنوب إلا هو سبحانه⁽³⁾.
هذه المغفرة والجنة التي أعدها الله عز وجل لمن يتوب ويثوب إليه، للنفس التي حادت
عن طريق الحق، ثم ما لبثت أن أدركت شرودها، فرجعت إلى الطريق القويم، فاستغفرت
لذنوبها وأتابت إلى الله عز وجل، ألا يبعث ذلك الأمل في النفس، ويلهما التفاؤل من جديد؟

(1) قطب، سيد، في ظل القرآن، ج1، ص476.

(2) انظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج1، ص475، 476.

القرضاوي، يوسف، التوبة إلى الله، ص217، 218.

(3) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج1، ص477.

وينظر في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ

يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (الفرقان: 70).

"فإنه عز وجل يعد التائبين المؤمنين العاملين أن يبدل ما عملوه من سيئات قبل التوبة حسنات، بعدها تضاف إلى حسناتهم الجديدة، وهو فيض من عطاء الله لا مقابل له من عمل العبد إلا أنه اهتدى ورجع عن الضلال، وثاب إلى حمى الله، ولاذ به بعد الشرود والمتاهة.

وباب التوبة مفتوح دائماً، يدخل منه كل من استيقظ ضميره، وأراد العودة والمآب، لا

يُصد عنه قاصد، ولا يغلُق في وجه لاجئ، أيّاً كان، وأياً ما ارتكب من الآثام"⁽¹⁾.

ومن هي تلك النفس التي لا ينعشها الأمل، ويبعث في نفسها التفاؤل، والرضى

والسرور، وراحة البال، والطمأنينة عندما تترك ذلك العطاء الجزيل تبديل سيئاتها حسنات؟!

ويمعن النظر في رحمة الله الواسعة: ﴿قُلْ يَعِبَادِي الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا

تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر: 53).

خطاب عظيم جليل يرقق القلوب، ويبعث الأمل والرجاء في النفوس، إضافة عذبة

رفيقة لطيفة نديّة (يا عبادي) فرغم عصيانهم له تعالى وإسرافهم على أنفسهم، لم يحرمهم

شرف الانتساب إليه، والعبودية له جل شأنه، فهو عز وجل مع إسرافهم ينهاهم عن القنوط من

رحمته، مؤكداً لهم أنه يغفر الذنوب جميعاً بهذا الإطلاق، وهذا التعميم⁽²⁾.

إنها الرحمة الواسعة التي تسع كل معصية، كائنة ما كانت، وإنها الدعوة للأوبة، دعوة

العصاة المسرفين الشاردين المبعدين في تيه الضلال، دعوتهم إلى الأمل والرجاء والثقة بعفو

الله. إن الله رحيم بعباده، وهو يعلم ضعفهم وعجزهم، ويعلم العوامل المسلطة عليهم من داخل

⁽¹⁾قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج5، ص2579، 2580.

⁽²⁾ انظر: القرضاوي، يوسف، للتوبة إلى الله، ص252، 253.

كيانهم ومن خارجه ... يعلم الله عن هذا المخلوق كل هذا فيمد له في العون، ويوسع له في الرحمة، ولا يأخذ بمعصيته حتى يهين له جميع الوسائل ليصلح خطاه، ويقم خطاه على الصراط. وبعد أن يلج في المعصية، ويسرف في الذنب، ويحسب أنه قد طرد وانتهى أمره، ولم يعد يُقبل ولم يُستقبل، في هذه اللحظة، لحظة اليأس والقنوط، يسمح نداء الرحمة الندي اللطيف (قل يا عبادي...) (1).

آية كريمة تفتح باب الرجاء على مصراعيه للعاصي مهما كان ذنبه ومعصيته، لا يحول بينه وإسرافه في المعاصي وبين الرحمة والعفو إلا التوبة الباب الذي لا يحتاج من يلج إليه الاستئذان.

ثم فليُنظر إلى هذا الكرم السابغ والفضل العظيم حيث يقول تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن

تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ [طه: 82].

فإنه عز وجل غفور على الدوام لمن تاب وأناب إليه سبحانه (2)، فصيغة المبالغة (غفار) تبعث الأمل في النفس المذنبة، فهو سبحانه سيقبى يغفر الذنوب لمن يتوب ويثوب إليه، فمغفرة الله عز وجل لعباده التائبين لها صفة الاستمرارية، التي تدعو إلى التفاؤل ونبذ الشاؤم، والإقبال على الحياة من جديد بنفس تعلوها الطمأنينة والاستقرار وراحة البال.

ثم فليمنع النظر في هذا اللطف، وهذه العناية الربانية، وهذه الرحمة حيث يقول تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ (النساء: 64).

فالإنسان عندما يقترف الذنوب والمعاصي يظلم نفسه بحياده عن طريق الهدى، وإتقال كاهله بالذنوب، وإظلام قلبه، وما تعترى نفسه من الهموم والأحزان والاضطراب والقلق ...

(1) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج5، ص3058.

(2) الزحيلي، وهبة، التفسير المنير، ج16، ص259.

مع هذا كله يجد "تَوَاباً يَتُوبُ عَلَيْهِ عِنْدَمَا يَتُوبُ، رَحِيمٌ بِهِ عِنْدَمَا يُؤُوبُ، وَهُوَ سَبْحَانَهُ يَعُدُّ الْعَائِدِينَ إِلَيْهِ، وَالْمُسْتَغْفِرِينَ مِنَ الذَّنْبِ، قَبُولَ التَّوْبَةِ وَإِفَاضَةَ الرَّحْمَةِ، فَبَابِ اللَّهِ مَفْتُوحٌ لَا يَغْلُقُ، وَوَعْدُهُ قَائِمٌ لَا يُنْقَضُ، فَمَنْ أَرَادَ فَلْيَتَقَدَّمْ، وَمَنْ عَزَمَ فَلْيَتَقَدَّمْ"⁽¹⁾.

لام التوكيد في جواب الشرط ﴿لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَابًا رَحِيمًا﴾ مع صيغة المبالغة (تَوَابًا) وصفة (الرحمة) كلها تبعث الأمل، والطمأنينة للنفس العاصية المذنبة لترجع عما اقترفته من ذنوب وتتوب إلى الله عز وجل فما من حاجز بينها وبين باب الرجوع إلى الكريم سبحانه.

ويقول تعالى في محكم كتابه: ﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (التحریم: 8).

دعوة من الله تعالى لعباده بالتوبة والإنابة إليه، فهو سبحانه يُطْمَعُ عِبَادَهُ بِمَغْفِرَتِهِ وتوبته لمن يتوب توبة نصوحاً "خالصة صادقة جازمة، ندم بالقلب على ما مضى من الذنب، والاستغفار باللسان، والإقلاع بالبدن، والعزم على عدم العودة، وما جزاء ذلك إلا تكفيراً للسيئات وإدخالاً للجنات"⁽²⁾. فضل عظيم لا يوازيه عمل يبعث في النفس الأمل، والرضى، والطمأنينة. "فكلمة (عسى) من الله موجبة تفيد التحقق"⁽³⁾.

ثم إنه لا يكتفي بهذا النهل من كتاب الله تعالى بل يجد أيضاً ما يطفئ تلك النار التي أشعلها في قلبه، وما يصقل ذلك الصدا الذي اعترى نفسه، حديث رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى.

(1) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج2، ص696.

(2) الزحيلي، وهبة، التفسير المنير، ج28، ص318، 319.

(3) المرجع نفسه، ج28، ص319.

يقول الرسول الكريم ﷺ: (من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه)⁽¹⁾، دعوة من رسول الله ﷺ للمذنب والعاصي بأن يتوب ويؤوب إلى الله تعالى، والإجابة هي بالقبول، فإله تعالى يقبل توبة عبده ورجوعه إليه سبحانه. وقد أعطاه وقتاً مطوّلاً، قبل طلوع الشمس من المغرب التي هي من العلامات الكبرى ليوم القيامة. فسحة ووقت طويل، مساحة عريضة، فباب التوبة مفتوح لكنه مقيد بفترة زمنية فعليه المسارعة بالرجوع إلى الله تعالى قبل انقضاء الوقت.

وهذا يعطي النفس الهمة والعزيمة في التوبة والأوبة إلى الله تعالى بحيث لا يلهيها طول الأمل والتسويق قبل فوات الأوان، فالذي يريد أن يحقق هدفاً لا بد له من المسارعة لتحقيقه، والنية الصادقة والتوكل على الله والعمل على ذلك، فالنفس العاقلة الفطنة لا تترك إلى الأمل المذموم بحيث تتراخي وتركن إلى ما هي عليه من الذنوب حتى يدركها الموت إذ لا توبة مقبولة حينها.

ففي الحديث الشريف تشجيع وتحفيز للنفس المذنبة على التوبة وبعث الأمل فيها بقبول توبتها.

"ومن ثمرات التوبة نيل الفرحة التي لا تعادلها ولا تدانيها فرحة، إنها فرحة الرب الأعلى، بتوبة عبده، ورجوعه إليه بعد شروده عنه، ووقوعه أسيراً في يد عدوه وجنوده إبليس، وهو بالتوبة قد فك أسره، وخرج من سجنه، وخلص من عدوه، وعاد إلى رحاب ربه الذي غمره بإحسانه، وأحاطه بنعمه الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، المادية والمعنوية"⁽²⁾.

يقول الرسول الكريم ﷺ: (لله أشدُّ فرحاً بتوبة عبده المؤمن من رجلٍ في أرضٍ دويّةٍ مهلكةٍ معه راحلته عليها طعامه وشرابه، فنام فاستيقظ، وقد ذهب، فطلبها حتى أدركه العطش. ثم قال: أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت، فوضع رأسه على ساعده

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الدعوات، باب: استحباب الاستغفار والاستكثار منه، حديث رقم 2703، ج9، ص26.

(2) القرضاوي، يوسف، التوبة إلى الله، ص236.

ليموت فاستيقظ وعنده راحلته عليه زاده وطعامه وشرابه، فالله أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده⁽¹⁾.

من هذا الذي يخظى بفرحة خالق العباد بتوبته وأوبته إليه ولا يُبعث في نفسه الأمل، والتقاؤل، والرضى والسرور، وارتياح النفس وهدوئها؟!!

وهو ممن يدرك عظيم فضل الله تعالى على عباده المخطئين، فباب توبته مفتوح لا يغلقه في وجه تائب وعائد إليه. يقول الرسول الكريم ﷺ: (إن الله عز وجل يبسط يده بالليل؛ ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار؛ ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها)⁽²⁾.

ما أعظم هذا العطاء الرباني، وما أعظم رحمته بعباده! فهو عز وجل يعطيهم ويفتح أمامهم فرصة التوبة والرجوع إليه، والعاقل والراجي هو من يقتنص تلك الفرص ولا يفوتها. فليتخيل المسلم كيف أن الله عز وجل يقبل على عباده وهو العظيم ليقبل عثراتهم، ويسد خطواتهم، ويؤمن قلوبهم، وينير لهم الطريق، أفلا بعد ذلك يرجع ويؤوب إليه فينعش الأمل في نفسه ويتفاعل من جديد؟!!

ثم إنه ليدرك من كلام رسوله الكريم ﷺ حيث يقول فيما يحكي عن ربه عز وجل قال: (أذنب عبد ذنباً، فقال: اللهم اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنوب، ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب، اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً، فعلم أنه له رباً يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، اعمل ما شئت فقد غفرت لك)⁽³⁾.

(1) مختصر صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب: الحض على التوبة، حديث رقم 1917، ص 506.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب: قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة، حديث رقم 2759، ج 9، ص 79، 80.

(3) مختصر صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب: فيمن أذنب ثم استغفر ربه عز وجل، حديث رقم 1935، ص 514.

إنَّ الله عز وجل يغفر الذنوب من العباد كلما تكررت ورجعوا وأنابوا إليه عز وجل ولم يُصروا عليها، فالإنسان غير معصوم عن الخطأ، فهو لا يزال يقترف الذنوب لضعفه وجهله.

هذا الفضل العظيم والكرم السابغ من الله عز وجل على عباده يفتح لهم باب الأمل والتفاؤل والإقبال بنفس جديدة متغيّرة ومُغيّرة للأمر.

وما أجمل خطاب الله تعالى لابن آدم، وما أرقه، وما أنداه! خطاب يرقق القلوب، ويشفي النفوس، ويريح الصدور، ويفتح باب الأمل للنفس المذنب، ويجلو عنها الهموم والقلق، ويخفف من وطأة الحمل الثقيل عليها.

فعن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال تعالى: (يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي. يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض⁽²⁾ خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة⁽³⁾).

أيُّ عطاء جزيل! وأي منحة ربانية! وأي رحمة عظيمة! وأي أملٍ يبعث في النفس! وأي اطمئنان يسكن في النفس! فدعوة العبد ورجاؤه بالله يقابلها المغفرة، وبلوغ الذنوب عنان السماء، وهي على اتساعها، فهمها بلغت ذنوب العبد ثم أتبعها بالاستغفار كان الرد الإلهي المغفرة، ولو كانت خطايا العبد تقارب ملء الأرض ثم لقي الله تعالى ما لم يشرك به للقيه بقراب تلك الخطايا مغفرة.

معادلة يُوازها ذلك العطاء الرباني.

دعوة العبد ورجاؤه + بلوغ ذنوبه عنان السماء والاستغفار + بلوغ خطايا قراب الأرض ← توبة الله ومغفرته لذنوبه.

(1) العنان: ما يبدو لك من السماء إذا نظرت إليها. إبراهيم، أنيس، المعجم الوسيط، ج2، ص633 .

(2) قراب الأرض: بما يقارب ملؤها. سنن الترمذي، ج9، ص194.

(3) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب: غفران الذنوب مهما عظمت،، حديث رقم 3534، ج9،

"قأي باب أوسع رحمة من هذا الباب؟ باب ممدود بأسباب الرحمة والعطاء، يصل ما بين السماء والأرض، لا يغلق بوجه العاصين والمذنبين والتائبين"⁽¹⁾.

وهو ممن يدرك لطف الله بعباده ورحمته بهم حيث يقول الله تعالى في الحديث القدسي: (يا عبادي إنكم تخطؤون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم)⁽²⁾.

خطاب إلهي يشرح الصدر، ويُسكن النفس الطمأنينة، تلك النفس المذنبة المقصرة في حق نفسها أولاً، وحق الله ثانياً، فبحيادها عن طريق الهدى تظلم نفسها ومع ذلك يدعوها ربها بأن تستغفره وتتوب إليه، ومن يغفر الذنوب إلا هو سبحانه.

ألا يبعث ذلك الأمل في النفس ويحييه من جديد؟

ومن لا يعرف قاتل المائة نفس؟! الذي أراد التوبة والعودة إلى الله تعالى، وقد قبل الله عز وجل توبته وأوبته. نفس مذنبة عاصية شردت عن الطريق القويم، ثم بعد برهة أدركت ضلالها وتيهها وشرودها عن الحق، فأرادت التوبة والأوبة إلى الله تعالى، القتل بغير حق، وما أعظمه! تلك كانت معصيته، لكن مع ذلك قبل الله توبته، لأنه ندم على ما سلف منه في الماضي، وأقلع عنه في الحال، وعزم على أن لا يعاوده في المستقبل.

عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: (كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض؟ فذُلُّ على راهب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً، فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله، فكمَلَّ به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض؟ فذُلُّ على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناساً يعبدون الله عز وجل،

(1) الصوفي، ماهر، الإنسان في عالم الذنوب والتوبة والغفران، دم، دار الرضوان، ط1، 2000، ص89.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، حديث رقم 2577، ج16، ص133، 134.

فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله عز وجل، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط. فأتاهم ملكٌ في صورة آدمي، فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاوسوا فوجوده أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة⁽¹⁾.

نفسُ أرادت أن تنزّه قلبها من الذنب، عندما أدركت أنه قد أثقل كاهلها، وأظلم قلبها، فندمت على ذلك، "هذا الندم الذي يورث عزماً وقصداً على ترك الذنوب، هذا الندم الذي يورث العلم بأن تكون المعاصي حائلاً بين الإنسان وبين محبوبه"⁽²⁾.

وبعد إدراك رحمة الله بذلك القاتل وعفوه عنه بعد توبته الصادقة، فمن هي تلك النفس التي لا يُبعث فيها الأمل! والتي لا تسكنها الطمأنينة بعد رحمة الله ومغفرته لعباده المسرفين على أنفسهم!؟

ومن هو الذي يعرف أنّ الله عز وجل يدعو عباده لأنّ يستغفروه فيغفر لهم وذلك في الثلث الأخير من الليل، وقت يكون فيه العباد نيام، وقت مخصص له فقط، ليستغفروه ويطلب عفوه. ألا ما أعظمه من عطاء جزيل! يبعث الأمل في النفس المقصّرة، ويشرح صدرها، ويرضيها ويدعوها للتفاؤل، والإقبال على الحياة بنفس جديدة.

قال رسول الله ﷺ: (يتنزل ربنا تعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟)⁽³⁾، خطاب إلهي يرقق القلوب، ويشرح الصدور، ويجلي الهموم.

(1) مختصر صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب: قبول التوبة ممن قتل مائة نفس، حديث رقم 1919، ص510.

(2) محمد، سيد عبد المعطي، علو الهمة في محبة الله ورسوله، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2002، ص55.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب: الدعاء نصف الليل، حديث رقم 6321، ج4، ص1128.

ويقول الرسول الكريم ﷺ: (إنَّ العبد إذا أخطأ خطيئة نكثت⁽¹⁾ في قلبه نكتة سوداء فإذا هو نزع⁽²⁾ واستغفر وتاب صُقِلَ⁽³⁾ قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلق قلبه وهو الران⁽⁴⁾ الذي ذكره الله عز وجل "كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون"⁽⁵⁾).

إنَّ فالذنوب والخطايا تغطي على القلب فتجعله أسود حالكاً كالظلمة شديدة السواد، فهو كمن لا يبصر فيتخبط ويتيه ويشرد، ولا يعرف الطريق. وهذا من شأنه أن يتملكه اليأس والإحباط والقلق والهموم والاضطراب فلا يعيش حياة سوية -حياة تملؤها الصحة والعافية- بعكس من يتوب ويؤوب إلى الله تعالى، فتوبته تمحو الظلام من قلبه فيشرق من جديد، وتملأ نفسه التفاؤل والأمل والسكينة، فهو بعد توبته عرف طريق الحق والهدى فسار فيها مطمئناً راضياً.

وما هذا إلا غيضٌ من فيض فالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة كثيرة في هذا الموضوع مما لا يتسع المقام لبيانه.

وللتوبة من الناحية النفسية أكبر الأثر في إعادة بناء الشخصية الإنسانية المسلمة، إذ إنَّ الرجوع إلى الله والإنابة إليه يولد في نفس المسلم طاقات جديدة نحو سلوك أفضل، ويحدث في شخصه تغييراً جذرياً؛ لأنه نادم على ماضيه السيء، وعازم على مستقبل مشرق مليء بالطاعات والحسنات، مٌكَلَّل بالحب من الله والقرب منه⁽⁶⁾، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ حُبُّ التَّوَّابِينَ

وَحُبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (البقرة: 222).

(1) النكت: الأثر في الشيء.

(2) نزع: كف عن الذنب وأقلع عنه.

(3) صُقِلَ قلبه: محا الله هذا السواد عن قلبه.

(4) ران على قلبه: أي غطى.

(5) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب التفسير: باب: ومن سورة ويل للمطففين، حديث رقم 3331، ج 9، ص 69، حديث صحيح حسن.

(6) نصير، آمال، التوبة في ضوء القرآن الكريم، جدة، دار الأندلس الخضراء، ط 1، 1998، ص 515.

هذه الجوانب تتمثل بما يلي:

1. تفتح أمام الإنسان القلق الذي حطمته ذنوبه وأثامه، وأصبحت عبئاً ثقيلاً لا يستطيع تحمله في معترك الحياة، الأمل في تطهير النفس وفي تصفية حسابه مع ربه. إن هذا الأمل يجعله يشعر بالراحة النفسية، والنظر إلى الحياة نظرة مختلفة، يسودها التفاؤل بعد أن كانت نظراته كلها تشاؤم وخوف ومرارة.
2. تؤدي التوبة بصاحبها إلى احترام ذاته، وهذا الاحترام يقوي فيه شعوره بذاته، وبعبارة أخرى إن التوبة تؤدي إلى تأكيد الذات، وهذا دافع هام في تكوين الشخصية التي تتمتع بقدر كاف من الصحة النفسية.
3. تؤدي التوبة إلى أن يتقبل الفرد ذاته بعد أن كان دواماً يعلن الحرب عليها ويحتقرها ويحط من شأنها، بسبب الآثام والذنوب التي ارتكبتها. إن الشخص الذي يتقبل ذاته، لا يتطرق إليه الغرور الزائف، بل يواجه مشكلاته الشخصية بشجاعة وبأسلوب واقعي. إنه مستعد لمواجهة الحقائق عن نفسه وعن عمله وعن قدراته وظروفه وعن المجال الذي يعيش فيه، حتى ولو كانت هذه الحقائق مؤلمة. إنه يرى في هذه الصعوبات حافزاً لأن يعمل ويكد، ويضاعف من كفاحه أمام الأزمات.
4. تدفع التوبة إلى التحرر من الشعور بالذنب والخوف؛ ذلك أن الفرد المذنب يشعر بالتعاسة، ويحس بالتوتر الذي يعوق نجاحه في أي مجال من المجالات التي يتحرك فيها، نتيجة لخوفه الشديد من الأذى الذي قد يصيبه بسبب الشعور المؤلم بالذنب عما يعتقد أنه عمل خاطئ قام به⁽¹⁾.

(1) فهمي مصطفى، الصحة النفسية (دراسات في سيكولوجية التكيف)، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط3، 1995، ص379.

إنّ فالتوبة تحدث توازناً في الشخصية المسلمة بسبب الاطمئنان الذي يسكن نفسها، والذي تمخّض عن الطهارة لتلك النفس المسلمة بعد توبتها وأوبتها إلى الله تعالى، "والتوازن والهدوء يمثل القاعدة الأساسية لصحة النفس البشرية، والراحة النفسية والاطمئنان، والتفاؤل لا يتولد إلا بالعودة إلى الله، والتذلل إليه، والإقرار بالخطيئة بين يديه"⁽¹⁾.

توبة تجعل منه شخصية إيجابية بناءً، تواجه صعوبات الحياة بقدم ثابتة، ونفس هادئة مطمئنة وليست مضطربة.

إنّ الشعور بالأمان والاطمئنان، والهدوء والاستقرار في النفس المسلمة يولد لديها إرادة قوية، وهمّة عالية، وأملًا في مستقبل مشرق يعود بالخير على المجتمع.

"ثم إنّ للتوبة أثراً من الناحية الخلقية؛ إذ إنّ إصلاح خلق الإنسان وتعديل سلوكه نحو الإيجابية البناءة في مجتمعه بين أفراد أسرته هي إحدى الآثار الهامة التي تتمخّض عنها التوبة النصوص؛ فهي سلاح خلقي قوي يحدث تغييراً أكيداً في أخلاق التائب"⁽²⁾.

يقول الكاتب الهولندي (فرانز ستال):

"إنّ التوبة في الإسلام هي وسيلة تغيير الأفراد أنفسهم، وهي سلاح خلقي عظيم، ففيها الندم والتغيير والتحول"⁽³⁾.

فالتوبة الصحيحة علاج عام للأمراض الخلقية عند الإنسان المذنب، وهذا العلاج مستمد من المعنى الحقيقي الذي تتضمنه التوبة وهو العودة إلى رحاب الله، والندم على ما اقترف الإنسان من معاصي وآثام. وتغيّر أخلاقيات التائب إنما هي ثمار التوبة النصوص، فنراه صادقاً، مخلصاً في أعماله، صابراً...⁽⁴⁾.

إنّ التوبة قد تدفع الإنسان إلى إصلاح الذات وتقويمها حتى لا يقع مرة أخرى في الأخطاء والمعاصي، ويساعد ذلك على زيادة تقدير الإنسان لنفسه، وزيادة ثقته فيها، ورضاه عنها، ويؤدي ذلك إلى بث الشعور بالأمن والطمأنينة في نفسه⁽⁵⁾.

(1) نصير، آمال، التوبة في ضوء القرآن الكريم، ص 517.

(2) المرجع نفسه، ص 521.

(3) طبارة، عفيف، روح الدين الإسلامي، بيروت، دار العلم للملايين، ط 26، 1985، ص 189.

(4) نصير، آمال، التوبة في ضوء القرآن الكريم، ص 521.

(5) نجاتي، محمد عثمان، القرآن وعلم النفس، ص 274.

وتختتم الباحثة حديثها بالسؤال الآتي:

كيف يساعد التائب نفسه بالثبات على طريق الحق والهداية؟

هناك وسائل تعضد توبته النصوح لتستقر في كيانه، فحتى يعينه الله تعالى ويثبته على

طريق الهداية، لا بد أن يعين نفسه أولاً، وذلك من خلال:

1. "الاستغفار: فهو وسيلة عملية لتثبيت التائب على توبته النصوح بعد تطهير قلبه من الذنوب

والآثام، وذلك من النواحي التالية:

أ. فالتائب إذا استغفر ربه وكان صادقاً في استغفاره، غفر الله له؛ لأنه وعد بذلك، ووعد

عز وجل لا يخلف، قال تعالى: ﴿ فَعَلْتُ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ (نوح:

10).

ب. إن الاستغفار يكون سبباً في أن يعيش التائب حياة طيبة وعيشة هانئة. قال تعالى:

﴿ وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ

ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴾ (هود: 3).

ج. إن الاستغفار هو أكبر الأسباب الدافعة لعذاب الله وسخطه. قال تعالى: ﴿ وَمَا

كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال:

33].

د. إن الاستغفار يولد القوة في نفس التائب، وبذلك يصبح قوي الإرادة إيجابياً مع نفسه

ومع الآخرين، وقد أخبر القرآن الكريم عن هذه القوة، ﴿ وَيَقْوِمُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ

تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا

مُجْرِمِينَ ﴾ (هود: 52)، وإطلاق القوة في الآية الكريمة تشمل القوة الروحية

والجسمية.

هـ. إن ملازمة التائب للاستغفار، تفتح له أبواب الرزق، وتبعد عن نفسه الهم والحزن⁽¹⁾.

قال تعالى: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينْ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُجْرًا ﴿١٢﴾ ﴾ (نوح: 10-12).

وقول الرسول الكريم ﷺ: (من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا، ورزقه من حيث لا يحتسب)⁽²⁾.

وقوله أيضاً عليه الصلاة والسلام: (طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً)⁽³⁾.

قال قتادة: إن هذا القرآن يدلكم على دوائكم ودوائكم، فأما دواؤكم فالذنوب، وأما دواؤكم فالاستغفار⁽⁴⁾.

2. الذكر:

فذكر الله تعالى هو غذاء روعي يمد النفس الإنسانية بما تحتاجه من سكينه واطمئنان، وهذا ما صرح به القرآن الكريم ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (الرعد: 28)، فهو وسيلة فعالة للوصول إلى هذه الطمأنينة، ونبذ الهم والقلق اللذين هما أعدى أعداء النفس الإنسانية. كما أن ذكر الله تعالى هو مظهر لمعرفة الإنسان ربه والثناء عليه، ولهذا يصرح القرآن بأن ذكر الله وسيلة للتقرب منه سبحانه، وأن الذاكرين مجزيون بمحبته ورحمته⁽⁵⁾.

قال تعالى: ﴿ فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ (البقرة: 152).

(1) نصير، آمال، التوبة في ضوء القرآن الكريم، ص 160-162.

(2) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب: في الاستغفار، حديث رقم 1518، ج 1، ص 445.

(3) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الأدب، باب الاستغفار، حديث رقم 3818، ج 4، ص 257، إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(4) القرضاوي، يوسف، التوبة إلى الله، ص 194.

(5) طبارة، عفيف، روح الدين الإسلامي، ص 177، 178.

(وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) (الأحزاب:

35).

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۖ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۗ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۗ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا) (الأحزاب:

41-43).

كما أن ذكر الله تعالى له أثر كبير في تربية النفس، فالذي يذكر ربه ويتصور عظمته يخشع قلبه ويلين، فلا يصدر منه من الأفعال إلا كل خير؛ لأنه يعلم أن الله مطلع عليه⁽¹⁾. وذكر الله أيضاً يحيي نفس التائب ويوقظها من سباتها، فقد قتلتها الذنوب والمعاصي، وأورثت فيها الجمود والقسوة، وكلما قويت صلة التائب بربه كلما ازداد رجوعاً وإنابةً إليه تعالى⁽²⁾.

3. الدعاء:

الدعاء من الوسائل المعينة للتائب على توبته، وهو علاج نفسي لكثير من أمراض النفس، فالإنسان بطبيعته محتاج في حل مشكلاته لأن يفضي بدخيلة نفسه إلى صديق حميم يخفف عنه بعض ما يشعر به من الهم والحزن نتيجة ارتكابه للذنوب، ومن فضل الله ورحمته أن جعل باب الدعاء مفتوحاً للتائب، فلا يحتاج إلى أن يهتك ستر نفسه أمام أحد من الناس، بل يتجه إلى الله بالابتهال والتضرع والمناجاة، ليخلصه مما يجد في نفسه، وإذا فعل التائب ذلك شعر براحة نفسية عظيمة. هذا وقد أجمع الأطباء النفسيون على أن علاج التوتر العصبي والآلام النفسية إنما يتوقف إلى حد كبير على الإفضاء بسبب التوتر ومنشأ القلق إلى صديق مخلص؛ لأن كتمانها مما يزيد في المرض⁽³⁾.

(1) طبارة، عفيف، روح الدين الإسلامي، ص178.

(2) نصير، آمال، التوبة في ضوء القرآن الكريم، ص164، 165.

(3) انظر: طبارة، عفيف، روح الدين الإسلامي، ص199، 200.

نصير، آمال، التوبة في ضوء القرآن الكريم، ص167.

إذن فاعتراف العبد بخطاياہ وطلب المغفرة من الله تعالى بمناجاة ربه وتضرعه إليه، مما يساعده في تخطي آلامه النفسية وشعوره بالإثم، ليرقى إلى درجة الاطمئنان القلبي التي هي المدخل إلى الصحة النفسية⁽¹⁾.

4. العمل الصالح:

"إنّ العمل في علم النفس الإسلامي هو جهاد النفس ضد التبطل والسلبية، والضياع واللهو والعبث، وهو رسالة إنسانية تفوق في ثوابها ظاهر العبادات، لأنه مجاهدة للنفس"⁽²⁾. وقد نصّ القرآن الكريم في آيات كثيرة على العمل الصالح وقرنه بالتوبة:

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ

شَيْئًا﴾ (مريم: 60).

﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَحَسْبُكَ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ (القصص: 67).

﴿وَأِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ (طه: 82).

فممارسة الأعمال الصالحة تعين التائب على توبته من خلال ما يلي:⁽³⁾

1. أن العمل الصالح هو البديل العملي لما كان يقتصره التائب من ذنوب، فإذا لم يشغل التائب نفسه بعمل الطاعات وسائر وجوه البر، فلربما أدى ذلك إلى عودته إلى الذنوب. يقول سيد قطب في تفسير الآية الكريمة: ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ (الفرقان: 71). "إن العمل الصالح يثبت أن التوبة صحيحة وأنها جدية، وهو في الوقت ذاته ينشئ التعويض الإيجابي في النفس للإقلاع عن

(1) انظر: طيارة، عفيف، الخطايا في نظر الإسلام، بيروت، دار العلم للملايين، ط3، د.ت، ص25.

(2) الشرقاوي، حسن، نحو علم نفس إسلامي، ص202.

(3) نصير، أمال، التوبة في ضوء القرآن الكريم، ص163، 164.

المعصية، فالمعصية عمل وحركة، يجب ملء فراغه بعمل مضاد وحركة، وإلا حنّت النفس إلى الخطيئة بتأثير الفراغ الذي تحسه بعد الإقلاع⁽¹⁾.

2. أن العمل الصالح يقوّي إرادة التائب، ويجعل توبته صادقة، إذ هو برهن عليها بالاستقامة وبذل الجهد في التقرب إلى طاعة الله ومغالبته للهوى والشيطان.

3. كما أنه يبدد ظلال المعصية في نفس التائب فيجعل الخير يحل محل الشر، وبذلك يكون قريباً من الله، ولذا حدث ثبت على توبته.

وما هذه الوسائل إلا غيوض من فيض مما لا يتسع به المقام لبيانها، فهناك الكثير منها مما تعضدّ توبته وتجعله مستقيم النفس، وتبعث الأمل في نفسه، والتفاؤل مكان التشاؤم واليأس الذي يحطمّ النفس ويهدمها، ويهوي بها إلى الرذائل.

إنّ طريق التوبة هو طريق تغيير لحال الإنسان، وتجديد لواقعه، وتحريك لهفته، وارتقاء بذاته، وتقبلها واحترامها، وطريق ينور قلبه بالطاعات ويبعث الأمل في نفسه، ويدعوه للتفاؤل والنظر بإيجابية للأمر.

(1) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج5، ص2580.

المبحث الخامس التغيير في منهج التفكير

يقول تعالى في محكم كتابه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ (الرعد: 11) فهذا تأكيد يحمل معنى الجزم في أنّ واقع المسلم المعاش لن يتغير إلا إذا هو تغير أولاً. تغيير ما بالنفس الذي هو الخطوة الأولى نحو تغيير ما بالواقع، تغيير ما بها من معتقدات، ومبادئ، ومفاهيم، وتصورات، وآراء، لينطلق التغيير بعد ذلك إلى ما بالواقع من علاقات، وأفعال، وتصرفات، وسلوكيات⁽¹⁾.

إنّ أحوال المسلم لن تتغير أو تتحسن من السلبية التي تحمل في ثناياها التشاؤم، واليأس، والاحباط، والخمول، والكسل، والتقليد، والقلق... إلى الإيجابية التي تحمل في ثناياها التفاؤل، والأمل، والسعادة، والنشاط، والفعالية، والحيوية، والإبداع...، إلا إذا بادر هو بتغيير ما بنفسه، أن يغير منهج تفكيره الذي يتسم بالركود والجمود، والالتكالية، والعجز، والاستسلام والخنوع، هذه السلبية القاتلة للطاقت والمستنزفة لها فيما لا طائل منه، والتي تحيد بها عن الطريق السليم، "فينظر بإيجابية نحو واقعه المعاش فيفكر كيف يواجه المشكلات والصعاب ويتغلب عليها، لا أن يركن إليها، ويستسلم دون فعل أي شيء يذكر. فهذا هو الخنوع والاستسلام "التوقف عن العمل والحركة"⁽²⁾.

إنّ التغيير يبدأ أولاً بتغيير منهج التفكير، الذي ينسحب على سلوكيات المسلم وتصرفاته، وهذا هو منهج الإسلام فقد جاء ليغير المعتقدات، والتصورات الفكرية الباطلة أيام

(1) انظر: القمودي، سالم، التغيير، بيروت، مؤسسة الانتشار العربي، ط1، ص41، 42.

(2) انظر: مفلح، فدوى شوقي وحريز، نورا محمد هشام، إدارة الذات نحو النجاح والإبداع، عمان، دار البداية، ط1، 2007، ص153.

الجاهلية التي تميزت بالجمود والانغلاق على الموروثات الفكرية القديمة⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا آَلَفْنَا عَلَيْهِ ءآبَاءَنَا أُولَئِكَ كَانَتْ ءَابَاؤُهُمْ

لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (البقرة: 170)، فالإسلام يرفض الثبات على الوضع

الرديء، لمجرد ألفة القديم، والانصياع لتقليد الآباء حتى وإن كانت أفكارهم غير قويمة ولا

سليمة، إنما يريد للناس أن يفكروا ويفقهوا ويعقلوا، قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ

لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل: 44)، فقد أمد الله تعالى الإنسان بقدرات

عقلية تستطيع التمييز والمفاضلة والاختيار بين البدائل، لذلك لا يجوز تعطيلها⁽²⁾.

لقد اتجه الإسلام إلى ما بالنفوس قبل أن يتجه إلى ما بالواقع، فغيّر الذهنية أولاً فنقلها

من ذهنية سلبية إلى ذهنية إيجابية، فالنفس الإنسانية هي محور نشاط رسالات الأنبياء⁽³⁾.

ولعل أصدق تعبير عن هذا التغيير الذي طرأ على ما بهذه النفوس ما روي من أن جعفر بن

أبي طالب وصف للنجاشي عندما سأله عن حالهم بقوله: "أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية،

نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، يأكل القوي منا

الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً نعرف نسبه وصدقه، وأمانته وعفافه،

فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد وآبائنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا

بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء

ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله

وحده، لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام⁽⁴⁾.

هذا التغيير هو كسر للنمطية السلبية المعاشة والذي يعني مواجهة منحنيات، ومطبات،

وعوائق وعثرات، والتي لا بد من تخطيها وتجاوزها وعدم اليأس والتشاؤم، بل لا بد للنفس

(1) انظر: الأسمر، أحمد رجب، فلسفة التربية في الإسلام، ص316.

(2) المرجع نفسه، ص314.

(3) القمودي، سالم، التغيير، ص43.

(4) الصلابي، علي، السيرة النبوية، ج1، ص268.

المسلمة أن تضع في بالها أن الله تعالى معها إن هي عزمت وتوكلت عليه. قال تعالى: ﴿ فَإِذَا
عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (آل عمران: 159)، فالتغيير ليس سهلاً،
ولكنه ليس مستحيلاً⁽¹⁾.

"إن معرفة الذات، وتقديرها واحترامها هو منطلق أساسي في عملية التغيير، وهو
هدف في حد ذاته، ولا يتأتى إلا بالتفكير الصحيح"⁽²⁾، "فالإيجابية لا يمكن أن تتحقق في البناء
الشخصي عندما تتزاحم عليها مشاعر ازدراء للذات، أو إساءة لها، أو تقليل من شأنها، لأن
تلك المشاعر الهازمة للذات، تدمر كافة المعاني الإيجابية للحياة في هذه الذوات المهزوزة"⁽³⁾.
ومعيار تقييم تقدير الإنسان لذاته، يأتي من خلال الظروف الصعبة، والتحديات
المؤلمة، التي تجعله متماسكاً، يتسم بالحلم وضبط النفس، والقوة النفسية العالية، والتفاؤل،
بحيث لا تؤثر تلك الظروف الصعبة، ومواقف الابتلاء، على مفهومه لذاته وارتفاع مستوى
هذا المفهوم⁽⁴⁾.

لا بد أن يثق المسلم بقدراته، وإمكاناته، وطاقاته التي وهبها إياه رب العزة، إذ إن عدم
ثقته بنفسه يجعله متناقلاً عن المبادرة وتعطيه النتائج المتشائمة قبل البداية. ولا شيء أخطر
على المسلم من عدم ثقته بنفسه، ولا شيء يهدم ثقته بنفسه أكثر من جهله لها، وأعظم الجهل
بالنفس هو احتقارها، وأعظم ما يصنع النجاح هو الثقة بالنفس⁽⁵⁾.

إن في داخل النفس البشرية قوة عملاقة، التي تجعل الإنسان غنياً، وآخر مبدعاً،
وتجعل البعض قادة أو علماء... (قوة التغيير) والتي لا بد من النفس أن تثق أنها ستصل إلى
هذه القوة، أن تثق نفسها بأنها ستتغير، فتلجأ إلى الله تعالى لتستمد القوة منه عز وجل. قال

(1) انظر: مصطفى، وفاء، كن عملاقاً واصنع الفرق، بيروت، دار ابن حزم، ط1، 2008، ص87.

(2) انظر: حماد، عزة، التغيير الفعال، الإسكندرية- مصر، دار الدعوة، ط1، 2008، ص22.

(3) سعيد، سعاد جبر، سيكولوجية التغيير في حياة الأفراد والمجتمعات، عمان، جدارا للكتاب العالمي، ط1،
2008، ص144.

(4) المرجع نفسه، ص144.

(5) حماد، عزة، التغيير الفعال، ص39.

تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ (الطلاق: 3) فهو تعالى كافيها، ولا حاجة إلى أن تعتمد على غيره⁽¹⁾.

إنّ عادة السعادة، والتفكير الإيجابي المتفائل، وروح المبادرة تأتي ببساطة بأن يمارس المسلم روح المبادرة، والسعادة، والتفكير الإيجابي مرة بعد مرة، إلى أن تصبح صفة من صفاته لا يستطيع التخلص منها، وبأن يرفض قاصداً سيطرة أيّة فكرة متشائمة حزينة سوداوية مثبتة، ويستبدلها عمداً بالتفاؤل والعزيمة والثقة، فالنظرة الإيجابية سلوك يمكن للمسلم ممارسته في حياته، لأن سعادته، وإحباطه، وتفاؤله، وتشاؤمه، وكثير من مواقفه تعتمد كثيراً على الطريقة التي يراودته، يصنع بها طريقة تفكيره⁽²⁾.

إنّ فالعادة هي فكرة وضعها الإنسان في ذهنه، وربط بها أحاسيسه، وكررها أكثر من مرة حتى أصبح المخ يعتقد أنها جزء من تصرفاته⁽³⁾، وهذا ينطبق تماماً على وضع الأغلبية الساحقة من الأمة الإسلامية من الهموم واليأس والركود اعتقاداً منهم أن هذا الوضع لن يتغير لذلك تعتمد الأغلبية للأسف على الدعاء والركون إليه دون العمل والنشاط والفعالية المغيّرة له. فلماذا لا نغيّر العادات السلبية التي تمركزت وتأصلت فينا - من التشاؤم واليأس والقلق والاضطراب والخمول... بإحلال العادات الإيجابية - من التفاؤل والتفكير الإيجابي، والسعادة، والنشاط والحيوية... مكانها "بالتفكير فيها والتركيز عليها وتسجيلها بمجرد التفكير فيها ثم تكرارها بنفس السلوك والأحاسيس ثم تخزينها بسبب تكرار التسجيل لتصبح الفكرة أقوى فيخزنها العقل بعمق في ملفاته، ومن الصعوبة بعد ذلك أن يتخلص منها الإنسان؛ لأنها أصبحت مخزنة بعمق في ملفات العقل الباطن"⁽⁴⁾.

فالعقل الباطن هو مخزن للمعتقدات، والمشاعر، والذكريات، فوظيفته الأساسية هي اتباع تعليمات العقل الواعي بإثبات أي شيء يعتقد العقل الواعي بأنه صحيح⁽⁵⁾.

(1) أنظر: الكحيل، عبد الدائم، قوة التغيير، على شبكة الإنترنت: www.kaheel7.com.

(2) جمال الدين، جمال، الإنسان الفعال، دمشق، دار الفكر، ط1، 2004، ص144.

(3) الفقي، إبراهيم، قوة التفكير، ص99.

(4) أنظر: محمد، حسين نجيب، برمجة العادات نحو التغيير، على شبكة الإنترنت: www.balagh.com.

(5) أنظر: بيفر، فيراء الحياة الإيجابية، الرياض، مكتبة جرير، ط1، 2004، ص41.

أنتوني، روبرت، ما وراء التفكير الإيجابي، الرياض، مكتبة جرير، ط1، 2005، ص7.

أي إنه يقبل كل فكرة ترد إليه من العقل الواعي أيًا كان نوعها، دون بذل أي جهد في إثبات صحتها أو خطأها، فيقبلها على أنها حقيقة ثابتة. فمثلاً لو قلت عن الطعام الذي تتناوله بأنه فاسد ولكذك ما زلت تأكل منه حتى شبعت، وإذا بك تشعر بمغص شديد وميل للقيء والإسهال! ما الذي حدث؟ تفسير ذلك أنك قذفت في عقلك الباطن فكرة قوية هي فكرة فساد الطعام، فقبلها عقلك الباطن مصداقاً إياها، حيث لا يجد في جعبته ما يميز به بين الصواب والخطأ، فأصدر أوامره لأجهزة الجسم أن تتصرف مع الطعام على أنه فاسد بالفعل، رغم صلاحه⁽¹⁾.

وحتى يكون المسلم إيجابياً في سلوكه وتصرفاته لا بد أن يحكم سيطرته على معتقداته وأفكاره فيوجهها نحو الإيجابية البناءة بحيث يقوم بإحلال الأفكار الإيجابية مكان الأفكار السلبية. فتغيير السلوك الخارجي يبدأ من تغيير الأفكار والمعتقدات الداخلية.

"والمسلم بإرادته القوية وعزمته العالية وتحديه، وبتفكيره الإيجابي المتفائل يصنع النجاح والنشاط، وبمواقفه الإيجابية من الحياة، عندما يؤكد بأن نتيجة أي شيء يعتقد سيحدثه، فإذا توقع الأفضل سيحصل على الأفضل "فمثلاً إذا توقع النجاح سيحصل عليه"، فالأفكار التي تدور في عقله وتؤثر على سلوكه وحياته، تقع كلها تحت سيطرته. وما الأفكار السلبية عن العجز والفشل، والركود، والتشاؤم والتي تقف عائقاً دون النجاح سوى أوهاام أبداع العقل في إخراجها، ويمكنه بتفكير ووعي مقصودين إجبار عقله على التفكير بطريقة مختلفة، بحيث يستبدل تلك الأفكار السيئة أفكاراً إيجابية تؤكد له بأنه سيتغلب على كل المصاعب، وستنجح في تحقيق ما يريد"⁽²⁾.

إنّ التفكير الإيجابي هو مفتاح السعادة. يقول الشيخ علي الطنطاوي: "أنتم جميعاً سعداء لو طلبتم السعادة من أنفسكم لا من حولكم" ويقول أيضاً: "إنّ في النفس الإنسانية لقوى إذا عرفت كيف تستفيدون منها صنعت لكم العجائب"⁽³⁾. "ففي العمل الجاد النافع سعادة، وفي البذل والعطاء والتضحية سعادة، وفي تقديم الخير للمجتمع سعادة، كما يجد المسلم السعادة في

(1) حماد، عزة، التغيير الفعال، ص179، 180.

(2) انظر: جمال الدين، جمال، الإنسان الفعال، ص144، 145، 160.

(3) العريفي، ناديا، الأسرة وبرمجة التفكير الإيجابي لدى الطفل، دم، مطابع التريكي، ط1، 1996، ص168.

الاعتزاز بكرامته، وحبه للناس ومحبتهم له، وفي التحرر من الهلع والقنوط، وفي نبذ التشاؤم واليأس والتردد، يجدها في النشاط والفعالية والحيوية، وفي التغلب على همومه، وفي التخلص من سيطرة الأوهام⁽¹⁾.

كما أنّ التفكير الإيجابي مرآة الصحة، فصحة الجسد تعتمد على كل ما يصدر من أفكار وأحاسيس من الدماغ، فإن كانت تلك الأفكار سلبية، وكانت الأحاسيس مفعمة بالاكئاب والتعاسة أثر ذلك على صحة الجسد. وخير دليل على ذلك ما استنتجه العلماء في العصر الحالي بأنّ معظم الأمراض العضوية أساسها نفسي ومن مسبباتها كل ما يخلج النفس من توتر وانفعال⁽²⁾.

فإيمان المسلم واعتقاده بشيء ما، له قوة هائلة على سلوكه وذلك من خلال حديثه مع نفسه بتفكيره تفكيراً إيجابياً، كما أن إيمان الغير به المتمثل بمديحه وتشجيعه يكون مبعث ثقة بنفسه ومصدر كل خطوة نجاح يخطوها، فموقفه وسلوكه هو نتيجة إيمانه واعتقاده. وصحة الجسد تعتمد على الصحة النفسية والتي هي نتيجة وجود تفكير وأحاسيس إيجابية⁽³⁾.

فما يدور بالعقل يؤثر على كيمياء الجسد، فإذا كنت تعاني من كثرة التوتر والغضب فقد تصاب في وقت ما بقرحة المعدة مثلاً. يقول انتوني روبنز: "تذكر أنه ما إن تؤمن بشيء ما حتى يبدأ ذهنك في العمل بذلك الاتجاه، بحثاً في محيطك عن كل ما يساند هذه القناعات ويؤكد لها مهما كانت طبيعة القناعات"⁽⁴⁾.

إنّ تغيير المجتمع للأفضل، والنهوض به، ورفيه لا يتأتى إلا من خلال توافر سمة الفعالية في النفس. والتي عرقها جودت سعيد بأنها: "قدرة الإنسان على استعمال وسائله الأولية واستخراج أقصى ما يمكن أن يستخرج منها من النتائج. وهي عكس اللافعالية، عندما يكون الإنسان عاجزاً عن استخراج النتائج التي يمكن أن يحصلها من الوسائل المتاحة وهذا هو الكل"⁽⁵⁾.

(1) جمال الدين، جمال، الإنسان الفعال، ص 156، 157.

(2) العريفي، ناديا، الأسرة وبرمجة التفكير الإيجابي لدى الطفل، ص 170.

(3) انظر: المرجع نفسه، ص 171.

(4) حماد، عزة، التغيير الفعال، ص 89، 118.

(5) سعيد، جودت، الإنسان حين يكون كلاً وحين يكون عدلاً، دمشق، مطبعة زيد بن ثابت الأنصاري، ط3،

1984، ص 9.

قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْتَمًا يُوجِّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (النحل: 76).

فكلمة (الكَلّ) لا تدل على اللافعالية فحسب بل تدل على أنه عبء على من يتولاه سواء كان فرداً أو مجتمعاً، وكلمة (العَدْل) في القرآن تقابل مصطلح الفعالية بشكل أدق، لأن الفعالية لا تشترط فيها دائماً النفع، بل قد يكون المرء فعلاً فيما يضر، فأمره بالعدل ذاتي الانبعاث وليس مدفوعاً إليه⁽¹⁾.

إنّ الإنسان السلبي هو من يكون عبئاً على غيره، لا يقدر على شيء، يتصف بالجمود والخمول، فهو لا ينتج أي شيء، وإن بدر منه شيء فلا يكون إلا سلبياً.

فالإنسان الفعّال هو القادر على استخدام الوسائل المتوفرة مهما قل شأنها في صنع شيء له قيمة في الحياة، وهذا مرتبط بالثقافة التي يحملها والفكر الذي يتبناه. فهو المحرك الأول للطاقت والإمكانات التي يحملها⁽²⁾.

وتستطيع أن تعرف صورته على الأرض من خلال تأثيره الإيجابي عليها، فأرض الإنسان الفعّال تتسم بنضارة الحياة بخضرتها وتنسيقها وتربيتها، بعكس الإنسان الكَلّ الذي ترى أرضه مواتاً، لا تنبض بحياة، ولا تشاهد فيها نظاماً، كما لا يُحصَل منها ثمرأ، فالفعالية إلى أي مكان توجّهت تأتي بخير، وإذا دخلت الفعالية في الإنسان فلا تدع شيئاً مما يتصل به إلا وتسري فيه⁽³⁾.

(1) سعيد، جودت، الإنسان حين يكون كلاً وحين يكون عدلاً، ص 6.

(2) باطاهر، ابن عيسى، فاعلية المسلم المعاصر، ط 1، 1997، ص 45.

(3) انظر: سعيد، جودت، الإنسان حين يكون كلاً وحين يكون عدلاً، ص 12.

"قهي قوة في النفس تسوجب الحرص على النفع وتترك الضر. وهذا ما أشار إليه حديث المصطفى صلوات الله عليه وسلامه عليه بقوله: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف)⁽¹⁾. فالإنسان هو القوة العاملة في هذا الوجود، وهو الذي يغيّر الواقع، وهو القوة الإيجابية في الأرض في اللحظة التي يسلم كيانه كله لله تعالى، بل من هذا الإسلام الكامل لله، يستمد الإنسان طاقته الإيجابية كلها في الأرض"⁽²⁾.

إنّ أمل كل مسلم هو الارتقاء بذاته واحترامها، وشعوره بأهميته، والرقى والنهوض بمجتمعه، وتحقيق السعادة والطمأنينة، والأمن بعيداً عن الحزن والقلق والاضطراب...، إنّ أمله هو التمكين لأتمته والنهوض بها وجعلها في المقدمة. وهذا لا يتأتى إلا بتغيير ما بالنفس من سلبية ونظرة سوداوية يائسة للوضع الراهن، إلى إيجابية في الفكر والتفاؤل والذي ينسحب على سلوك المسلم، وتصرفاته، وأقواله، وأفعاله. فما معتقداته وتصوراتهِ وقناعاته إلا أفكار داخلية فكّر بها وكررها حتى أصبحت عادة مستحكمة في نفسه.

يقول ابن الجوزي:

"دافع الخطرة، فإن لم تفعل صارت فكرة، ودافع الفكرة، فإن لم تفعل صارت شهوة، وحارب الشهوة، فإن لم تفعل صارت عزيمة وهمة، فإن تدافعها صارت فعلاً، فإن لم تتداركه بضده صار عادة، فيصعب عليك الانتقال عنها"⁽³⁾.

إنّ:

- إن الإنسان الفعّال العَدْل هو الذي يبذل جهوده لتحسين ظروفه ووسائله، فيحوّل كل طاقة كامنة فيها إلى فعل، وهذا الفعل يكسبه قدرة كامنة جديدة تجعله يستطيع اليوم ما

(1) سبق تخريجه، ص 27.

(2) باطاهر، ابن عيسى، فاعلية المسلم المعاصر، ص 48، 61.

(3) ابن الجوزي، صيد الخاطر، ص .

لم يكن يستطيعه أمس، ويتطور وينمو، فيغدو بركة لنفسه وخيراً لأُمَّته ومجتمعه، وهو من صنف الذين يبنون المجتمعات والحضارة، بجدّهم، وعملهم، وتفاؤلهم ومبادرتهم⁽¹⁾.

- إنّ التفاؤل من المفردات الهامة في سيكولوجية التغيير، لأنه صمّام الأمان لها، في ظل مواجهة المصاعب والمثبطات، وهو يرتبط بحسن الظن بالله تعالى وتأييده، والإيجابية في الحياة. فالتفاؤل روح تسري في الروح، فتجعل الفرد قادراً على مواجهة الحياة وتوظيفها وتحسين الأداء، ومواجهة الصعاب، والناس يتفاوتون في ملكاتهم وقدراته، ولكنّ الفرد ينظر ببشر للحياة، ويرى في العقبات التي تعترضه فرصاً للتحدي، ومسرحاً لاختبار ذاته، وإثبات كفاءتها في مواجهة الملمات⁽²⁾.

- إنّ التغيير يحتاج إلى نفوس حرة متفائلة، تكسر النمطية السلبية، وتنطلق حرة نحو الجدة والإيجابية في الحياة، مقاومة موانع التغيير، مستبشرة في الأفق القادم، وأغصانه العلية، همّة وإنجازاً⁽³⁾.

- إنّ النجاح والوصول إلى القمة يحتاج إلى صبر وجهاد، وتحذّر، وإصرار، وإرادة واعية قوية، فمن يعمل ويجتهد لا بد أن يحقق هدفه وإن لم يحققه فعمله لن يضيع سدى وهباء. قال تعالى: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ (الزلزلة: 7، 8).

- إن المتفائل ومن يحمل رصيذاً كبيراً من الأمل في جعبته ينظر إلى الأعلى، إلى الخطوة القادمة، لا يلتفت أبداً إلى أسفل، إلى الخلف. فتحقيق المجد والنهضة والريادة يحتاج إلى تلك النفس الوثابة المبدعة.

(1) جمال الدين، جمال، الإنسان الفعّال، ص156.

(2) سعيد، سعاد جبر، سيكولوجية التغيير في حياة الأفراد والمجتمعات، ص123، 124.

(3) المرجع نفسه، ص126.

- إن مصدر السعادة هو في القدرة على التأمل والتفكير في إيجابيات الحياة وسلبياتها، ومعرفة رسالتنا، ووضوح أهدافنا، وفي عمنا الدؤوب لتحقيقها متحملين كل المصاعب⁽¹⁾.

- إن الأفكار لها قوة كبيرة وآثار خطيرة، فهي تبني وتهدم، وتحيي وتقتل، وهي التي تجعلنا نعمل ونتكاسل، ونحب ونكره، ونعادي ونصادق...⁽²⁾.

- إن الإنسان الفعّال يستبعد فكرة الفشل من حياته، فهو واثق غالباً من نجاحه، ويؤكد ذلك لنفسه إلى أن يحقق أفضل النتائج، ويترك فكرة توقع الأسوأ والاستعداد له للآخرين، وعندما يتجاهل الأسوأ ولا يذكره، لا يعني بالضرورة أنه غير واقعي في استعداده الدائم، فهو يعمل بكل طاقته وتفاؤله لتحقيق الأفضل، فوقوع الأسوأ لا يحطمه⁽³⁾.

- وهذا ما نلمسه من موقف سحرة فرعون عندما غيروا ما بأنفسهم من فكر باطل منحرف مُضَلّ، فأمنوا بالله تعالى فاستبدلوا ذلك بفكر صحيح سليم قويم يقوم على الحق والهدى والرشاد، يعود عليهم بالطمأنينة وسكون النفس وراحتها، تغيير ظهر فيه مجاهدة أهواء وشهوات النفس.

قال تعالى: ﴿ فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا ءَأَمَّنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٧﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٦٨﴾ قَالَ ءَأَمَّنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَأْذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْمَلُونَ ۚ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خِلْفٍ ۖ وَلَا صَلْبَتِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٦٩﴾ قَالُوا لَا صَبْرَ إِنَّا إِلَىٰ

(1) جمال الدين، جمال، الإنسان الفعّال، ص 162.

(2) المرجع نفسه، ص 169.

(3) المرجع نفسه، ص 177.

رَبَّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥١﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٠﴾ (الشعراء: 45-51).

تغيير جذري، من حال الكفر والعصيان إلى الإيمان والطاعة. تغيير يتسم بالتحدي والإصرار فلم يباليوا بما سيفعله بهم فرعون.

- كما نلمس التغيير الحازم من موقف أهل الكهف الذين غيَّروا ما بأنفسهم من معتقدات باطلة وتصورات لا أصل لها من الصحة، وتفكير ضال منحرف، إلى معتقدات صحيحة سليمة قويمه، تفكير صحيح سليم. موقف الثبات قال تعالى: ﴿لَنْ نَقْصُرَ

عَلَيْكَ تَبَاهُمُ بِالْحَقِّ إِيَّاهُمْ فَتَبَاهُؤُهُمْ وَآمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَرَدَّتْهُمْ هُدًى ﴿١٤﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوا مِنْ دُونِهَا إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا

شَطَطًا ﴿١٣﴾ (الكهف: 13-14).

وتختتم الباحثة بهذه العبارات التالية:

- إنَّ أفضل الانتصارات أن تنتصر على نفسك.
- يمكننا أن نغيِّر حياتنا بأكملها، وأن نغيِّر توجُّه الناس من حولنا ببساطة شديدة إذا غيَّرنا أنفسنا.
- يجد الإنسان هدفه وغرضه في التغيير.
- إنَّ التغيير هو انقوة التي تبقى نهر حياتك متدفقاً؛ فإذا توقف التغيير ركبت مياهه.
- إنَّ سعيك نحو تحقيق هدف ما هو نقطة الانطلاق نحو تحقيق هدف آخر.
- لن تصل إلى هدفك المنشود إذا اكتفيت بمجرد الوقوف، حتى لو كان وقوفك على بداية الدرب الصحيح.
- كلمة مستحيل ليست في قاموسي.

- غير من أفكارك وسوف تتغير الحياة من حولك.
- التغيير هو الدليل الوحيد على أن هناك حياة.
- إذا أردت أن ترى السهول فعليك تسلق الجبال.
- لا يحدث الفشل إلا بالتوقف عن المحاولة، ولا تتبع الهزيمة إلا من داخلنا، فالعائق الوحيد الذي لا يمكن التغلب عليه، ويمكن أن يحول دون الوصول إلى أهدافنا، هو ضعفنا الداخلي.
- ليس هناك من استطاع تحقيق وإنجاز شيء رائع وعظيم إلا أولئك الذين كان لديهم اعتقاد وإيمان راسخ بداخلهم بشيء ما يعتبرونه أهم من الظروف المحيطة بهم.
- ليس معنى النجاح عدم التعثر، وإنما النهوض بعد كل عثرة.
- اليأس هو أكبر نقاط ضعفنا، أما أفضل الطرق المؤكدة للنجاح فهي المحاولة التي تتلو الأخرى⁽¹⁾.

(1) هاينز، سيندي، التغيير من أجل حياة أفضل، الرياض، مكتبة جرير، ط1، 2006، ص12، 14، 16، 18، 19، 23، 43، 45، 92، 97، 162، 155، 187، 208، 246، 285.

الفصل الخامس

الآثار التربوية للأمل ووسائل تحقيقه

- المبحث الأول: الآثار التربوية للأمل وفيه مطلبان:
- المطلب الأول: الآثار التربوية الإيجابية لوجود الأمل.
- المطلب الثاني: الآثار التربوية السلبية لغياب الأمل
- المبحث الثاني: دور وسائل التربية الإسلامية في بعث الأمل وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: دور الأسرة في بعث الأمل
- المطلب الثاني: دور المدرسة في بعث الأمل
- المطلب الثالث: دور المسجد في بعث الأمل.

الفصل الخامس

الآثار التربوية للأمل ووسائل تحقيقه

تبين الباحثة في هذا الفصل الآثار التربوية الإيجابية لوجود الأمل في النفس البشرية، والآثار التربوية السلبية لغياب الأمل في تلك النفس، بالإضافة إلى بيان دور كل من الأسرة والمدرسة والمسجد في بعث الأمل وتكوين الشخصية الإيجابية المتفائلة والفعالة في نهضة المجتمع.

جاء هذا الفصل في مبحثين هما:

المبحث الأول: الآثار التربوية للأمل وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الآثار التربوية الإيجابية لوجود الأمل.

المطلب الثاني: الآثار التربوية السلبية لغياب الأمل

المبحث الثاني: دور وسائل التربية الإسلامية في بعث الأمل وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: دور الأسرة في بعث الأمل

المطلب الثاني: دور المدرسة في بعث الأمل

المطلب الثالث: دور المسجد في بعث الأمل.

المبحث الأول الآثار التربوية للأمل

إنّ لوجود الأمل في النفس البشرية آثاراً تربوية إيجابية، ويترك غيابه آثاراً تربوية سلبية وهذا ما تبينه الباحثة في هذا المبحث.

المطلب الأول: الآثار التربوية الإيجابية لوجود الأمل

هذه الآثار التربوية الإيجابية تتمثل بالآتي بيانه:

1. يثبت في النفس النشاط والحيوية؛ فالأمل بمثابة دافع وحافز لها على العمل والحركة، والنهوض والتقدم في المجالات الحياتية كلها، فصاحب الأمل إنسان فعّال، متحرك على الدوام، نشيط يقوم بواجباته.

2. إمداد النفس بالعزيمة والإصرار لبلوغ الهدف والغاية، وبالتحدي في مواجهة الصعاب والمشكلات والتغلب عليها بشتى الطرق؛ فهناك أمل في إيجاد حل لها، "فالإنسان يواجه في حياته مواقف ومعوقات متعددة تتطلب منه اتخاذ قرارات جازمة، وصاحب الأمل يمتلك إرادة قوية وعزيمة عالية تمكنه من تجاوز تلك المواقف والمعوقات، ليصل في النهاية إلى هدفه وغايته، كما أنه يستطيع إيجاد حلول متعددة للمشكلات التي تواجهه؛ فهو لديه عدة طرق أو مسارات لحل مشكلة ما، لأنه لا يعجز عن إيجاد حل لها"⁽¹⁾.

3. توجيه النفس نحو التفكير الإيجابي، فلا تفكر إلا بما يعود عليها بالخير والنفعة والفائدة، فكل أفكارها تدور في دائرة الإيجابية. فمثلاً لا تفكر إلا في النجاح، فهي لا تستنزف

(1) الخضر، شادي عبد الله، العزيمة والإصرار طريق النجاح، على شبكة الإنترنت: 2008/7/26.

طاقاتها فيما هو سلبي، وصاحب الأمل لا يفكر إلا بما هو إيجابي؛ إرادته قوية، فهو إنسان واسع الحيلة؛ إذ إن لديه عدة طرق لحل مشكلة ما، فهو لا يعجز عن ذلك.

4. تزويد الإنسان بصحة نفسية جيدة؛ إذ تسكن نفسه الطمأنينة، والهدى والاستقرار، وراحة البال - وهذا منبعه الإيمان بالله تعالى - وبالتالي ينعكس إيجاباً على صحته البدنية، "فما القلق والإرهاق النفسي، والشعور بالإحباط والاكتئاب والتشاؤم إلا نتيجة ضعف الإيمان بالله تعالى؛ فمن معايير الصحة النفسية الجيدة الإيمان بالله تعالى الذي يعتبر العمود الفقري في بناء الجانب النفسي السوي للفرد، بالإضافة إلى تقبل الذات وتقبل الواقع، فالشخصية السوية هي التي توازن في نظرتها لإمكاناتها قوة أو ضعفاً، بحيث لا تبالغ في إمكاناتها ولا تقلل منها، وهي التي تتعامل مع الواقع الذي تواجهه على حقيقته، فلا تتجاوزها بما هو خارج عن الحدود ولا تتهرب منه" (1).

5. تحقيق السعادة والسرور على النفس؛ من خلال تحقيقها لأهدافها وغاياتها، في تقديم يد العون والمساعدة للغير، وفي النهوض بمجتمعها ورفيقه، وفي تكاتفها وتعاونها مع الآخرين، فالنفس الإيجابية هي التي تسعى جاهدة لإدخال السعادة والسرور في الآخرين؛ فهي لا تتوان لحظة عن تقديم يد العون لمن يحتاج.

6. تربية النفس على النظر إلى الأمام، إلى القمة، فتسعى بكل ما أوتيت من طاقات، وإمكانات، للنهوض والارتقاء بمجتمعها وأمتها، فهي لا تنظر إلى الخلف، إلى الماضي فتتحسر، بل توجه طاقتها نحو ما هو إيجابي مثمر بناءً.

7. إنعكاس الأمل بصورة إيجابية على علاقة صاحبه بالناس ونظرته إليهم، فهو يتعامل مع الآخرين بانفتاح وثقة، وحسن ظن، مما يشيع جواً من المودة والتقبل والتفاعل الحيوي المثمر. فمن كانت إرادته قوية، وهمة عالية وعزيمته ماضية (وهذا هو

(1) السادة، جعفر علي مكي، الصحة النفسية بين الفرد والمجتمع، على شبكة الإنترنت: 2007/10/15.

www.alwahamag.com

صاحب الأمل) كان ذلك أدعى إلى التقرب منه والسلوك على نهجه؛ فالنفس تتوق دائماً إلى قدوة حسنة تعينها على مشقات الحياة.

المطلب الثاني: الآثار التربوية السلبية لغياب الأمل

هذه الآثار التربوية السلبية تتمثل بالآتي بيانه:

1. إشاعة روح الخمول والكسل والتبعية والعجز في النفس، فتكون عباً على غيرها، لا تنتج ولا تعمل، فهي لا تعود بالخير على نفسها ولا على مجتمعها، فالنفس التي يغيب عنها الأمل، هي نفس متشائمة محبطة، ضعيفة ليس لها بصمة في الحياة، غير فعّالة، فاليأس قد سكن فيها وختّم عليها.
2. إضعاف عزيمة النفس وإصرارها، فلا تترنو لتحقيق أهدافها وغاياتها، تجدها بطيئة ساكنة لا تتحدى الصعاب وتستسلم للمشكلات، فهي تقول في داخلها بأنه لا يوجد حل لها، فاليأس قد استحوذ عليها، وجعل منها نفساً عاجزة ضعيفة تركز إلى السهل والكسل.
3. غياب الأمل وتغلب اليأس يدفعها إلى التفكير السلبي، فأفكارها تتجلى في دائرة السلبية، والانهازامية، والتشاؤمية، فلا تفكر إلا بما هو سيء ومحبط، ذلك التفكير الذي لا يحدث تغييراً جيداً في النفس أولاً وفي الغير ثانياً، بل إنه يجعل منها نفساً عاجزة محبطة لا تحدث تأثيراً إيجابياً بل سلبياً عليها وعلى غيرها.
4. تملك اليأس والتشاؤم في النفس من شأنه أن يؤثر سلباً على صحتها النفسية، فتجدها قلقة، مضطربة، متوترة... وهذا ينسحب سلباً أيضاً على صحتها البدنية، ومن ثم لا تستطيع أن تكون فعالة ناهضة بمجتمعها، فاليأس قد سكن فيها، وأصبح حائلاً دون حصولها على صحة نفسية سوية.
5. شعورها باليأس والتشاؤم وتملكهما في النفس يحقق لها التعاسة، فالسعادة ليس لها وجود في نفس غاب عنها الأمل فتجدها محجمة عن أي عمل، خانعة مستسلمة لسان حالها يقول ما الفائدة من العمل أو المحاولة إن كانت النتيجة سيئة، لا تنفع؟

6. غياب الأمل يجعلها متفوقة في دائرة الماضي المحبط السيئ، فلا تنظر ولا تفكر إلا بما هو سلبي مُحبط متشائم، فنظرتها دائماً في دائرة السلبية، فهي لا تنظر بعين فاحصة آملة إلى الحاضر فتستفيد منه، وتحاول قدر الإمكان تجاوز العقبات التي قد تواجهها مستقبلاً، وهي تستنزف طاقتها في التفكير السلبي الذي لا يعود بالخير مطلقاً عليها وعلى غيرها.

المبحث الثاني

دور وسائط التربية الإسلامية في بعث الأمل

تلعب كل من الأسرة والمدرسة والمسجد دوراً هاماً وحيوياً - كإحدى وسائط التربية الإسلامية - في بعث الأمل في النفوس وخاصة النشء الذين هم عماد الأمة، ووسيلتها في نهضتها وتقدمها.

إن الأمل سمة بارزة في الشخصية الإيجابية، تلك البانية، والناهضة بمجتمعها، التي ترنو إلى العلياء، إلى المجد، إلى القمة، التي لا تستسلم ولا تخنع ولا ترضى بالدون. تلك الشخصية التي تفرزها التربية الإسلامية وتسعى إلى توطيدها في الواقع. وهذا هو دور كل من وسائط التربية الإسلامية المتمثلة بالأسرة، والمدرسة والمسجد في هذه الدراسة.

المطلب الأول: دور الأسرة في بعث الأمل:

تقوم الأسرة بدور هام في بث بذور الأمل في نفوس أولادها؛ فهي المحضن الأول الذي ينشأ فيه الطفل، ومنه يتعلم المبادئ، والقيم، والمعتقدات، والسلوكيات، فهي النواة الأولى للمجتمع، وبصلاحها يصلح المجتمع والعكس صحيح⁽¹⁾، فالمجتمع الناهض، والراقي، والمتطور، والمتقدم الذي يتسم بالحيوية والنشاط والفعالية - وهي سمة المجتمع الأمل المتفائل الذي لا يرضى بالدونية، إنما يضع نصب عينيه القمة - يرتكز في ذلك كله على الأسرة، فإن كانت صالحة، نشيطة، حيوية، متفائلة، نظرتها إيجابية في تعاملها مع مجريات الأحداث، مستبشرة بالخيرة، أفرزت مجتمعاً سماته كذلك.

(1) الحفناوي، حسن محمد، الأسرة المسلمة وتحديات العصر، أبو ظبي، المجمع الثقافي، ط1، 2001، ص137.

ويتضح دور الأسرة في بعث روح الأمل في أبنائها بالآتي:

أولاً: وأولى بذور الأمل التي تزرعها الأسرة في نفوس أولادها هي تربية الإيمان في نفوسهم، إذ يقع على الوالدين تعميق الإيمان عندهم في المراحل الأولى بحيث يشبوا عليه، فغاية الإيمان بالله تعالى هي تربية الحياة الروحية للإنسان، وإيقاظ ضميره الحي، والحصول على السعادة النفسية، والتخلص من الأدواء والأسقام والشرور، فللضمير دور مرشد لسلوك الإنسان في الحياة الدنيا. والإيمان بالله يطلق النفس إلى آفاق واسعة، ويفتح أمامها آمالاً رحبة، وهو وسيلة تربوية للتغلب على مصاعب الحياة والتخلص من آلامها، فهو يلجأ إلى الله ويحظى بالملأ الآمن، وبالتالي تتسامى روحه وتعلو في ارتقاء متواصل⁽¹⁾.

فالإيمان هو مصدر الأمل، ومقوم أساس يرتكز عليه، وكلما كانت صلة النشء متينة قوية بالله عز وجل كان أمله ورجاؤه به أكبر، فهو محسن الظن بالله، متوكل عليه. وقد بينت الباحثة ذلك في الفصل الأول.

وزرع بذرة الأمل الأولى في نفوس النشء يكسون "بالتفهم والإقناع، والتحبيب والترغيب، والتدريب والتعويد والتكرار نحو العاطفة الدينية من خلال إيجاد تمارين وعادات تدور حول هذه العقيدة، كالتحدث إليهم عن هذا الكون من حيث جماله البديع، تنظيمه الرائع، ورواية القصص والمواعظ المؤثرة"⁽²⁾، وقبل ذلك لا بد أن يكون الوالدان قدوة حسنة في ترسيخ الإيمان لديهما.

(1) أنظر: محمد، يوسف خطار، التربية الإيمانية والنفسية للأولاد في ضوء علم النفس والشريعة الإسلامية،

دبي، دار الفقيه، ط1، 2003، ص182، 183.

(2) المرجع نفسه، ص186، 187.

ثانياً: ثاني بذور الأمل التي تزرعها الأسرة في نفوس أولادها هي بالتربية النفسية السليمة والمتمثلة بالعلاقة المتينة التي تربط بين أفراد الأسرة من التآلف، والتعاون، والوئام، والانسجام، والحب، والدفء العاطفي، واحترام الذات وتقديرها، والحنان، والاهتمام، والخلق الفاضل، والقيم العالية⁽¹⁾.

فالصحة النفسية تلعب دوراً كبيراً في إيجاد نشء سوي، متزن، قوي الشخصية، واثق بنفسه وبقدراته. وهذه سمات الشخصية الإيجابية المتفائلة التي تلعب دوراً هاماً وحيوياً في المجتمع.

"فالأسرة التي تتسم ظروفها بالاستقرار والطمأنينة، والود، والتفاهم، تؤثر بشكل إيجابي في شخصية النشء، فالأسرة المستقرة تعتبر بيئة نفسية صحية للنمو، تؤدي إلى سعادة النشء وصحته النفسية الجيدة"⁽²⁾.

ثالثاً: ثالث بذور الأمل التي تزرعها الأسرة في نفوس أولادها هي القدوة الحسنة، بأن يتسم الوالدان بالأمل والتفاؤل، فتفكيرهما إيجابي، ومن ثم ينسحب على سلوكياتهما وتصرفاتهما. فلا يقول إلا ما يبعث على الأمل في نفوس أطفالهما، ومن المعلوم أن الطفل يحاكي ويقلد والديه، "فالقدوة تقدم الأسلوب العملي الواقعي للحياة وليس مجرد أقوال وعظات"⁽³⁾، فوجود القدوة الحسنة لسمة الأمل والتفاؤل المائتة في شخصية الوالدين هي مصدر باعث عليه في نفوس الأطفال.

رابعاً: رابع بذور الأمل التي تزرعها الأسرة في نفوس أولادها هي في توجيههم للتأمل في الكون، إذ إن توجيه أنظارهم إلى ما أبدعه ونظمه الخالق عز وجل في صنعه، إلى ذلك الجمال الخلاق في السماء والأرض، في المخلوقات المتنوعة، كل ذلك من شأنه أن

(1) أنظر: الجقندي، عبد السلام، التربية المتكاملة للطفل المسلم في البيت والمدرسة، دمشق، دار قتيبة، ط1، 2003، ص377، 378.

(2) أنظر: ليل، محمد بيومي، سيكولوجية العلاقات الأسرية، القاهرة، دار قباء، ط1، 2000، ص17، 18.

(3) الهاشمي، عبد الحميد، الرسول العربي المربي، دمشق، دار الثقافة للجميع، ط1، 1981، ص443.

يبعث في النفس الراحة والسرور والسكون، والأمل والتفاؤل؛ فهو يغذي الروح وينعش النفس، ويعطيها طاقة خلاقية في التوجه نحو النشاط والعمل، والحركة والحيوية، والفعالية؛ فالنفس المستقرة الهادئة مطمئنة تفكر بدقة وإيجابية نحو مجريات الأمور، عندما تدرك أن هذا الإبداع والجمال الإلهي ليس عبثاً، إنما ليدفعها نحو عملها وتحقيق غاياتها بنفس متفائلة، فالجمال والإبداع الإلهي مما يشرح الصدر، ويجلي الهم من النفس، فلم يخلقه الله عبثاً إنما لصالح الإنسان ولإضفاء السعادة على قلبه⁽¹⁾.

يقول جون روسكين أستاذ الفنون الجميلة بجامعة أكسفورد:

"الإنسان الذي يتأمل الجمال في الطبيعة وفي الفن إنما يتحد بالتعاطف مع الجمال الذي صنعه الله، والجمال الذي صنعه الفنان، وهذا الاتحاد يسبغ على نفس الإنسان حُلة من السمو الخلقى، فيشعر المرء بإتقان نبيل، وسمو رفيع، ويعيش في سعادة الجمال"⁽²⁾.

خامساً: خامس بذور الأمل هي توجيه الوالدين أطفالهم نحو العمل الخيري، فعندما يقدم الطفل المعونة والمساعدة للغير يجعله يشعر بالسعادة والسرور والرضى عن نفسه؛ فالسعادة "ذلك الشعور بالغبطة، والطمأنينة، والأريحية، والبهجة، والذي لا يأتي إلا نتيجة الإحساس الدائم بخيرية الذات"⁽³⁾، تبعث الأمل في نفوس النشء عندما يدركون تحقيق أهدافهم وغاياتهم، وصلتهم بغيرهم في تقديم المساعدة لهم، وبث الأمل في نفوسهم، واحترام ذاتهم، وان الطاقة الموجودة في نفوسهم قد خرجت في دائرة الإيجابية، أي فيما يعود بالخير عليهم وعلى مجتمعهم، وأن الله تعالى سيجازيهم على فعلهم الخير بالثواب سواء عاجلاً أم آجلاً.

سادساً: سادس بذور الأمل التي تزرعها الأسرة في نفوس أطفالها هي باطلاعهم على الشخصيات التاريخية الإيجابية التي صنعت الحضارة وقادت الأمة ووصلت بها إلى

(1) انظر: العك، خالد، بناء الأسرة المسلمة في ضوء القرآن والسنة، بيروت، دار المعرفة، ط5، 2005، ص55.

(2) المرجع نفسه، ص56.

(3) يالجن، مقداد، بناء البيت السعيد في ضوء الإسلام، الرياض، دار المريخ، ط1، 1987، ص12.

العلياء، بقراءة سيرها (من أنبياء، وعلماء، وحكماء، وقادة)، فقراءة النشء مع توجيهه
الوالدين لهم من خلال الحوار والمناقشة فيما بينهم من شأنه أن يبعث الأمل في نفوسهم
فيحذون حذوهم ويسيروا على نهجهم.

المطلب الثاني: دور المدرسة في بعث الأمل:

تمثل المدرسة بيئة تربوية ثانية بعد الأسرة⁽¹⁾، يقع على عاتقها تكوين نشء يتسم
بالإيجابية في تفكيره، وسلوكياته، وبنظراته المتفائلة في الحياة، ويتحديه وإصراره على بلوغ
أهدافه وغاياته، وبقدرته على مواجهة المشكلات والصعاب وتخطيها، وبأمله ورجائه بالله عز
وجل في نهضته لمجتمعه وبقيادته لأمته ووصولها إلى القمة.

يتمثل دور المدرسة في تكوين الشخصية الإيجابية الفعالة بالآتي بيانه:

أولاً: دور مدير المدرسة:

"إنّ طبيعة عمل الإدارة المدرسية تفرض على المدير أن يقوم بدور قيادي يتمثل في
تحفيز القدرات والعناصر البشرية الموجودة داخل المدرسة، وقيادتها نحو الوصول إلى تحقيق
الأهداف، والقائد التربوي يتوقع منه أن يكون داعية للتغيير والتجديد، وأن يهيئ الظروف
والمناخ الملائم لهذه الأمور بما يؤدي إلى تحقيق الأهداف المنشودة"⁽²⁾.
والشخصية الإيجابية هي التي تسعى إلى التغيير نحو الأفضل، والتجديد والتطوير،
والنهوض بمجتمعها، وهذا ما ينبغي أن يتوافر في شخصية مدير المدرسة الفعّال، فهو قدوة
لمرؤوسيه، إذ إنّ تصرفاته لها التأثير الأكبر عليهم.

يتضح دوره من خلال سمات ومهارات لا بد من توافرها فيها:

1. قوة الشخصية:

وهي من السمات التي ينبغي توافرها في مدير المدرسة، وتأتي أهميتها من كون مدير
المدرسة الأقدر على التأثير في مرؤوسيه⁽³⁾، والشخصية حين تتسم بالقوة فإن لها بصمة
وتأثيراً في الآخرين.

(1) الجقندي، عبد السلام، التربية المتكاملة للطفل المسلم في البيت والمدرسة، ص 187.

(2) ربيع، هادي مشعان، المدير المدرسي الناجح، عمان، مكتبة المجتمع العربي، ط1، 2006، ص 113.

(3) المرجع نفسه، ص 85.

2. النشاط والحيوية:

فمتى كان مدير المدرسة حيويًا ونشطاً في تأدية مهامه ومسؤولياته، كان ذلك حافزاً ودافعاً لمروسيه نحو تحقيق الأهداف المطلوبة، والشخصية الفعالة تتسم بنشاطها وحيويتها، فهي لا تقعد ولا تركز إلى غيرها في تأدية واجباتها ومسؤولياتها.

3. الصبر والمثابرة:

والشخصية القيادية الإيجابية تتسم بالصبر والمثابرة وعدم اليأس عند مواجهتها للمشكلات والصعاب.

4. القدرة على الإثارة والإقناع:

والقائد التربوي الجيد هو من يستطيع أن يثير الحماس في مروسيه ويقنعهم لتأييد خطته وأنشطته وتوجهاته⁽¹⁾، فالشخصية الطموحة الأملّة تحاول بقدر الإمكان إقناع غيرها لتحقيق أهدافها.

5. الثقة بالنفس:

وشخصية المدير الإيجابية هي شخصية تثق بقدراتها وإمكاناتها في تحقيق أهدافها وآمالها.

6. الاتصاف بروح المبادرة:

بحيث يكون مصدراً لكل الأفكار الجيدة والمفيدة.

7. القدرة على تحمل المسؤولية:

والشخصية الإيجابية تتميز بتحملها للمسؤولية في اتخاذ القرارات وتنفيذ المهمات بحيث تستمر إلى النهاية، لا تلقي اللوم على الآخرين ولا تتهرب من الأعباء الملقاة على عاتقها⁽²⁾.

(1) ربيع، هادي مشعان، المدير المدرسي الناجح، ص 88.

(2) المرجع نفسه، ص 89، 95.

8. الإيمان بالهدف وبإمكانية تحقيقه:

فالإيمان بالشيء مسألة في غاية الأهمية، وركن أساسي من أركان النجاح، ومتى كان المدير مؤمناً إيماناً كاملاً بأهداف المدرسة، وبقدرته على تحقيقها أثر ذلك بالإيجاب على العملية التربوية⁽¹⁾.

إن توافر هذه السمات في شخصية المدير تلعب دوراً هاماً وحيوياً في التأثير على من يتعامل معه، فترقى بمجتمعها وتنهض به نحو القمة.

وبالنسبة للمهارات التي ينبغي توافرها في شخصية المدير فهي كالتالي:

1. مهارات إنسانية

وتعني قدرة المدير على التعامل مع مرؤوسيه، وتنسيق جهودهم، وإيجاد روح العمل الجماعي بينهم⁽²⁾، وجعلهم ينهضون بالمسؤوليات الملقاة على عاتقهم بروح يسودها التعاون والتكامل والانسجام⁽³⁾.

وهذه المهارة تتصل بالفهم الجيد للذات وللآخرين، بحيث يتواجد الفهم المتبادل بينه وبينهم، ومعرفة لآرائهم، وميولهم واتجاهاتهم، وحاجاتهم النفسية والاجتماعية، كما تتصل بقدرته على التعامل معهم بحيث يحببهم في عملهم وفي المدرسة والإدارة⁽⁴⁾. وتتطلب هذه المهارة من مدير المدرسة ما يلي⁽⁵⁾:

1. القدرة على بناء علاقات طيبة مع مرؤوسيه

2. تقبله لاقتراحات مرؤوسيه.

(1) ربيع، هادي مشعان، المدير المدرسي الناجح، ص 95.

(2) المرجع نفسه، ص 95.

(3) العميرة، محمد حسن، مبادئ الإدارة المدرسية، عمان، دار المسيرة، ط1، 1999، ص 100.

(4) أنظر: المرجع نفسه، ص 89.

أحمد، أحمد إبراهيم، الإدارة المدرسية في مطلع القرن الحادي والعشرين، القاهرة، دار الفكر العربي، ط1، 2003، ص 46.

(5) أنظر: - العميرة، محمد حسن، مبادئ الإدارة المدرسية، ص 100.

أحمد، أحمد إبراهيم، المرجع نفسه، ص 46.

العجمي، محمد حسنين، الإدارة المدرسية، القاهرة، دار الفكر العربي، ط1، 2000، ص 74.

3. إفساح المجال لمروسيه للحوار المتبادل، وإيجاد روح الثقة والتعاون بينهم.

4. إشعارهم بالاطمئنان، وتلبية طلباتهم، وإشباع حاجاتهم.

إنّ بناء علاقات إنسانية طيبة مع مروسيه لها أكبر الأثر في بث روح الأمل والتفاؤل

والعطاء والنهوض بمجتمع المدرسة.

2. مهارات تصويرية:

وتعني قدرته على تصوّر وتخيّل واستحضار فكرة أو صورة ذهنية⁽¹⁾، والعزم على

تنفيذها في أرض الواقع.

ومتى كانت هذه التصورات في دائرة الإيجابية انعكست إيجاباً على العملية التربوية،

بالنهوض والارتقاء بها، والتأثير على نمو الموظفين مهنيًا، وزيادة إنتاجيتهم بشكل خاص⁽²⁾.

فابتكاره للأفكار والإحساس بالمشكلات وإيجاد الحلول المناسبة لها، هي من سمات

الشخصية الفعالة الإيجابية المؤثرة في غيرها والناهضة بمجتمعها.

كما يتمثل دور مدير المدرسة بحكم منصبه في عمل جلسات أو لقاءات علمية

تحضرها شخصيات إيجابية فعالة لها دورها البارز في النهوض بالمجتمع، فوجودها يؤثر في

الطلبة والمعلمين والمدير كذلك بالسير على منهجها والافتداء بها.

ثانياً: دور المعلم:

إن المعلم هو حجر الأساس في العملية التعليمية، وهو صاحب رسالة يستشعر

عظمتها، ويؤمن بأهميتها، ولا يرضى على أدائها بكل غالٍ أو رخيص، ويستصغر كل عقبة

دون بلوغ غايته من أداء رسالته⁽³⁾، وهو القدوة التي يراها الطلبة ماثلة أمامهم، فما يقوله وما

يفعله وما يصدر عنه من سلوكيات وتصرفات تؤثر عليهم.

(1) إبراهيم، أنيس، المعجم الوسيط، ج2، ص528.

(2) العجمي، محمد حسنين، الإدارة المدرسية، ص73، 74.

(3) راشد، علي، خصائص المعلم العصري وأدواره، القاهرة، دار الفكر العربي، ط1، 2002، ص16.

فإن كان إيجابياً في تفكيره، وأقواله، وأفعاله، متفائلاً ومستبشراً بالخير، يرنو إلى تكوين نشء صالح، فعّال، ناهض بمجتمعه، يسعى إلى تحقيق أهدافه وآماله، انعكس ذلك على الطلبة بشكل إيجابي.

ويتمثل دور المعلم في تكوين الشخصية الإيجابية وبعث الأمل في نفوس الطلبة من خلال ما يلي:

1. التوقعات الإيجابية:

"فالمعلم الناجح الفعّال يمتلك شخصية إيجابية لا تتوقع إلا ما هو إيجابي فيما يخص نجاح طلبة، وتغييرهم نحو الأفضل، ومن أنهم بناء المستقبل. فيقول لهم مثلاً:

- أعتقد أنّ كل طالب قادر على التعلم.

- أنا على يقين من أنكم ستجتازون الامتحان بنجاح وتفوق.

- أنا واثق من أنك ستجتاز هذه المشكلة"⁽¹⁾.

هذه التوقعات من شأنها أن تحدث أثراً إيجابياً فعّالاً في نفوس الطلبة، فهي تؤثر فيهم وتبعث الأمل في نفوسهم وتستنهض همّهم.

"إنّ الإيمان بالمبدأ التفاضلي هو أن تتوقع النجاح لكل من تقوم بتعليمه دون استثناء ولكل ما تفعله، إن وضعت النجاح نصب عينيك فستكون يقظاً وواعياً لاقتناص الفرص التي ستساعدك في تحقيق النجاح"⁽²⁾.

وقد يسأل سائل: ما هو السر في بلوغ النجاح من خلال التوقعات الإيجابية؟

(1) أنظر: وونغ، هاري وونغ، روزميري، كيف تكون مدرساً فاعلاً، ترجمة: ميسون يونس عبد الله، العين، دار الكتاب العربي، ط1، 2003، ص50.

(2) وونغ، هاري وونغ، روزميري، كيف تكون مدرساً فاعلاً، ص49، 50.

ويكمن السر في أن الإنسان يبذل الجهود لتحقيق ذلك النجاح، فهو يفكر، ويتحرك، ويستنزف طاقاته وقدراته في ذلك، فالتوقع هو ما يؤمن به الإنسان بإمكانية حدوثه أو عدم إمكانية حدوثه⁽¹⁾.

2. التعزيز اللفظي والمعنوي:

ويتمثل بعبارات التشجيع والتحفيز والثناء، والتصرفات الشخصية التشجيعية كالابتسام، والإصغاء، والقبول⁽²⁾.

هذه السلوكيات من شأنها أن ترفع من معنويات الطالب، وتستثير فيه التفكير الإيجابي البناء، والمحاولة في الوصول إلى هدفه وغايته، وتربي فيه العزيمة والهمة العالية، والإرادة القوية المتينة.

"فالتشجيع عبارة عن رسالة توضح للآخرين أن الشخص الذي حظي بالتشجيع هو شخص مسؤول وكفاء وقدير"⁽³⁾.

وفي هذا الصدد يقول ابن جماعة:

"فمن رآه مصيباً في الجواب، ولم يخف عليه شدة الإعجاب، شكره وأثنى عليه بين أصحابه ليعتبه وإياهم على الاجتهاد في طلب الازدياد"⁽⁴⁾.

فالمعلم الإيجابي لا يقول إلا ما يشجع الطلاب، ويحفزهم، ويبعث الأمل في نفوسهم، ويرفع من معنوياتهم.

(1) وونغ، هاري وونغ، روزميري، كيف تكون مدرساً فاعلاً، ص 49، 50.

(2) المرجع نفسه، ص 48، 85.

(3) المرجع نفسه، ص 85.

(4) ابن جماعة، بدر الدين، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1934، ص 45.

كقوله أيضاً:

- إن حاولتم فعل هذا، فأنتم رائعون.

- أعرف أنكم ستكونون الأفضل يوماً ما.

- يمكنكم أن تفعلوا أفضل من هذا، دعوني أوضح لكم كيف⁽¹⁾.

إنّ نظرية التعلم التحفيزي تفترض بأن لكل الناس إمكانيات وطاقات بشرية كامنة لا حدود لها ولكنها بحاجة إلى من يحفزها لتظهر وتتطور فكرياً وبدنياً واجتماعياً. أما نظرية التوقع فتفترض امتلاك البشر لغريزة النجاح التي تحفزهم على اكتشاف واستغلال أقصى طاقاتهم الكامنة⁽²⁾.

3. تقدير الذات واحترامها لدى الطالب:

إنّ المعلم الباني والباعث للأمل يقدر الذات ويحترمها عند الطلبة، من خلال بناء علاقات إنسانية معهم متمثلة بالألفة، والعطف، والمحبة، والتعاون، والاهتمام، والرفق، واللفظ، ورحابة الصدر⁽³⁾، وغيرها من السمات التي تعضد العلاقة بين المعلم وطلابه وتؤثر بشكل إيجابي عليهم، بحيث يكونوا عنصراً فعالاً في بناء المجتمع والنهوض به.

فالعلاقة بين المعلم والطلبة ينبغي أن تتسم بالإيجابية والمساندة⁽⁴⁾، وهذا ما تسعى إليه

التربية الإسلامية.

(1) وونغ، هاري وونغ، روزبري، كيف تكون مدرساً فاعلاً، ص 91.

(2) المرجع نفسه، ص 91.

(3) أنظر: جيتس، آرثر وآخرون، علم النفس التربوي (الصحة النفسية في التعلم)، ترجمة: إبراهيم حافظ وآخران، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط2، 1956، ص 189.

الحافظ، نبيل عبد الفتاح وسليمان، عبد الرحمن سيد، علم النفس الاجتماعي، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، ط1، 2000، ص 275.

(4) جابر، جابر عبد الحميد، مدرس القرن الحادي والعشرين الفعال، القاهرة، دار الفكر العربي، ط1، 2000، ص 2.

وقد تحدث ابن جماعة عن ذلك بقوله:

"وينبغي أن يتودد لحاضريهم، ويرحب بالطلبة إذا لقيهم، وعند إقبالهم عليه، ويكرمهم إذا جلسوا إليه، ويؤنسهم بسؤاله عن أحوالهم، ويعاملهم بطلاقة الوجه، وظهور البشر، وحسن المودة؛ لأن ذلك أشرح للصدر، وأطلق لوجهه، وأبسط لسؤاله، ويزيد في ذلك لمن يُرجى فلاحه، ويظهر صلاحه"⁽¹⁾.

كما يدخل في تقدير الذات واحترامها تقبل المعلم لأفكار وآراء الطلبة؛ إذ إن فيه إثراء لعملية التفكير، ورفعاً للمعنويات، والوصول إلى الغاية أو الهدف المنشود⁽²⁾.
وفي ذلك يقول العموي:

"وينبغي على المعلم أن يوقر طلبته ويعظمهم، ويحسن خلقه معهم"⁽³⁾.

ثالثاً: البيئة المدرسية:

تلعب البيئة المدرسية دوراً فعالاً وحيوياً في تكوين الشخصية الإيجابية المتفائلة الناهضة بمجتمعها والتي لها بصمة في هذه الحياة، "هذه البيئة التي تتضمن البيئة الفكرية بكل ما فيها من علم، وثقافة، ومستحدثات مادية، كما تتضمن البيئة النفسية التي يسودها الحرية، والاحترام، والتقدير، والمحبة، كما تتضمن البيئة الروحية بكل ما فيها من معتقدات، وقيم، ومثل عليا ترقى بالإنسان"⁽⁴⁾.

(1) ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، مرجع سابق، ص 60، 65.

(2) أنظر: اللقاني، أحمد حسين ومحمد، فارعة حسن، مناهج التعليم بين الواقع والمستقبل، القاهرة، عالم الكتب، ط 1، 2001، ص 251.

(3) زيعور، شفيق محمد، الفكر التربوي عند العموي، بيروت، دار إقرأ، ط 1، 1986، ص 114.

(4) أنظر: الدمرداش، عبد المجيد سرحان، المناهج المعاصرة، الكويت، مكتبة الفلاح، ط 6، 1998، ص 49،

والبيئة تؤثر في تكوين الشخصية في كل جوانبها، فإن كانت هذه البيئة تشبع كل حاجات الطلبة، وتتسم بمناخ هادئ مريح بعيد عن الاضطرابات، ويتوفر فيها كل ما يحتاجه الطلبة من أدوات ومستلزمات ضرورية، وتتواجد فيها طبيعة خلابة تريح الأعصاب وتنعش النفس، وتحيي فيها الطاقات الدفينة كل ذلك من شأنه أن يوجد شخصية إيجابية معطاءة تحمل أملاً يساهم في الرقي والنهوض بمجتمعها.

رابعاً: المنهاج:

يعد المنهاج أداة التربية الأولى لتحقيق أهدافها المتمثلة في إحداث تغيير مرغوب فيه في سلوك الطلبة وفي منهج تفكيرهم⁽¹⁾.

فهؤلاء الطلبة هم ثروة المستقبل، وعماد الأمة، ورمز تقدمها وتطورها. لذلك فهم يحتاجون إلى منهج واضح، له فلسفة واضحة المعالم، ومرتكزات أساسية، ومتطلبات ضرورية، تسعى إلى ترجمة ما في جعبتهم من طاقات وقدرات إلى أرض الواقع.

منهج يرتكز على تخطيط سليم مسبق، له أسسه، وقواعده، ومبادئه التي تسعى إلى إيجاد الشخصية الإيجابية الفعالة، ابتداءً من الأهداف وانتهاءً إلى التقويم.

"هذا المنهج يبعث التحدي، ويحفظ العقل في حالة من النشاط، تُوحي له بالخروج والامتداد خارج الحقائق العلمية المقيدة الموجودة في الكتب. منهج متطور يتمشى مع الحياة الواقعية، ويتيح للطلبة فرصة الدراسة والبحث"⁽²⁾.

منهج يشمل أنشطة متنوعة تبني شخصية الطلبة، وتصنع حياتهم، وتثير بصيرتهم، وتزودهم بخبرات تمكنهم من اتخاذ مواقف حازمة، وصنع قرارات سليمة، كما يتسم بالمرونة في حال إدخال تغييرات تتناسب مع متطلبات البيئة التي تطرأ أثناء عملية التطبيق⁽³⁾.

(1) طافش، محمود، الإبداع في الإشراف التربوي والإدارة المدرسية، عمان، دار الفرقان: ط1، 2004، ص43، 44.

(2) معوض، خليل ميخائيل، القدرات العقلية، مصر، دار الفكر الجامعي، ط2، 1994، ص189، 190.

(3) طافش، محمود، الإبداع في الإشراف التربوي والإدارة المدرسية، ص47، 48.

منهج يسعى إلى إخراج الطاقات والقدرات والإمكانات الموجودة لدى الطلبة والعمل على تمتيتها، وهو الذي يوجه الاهتمام إلى المتعلم وليس إلى المادة الدراسية، ويحقق نمواً شاملاً، فلا يركز على جانب دون جانب، بل يشمل الجوانب الجسمية والعقلية والانفعالية. وبالنسبة لدور كل من عناصر المنهاج في تكوين الشخصية الإيجابية المتفائلة فيتمثل بد:

1. الأهداف:

وهي الركيزة الأساسية في تحقيق الغاية المنشودة، لذلك لا بد أن تتضمن تحديداً واضحاً ودقيقاً لما تريده المؤسسة التعليمية أو النظام التربوي ككل إكسابه للمتعلم من معلومات، ومهارات، واتجاهات، وقيم يعتقد أنها ستؤدي في مجموعها، ومن خلال تفاعلها مع بعضها البعض إلى إحداث التغيير المنشود في شخصية المتعلم⁽¹⁾.

فالشخصية الإيجابية التي تسعى المدرسة إلى إيجادها تحتاج إلى جهد منظم، ومهارة في ممارسة التفكير الإيجابي، والاستفادة من الإمكانيات الهائلة لدى الطلبة، فهي ليست صفة تولد مع الإنسان، لذلك لا بد أن يكون محور ومرتكز الأهداف تكوين تلك الشخصية البانية.

2. المحتوى:

وهو مجموع المعلومات والحقائق، والمبادئ، والمهارات، والقيم، والمفاهيم، والمعتقدات التي يقع عليها الاختيار، والتي يتم تنظيمها على نحو معين⁽²⁾.

ويتمثل دوره في تحقيقه للأهداف المرسومة، ومراعاته لميول وحاجات وقدرات المتعلمين، وتميزه بمرونته بحيث يواكب كل ما هو جديد في ظل التغيرات التي تحدث على

(1) أنظر: عطوي، جودت عزت، الإدارة المدرسية الحديثة مفاهيمها النظرية وتطبيقاتها العملية، عمان، دار الثقافة، ط1، 2004، ص177.

(2) أنظر: مرعي، توفيق أحمد والحيلة، محمد محمود، المناهج التربوية، عمان، دار المسيرة، ط1، 2000، ص79.

شوق، محمود أحمد، أساسيات المنهج الدراسي ومهامه، الرياض، دار عالم الكتب، ط1، 1995، ص73.

أرض الواقع، فيكون قابلاً للتطوير في أي وقت، وأن يهتم بالمعارف والمعلومات التي تبعث الأمل في نفوس الطلبة فتحرك فيهم الهمة والعزيمة.

فالمحتوى ليس مجرد معلومات تعطى للمتعلم ليحفظها، بل هي مجموع الخبرات التي سيكتسبها لإحداث التغيير المطلوب في سلوكه ومنهج تفكيره.

3. الطرق والوسائل والأنشطة التعليمية:

لا يمكن ترجمة الهدف المنشود من تفعيل دور المنهاج في تكوين الشخصية الإيجابية البناءة إلا بوجود طرق، ووسائل، وأنشطة تعليمية تطبق الجانب النظري على أرض الواقع. طرق التدريس التي تتميز بإثارة اهتمام المتعلمين، وإشباع حاجاتهم المختلفة، والتي تشمل على وسائل تعليمية تساعدهم على الفهم، وتجدد فيهم النشاط، وتتفق مع طبيعة النشاط العقلي للمتعلمين، وتتناسب مع الأهداف المرسومة، وإشراك المتعلم في العملية التعليمية، بحيث تستثير طاقاته الكامنة، وتنمي مهاراته العقلية والتفكيرية⁽¹⁾.

هذه الطرق والوسائل والأنشطة تخرج مكنون الطاقات الدفينة فيهم، تقدر ذاتهم وتحترمها، تفعل وجودهم وأهميتهم في بناء الحضارة، تجعل منهم شخصية مستقلة تعتمد على ذاتها في الوصول إلى المعلومات وحل المشكلات (شخصية فاعلة)، تتحدى فيهم القدرات العقلية، تشجعهم على الاكتشاف والاستقصاء، تدعوهم إلى التأمل في الكون من خلال رحلات تنظمها المدرسة لتوسع آفاقهم، وتوصلهم بالبارئ من خلال النظر إلى بديع صنعه وجمال خلقه وهذا مما ينعش النفس ويشرح الصدر ويبعث على الأمل والتفاؤل ويجدد فيهم النشاط.

(1) أنظر: الشافعي، إبراهيم محمد والكثيري، راشد محمد وعلي، سر الختم عثمان، المنهج المدرسي من منظور جديد، الرياض، مكتبة العبيكان، ط1، 1996، ص330.
عطوي، جودت عزت، الإدارة المدرسية الحديثة مفاهيمها النظرية وتطبيقاتها العملية، مرجع سابق، ص178.

فالشخصية الإيجابية هي من تبني، وتخترع، وتكتشف، وترقى بمجتمعها، وتتميز بحركتها ونشاطها، وتكرارها للمحاولات لإنجاز ما تسعى إلى تحقيقه. وهذا يحتاج إلى طرق ووسائل وأنشطة فعالة لها دور إيجابي في ذلك.

4. التقويم:

وحتى يتم تحقيق الهدف والغاية المنشودة - تكوين الشخصية الإيجابية المتقابلة - لابد من وجود عنصر التقويم الذي يتم من خلاله عملية التشخيص (تحديد مظاهر القوة ومواطن الضعف)، وعملية المتابعة، وعملية التغذية الراجعة، وعملية إصدار الحكم⁽¹⁾.

والتقويم الجيد هو الذي يستمر على مدار السنة لمعرفة مدى تحقيقه للأهداف المنشودة، وأن يكون عملية تعاونية مشتركة بين كل الأطراف المعنية، وأن يركز على تنمية المهارات العقلية، وأن يكون شاملاً لجميع جوانب شخصية المتعلم⁽²⁾.

ومتى روعيت تلك المرتكزات في عملية التقويم، وتم أخذها بعين الاعتبار، ساهمت في تحقيق الهدف المنشود.

المطلب الثالث: دور المسجد في بعث الأمل:

"إن المسجد قلعة للإيمان، وحصن للفضيلة، ومنار للهداية، إنه وجد يوم أن أسس ليكون مهدياً للانطلاقة الكبرى التي شهدتها التاريخ. فلم يعرف في ديوان أي حضارة وفي سجل أي ثقافة معلم أثر في مسار الإنسانية واستنقذها من وهنتها كمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان للصحابة مقراً لاجتماعهم، ومركزاً لمؤتمراتهم، ومحللاً لتساورهم وتناصحهم، فيه يتألفون ويتعارفون وعلى الخير يتعاونون، إنه المعهد والمدرسة والجامعة التي تخرج منها

(1) مرعي، والحيلة، المناهج التربوية الحديثة، ص 95.

(2) أنظر: فالوقي، محمد هاشم، بناء المناهج التربوية، الإسكندرية، مصر، المكتب الجامعي الحديث، ط1، 1997، ص 193، 194.

العلماء والدعاة والقادة الذين هم على أيديهم وبفضل الله أشرق على الأرض نور هذا السدين مشارقاً ومغرباً، ففيه تعقد الألوية، ومنه تسير الجيوش، زوايا حلقات علم وذكر، وفي رحابه كان التقاضي والقضاء، وفيه كان الجرحى يُمرضون، وفيه تحل مشاكلهم وتُقضى بتأزرهم حوائجهم⁽¹⁾.

لم يقتصر دور المسجد في الماضي على أداء الصلاة والذكر إنما لعب دوراً كبيراً في أدائه لوظائف متعددة متعلقة بسياسة الدولة بأكملها. وهذا يدل على أن الدين شامل لإقامة كل خير في هذه الأرض وليس خاصاً بنوع معين من أنواع العبادة التي تؤدي لله تعالى بدليل أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لم يخصص مكاناً آخر لإدارة شؤون الدولة⁽²⁾.

إن أمل المسلمين اليوم هو التمكين لهذه الأمة، ولن يتأتى ذلك إلا بوجود الشخصية الإيمانية الإيجابية الفعالة الناهضة بمجتمعها والتي يمكن إيجادها عن طريق تفعيل دور المسجد من جديد بحيث يقوم بدوره الريادي إلى جانب المؤسسات المعاصرة. فيكون في كل مؤسسة سواء كانت تربوية أو اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية أو إعلامية... مسجد ليمد القائمين في هذه المؤسسات بروح الإيمان والإخلاص، وطاقة الجسد والاجتهاد، وحيوية العمل والنشاط، وقوة التحصيل والاستفادة، بما يشع منه من عطاء وتذكير ووعظ وتوجيه وتسييد⁽³⁾.

إن دور المسجد في بعث الأمل والتفاؤل وبناء الشخصية الإيجابية يكمن في وجوده مبني في تلك المؤسسات وبدخولهم فيه لأداء العبادة والشعائر وبعطائه بما يبذله القائمون عليه من الأئمة والخطباء والعلماء والمربين الأكفاء من جهد وإخلاص في القول والعمل والنشاط، أيضاً

(1) الغامدي، عبد الله، المسجد حياة، على شبكة الانترنت، 2009/8/11: www.Islam-love.com

(2) أنظر: قادري، عبد الله، دور المسجد في التربية، جدة، دار المجتمع، ط1، 1987، ص66.

(3) أنظر: الوشلي، عبد الله قاسم، المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، 1990، ص292.

من خلال خطبه ودروسه ومواظبه، ودوره الاجتماعي في التكافل والتأخي، وسد حاجة الفقير وإغاثة الملهوف.

فرسالة المسجد سامية وعظيمة فهي تتمثل بإصلاح النفوس وإعمارها بالإيمان من جديد إذا توافرت له الإمكانيات المتوائمة مع متطلبات العصر والحياة، والمتناسبة مع الزمن وأحوال الناس، وتوفر له القائمون المخلصون الأكفاء على أنشطته، وأعطى الحرية التي لا يكبلها سلطان ظالم ولا طاغية⁽¹⁾.

فالأمل يرتسم على وجوه المسلمين، ويتجسد في أفكارهم وأعمالهم وسيرهم على منهج الله عز وجل عندما يتم تفعيل دور المسجد، فيكون الموجّه والمزوّد لهذه النفوس بالإيمان الحي المؤدّ للأمل؛ فالنفوس العامرة بالإيمان نفوس بانية معمّرة ناهضة بمجتمعها، فالسكينة تعمّر قلبها والرضى يسكن نفسها.

إن إدارة المؤسسات المختلفة عن طريق المسجد يؤثر بشكل إيجابي على نهوض الدولة الإسلامية في مختلف المجالات انطلاقاً من تكوين الشخصية الفعالة والإيجابية المتفائلة التي تطمح إلى النهوض بأمتها.

ولتوضيح ذلك:

فمثلاً وجود المسجد والقائمين عليه من أئمة وعلماء ومربين أكفاء في المؤسسة الإعلامية يساهم في توجيه مسارهم وتسديد خطاهم وانتقاء المادة الإعلامية في ظل التوجيهات التربوية الإسلامية وهذا يساهم في تكوين نشء صالح إيجابي فعّال.

هذا هو بإيجاز ملم دور المسجد في بعث الأمل وتكوين الشخصية الإيجابية الفعّالة فروية المسلم تفعيل دور المسجد من جديد يساهم في بعث الأمل لديه وتحقيق أهدافه في ظل المنهج الرباني القويم.

(1) الوشلي، عبد الله قاسم، المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ، ص 292.

الغاية

النتائج

يمكن إجمال النتائج التي توصلت إليها الباحثة من خلال هذه الدراسة فيما يلي:

1. يُعرّف الأمل بأنه: الرجاء والثقة من جهة العبد بقدرة الله عز وجل المطلقة على تحقيق رغبة أو هدف يتطلع إليه بعد الأخذ بالأسباب التي تساعد في ذلك.
2. يرتكز الأمل على مقومات هي بمثابة جوهره وقوامه وتشكل الجوانب الأساسية فيه، وهي الإيمان، والشجاعة والصبر والثبات، والثقة بالنفس.
3. إن لوجود الأمل في حياة الناس أهمية بالغة؛ فهو مصدر لكثير من الأمور التي تحظى باهتمام بالغ، وتعتبر ركائز أساسية في تقدم أية أمة.
4. للأمل مصادر وبواعث تمد المسلم بأسباب الراحة والسكينة والنظرة الإيجابية للأمر والاستبشار بالخير، كما أنها تعينه على مواجهة صعوبات الحياة وشدائدها بنفس صابرة ثابتة. هذه المصادر والبواعث تتمثل بالعقيدة، والعبادات، والقُدوة الحسنة، والاعتبار بأحوال الآخرين، وصحبة المتفائلين، والتعاون والتعاقد.
5. هناك مبشرات وحقائق تبعث الأمل في النفس، وتحرك فيها الهمة والعزيمة، وتجدد لها طاقتها، لتتطلق إلى الأمام وتقوم بالواجبات الملقاة على عاتقها. هذه المبشرات تستمد من القرآن الكريم، ومن السنة النبوية، ومن التاريخ الإسلامي، ومن السنن الإلهية، كما أن للحقائق على أرض الواقع إسهاماً في ذلك والتي تتمثل بالصحة الإسلامية، وشهادات الغرب، والقوى التي تملكها الأمة.
6. هناك ميادين ومجالات يحتاج أصحابها أكثر من غيرهم للتسلح بالأمل، الذي يمنح النفس العزيمة والتجدد في العطاء، والقدرة على المواجهة والاستمرار في التصدي لما

هو بصده من مواقف. وتتمثل بالدعوة إلى الله، والجهاد في سبيل الله وعند حدوث

المصائب، والوقوع في الذنوب والمعاصي، والتغيير في منهج التفكير.

7. إن لوجود الأمل في النفس أثراً تربوية إيجابية كما أن لغيابه أثراً تربوية سلبية.

8. للأسرة والمدرسة والمسجد باعتبارها وسائط التربية الإسلامية دور فعال وحيوي في

بعث الأمل في النفوس وتكوين الشخصية الإيجابية في المجتمع.

التوصيات

في ختام هذه الدراسة توصي الباحثة بما يأتي

1. إجراء دراسات تربوية، ودراسات نفسية، ودراسات تربوية إسلامية أكثر حول هذا

الموضوع.

2. عقد مؤتمرات وندوات علمية تثري هذا الموضوع.

3. تفعيل دور وسائط التربية الإسلامية التي لها دور حيوي وهام في بعث الأمل في

نفوس النشء من خلال:

أ- تتقيف القائمين عليها بأهمية الأمل ودوره الفعال في الحياة.

ب- عقد دورات تدريبية في كيفية توطيد سمة الأمل في نفوس المربين.

ج- التركيز على الحقائق والمبشرات التي تبعث الأمل في النفس بإيرادهما في مناهج

التربية، لتشكل بذلك إنطلاقة حيوية في نفوس النشء

المصادر والمراجع

1. أبادي، محمد شمس الدين، عون المعبود شرح سنن أبي داوود، بيروت، دار الفكر، ط3، 1979.
2. أحمد، أحمد إبراهيم، الإدارة المدرسية في مطلع القرن الحادي والعشرين، القاهرة، دار الفكر العربي، ط1، 2003.
3. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، بيروت، دار صادر، ط1، 1979.
4. أسعد، يوسف ميخائيل، أنت تربي نفسك، القاهرة، دار غريب، ط1، 2001.
5. _____، بالعزيمة تتحقق أحلامك، القاهرة، دار غريب، ط1، 1998.
6. _____، التفاؤل والتشاؤم، القاهرة، دار نهضة مصر، ط1، 1980.
7. إسماعيل، شعبان محمد، العبادة في الإسلام، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ط1، 1980.
8. الأسمر، أحمد رجب، فلسفة التربية في الإسلام، عمان، دار الفرقان، ط1، 1997.
9. الأغبري، علي، الدعوة والدعاة، اليمن، مكتبة دار السلام، ط1، 2008.
10. أنتوني، روبرت، الثقة التامة بالنفس، الرياض، مكتبة جرير، ط1، 2007.
11. _____، ما وراء التفكير الإيجابي، الرياض، مكتبة جرير، ط1، 2005.
12. أنيس، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، دم، دن، ط2، د.ت.
13. بابللي، محمود محمد، التغيير سنة الحياة، جدة، دار المنارة، ط1، 1997.
14. بادحدح، علي، مقومات الداعية الناجح، جدة، جار الأندلس الخضراء، ط1، 1996.
15. بادويلان، أحمد سالم، تعلم كيف تصبر واقطف الثمار، الرياض، دار الحضارة، ط1، 2007.

16. باطاهر، ابن عيسى، فاعلية المسلم المعاصر، عمان، دار البيارق، ط1، 1997
17. الباقرى، محسن، مقومات الشخصية الإسلامية، بيروت، دار البيان العربي، ط1، 1990.
18. بتروفسكي وباروشفسكي، معجم علم النفس المعاصر، ترجمة: حمدي عبد الجواد وعبد السلام رضوان، القاهرة، دار العالم الجديد، ط1، 1996.
19. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، بيروت، دار صادر، ط1، 2004.
20. بكار، عبد الكريم، بناء الأجيال، الرياض، دن، ط1، 2002.
21. _____، مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، دمشق، دار القلم، ط1، 1999.
22. البلاي، عبد الحميد، المصطفى من صفات الدعاة، الكويت، مكتبة المنار الإسلامية، ط1، 2000.
23. البهي، محمد، الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي، بيروت، دار الفكر، ط6، 1973.
24. بيفر، فيرا، الحياة الإيجابية، الرياض، مكتبة جرير، ط1، 2004.
25. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، السنن الكبرى، بيروت، دار الفكر، ط1، د.ت.
26. الترمذي، محمد بن علي بن الحسن بن بشر الحكيم، الأمثال من الكتاب والسنة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2003.
27. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، سنن الترمذي، حمص، مطابع الفجر الحديثة، ط1، 1967.

28. التتوخي، المحسن بن علي بن محمد، الفرج بعد الشدة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط3، 2005.
29. تيليش، بول، الشجاعة من أجل الوجود، ترجمة: كامل يوسف حسين، بيروت، المؤسسة الجامعية، ط1، 1981.
30. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، العبودية، عمان، دار البشير، ط1، 1992.
31. جابر، جابر عبد الحمید، مدرس القرن الحادي والعشرين الفعال، القاهرة، دار الفكر العربي، ط1، 2000.
32. جرار، حسني أدهم، الأخوة والحب في الله (منهج تربوي)، دم، دار المأمون، ط1، 2010.
33. جرار، مأمون فريز، صور ومواقف من حياة الصالحين، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1995.
34. الجرجاني، علي محمد، التعريفات، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1983.
35. الجزائري، أبو بكر، عقيدة المؤمن، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ط1، 1999.
36. _____، العلم والعلماء، جدة، دار الشروق، ط2، 1986.
37. الجقندي، عبد السلام، التربية المتكاملة للطفل المسلم في البيت والمدرسة، دمشق، دار قتيبة، ط1، 2003.
38. الجليل، عبد العزيز ناصر، وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، الرياض، دار طيبة، ط3، 2001.

39. ابن جماعة، بدر الدين، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1934.
40. جمال، أحمد، مفتريات على الإسلام، دم، مطبوعات الشعب، ط3، 1975.
41. جمال الدين، جمال، الإنسان الفعال، دمشق، دار الفكر، ط1، 2004.
42. الجمالي، محمد، نحو تربية مؤمنة، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، ط1، 1977.
43. الجمعة، عبد الله صالح، عظماء بلا مدارس، الرياض، العبيكان، ط1، 2007.
44. ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن، آداب الحسن البصري، تحقيق: سليمان الحرش، دمشق، دار النور، ط3، 2007.
45. _____، صيد الخاطر، تحقيق: السيد الجميلي، بيروت، دار ابن زيدون، ط1، 1986.
46. جيتس، آرثر وآخرون، علم النفس التربوي (الصحة النفسية في التعلم)، ترجمة: إبراهيم حافظ وآخران، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط2، 1956.
47. الحافظ، نبيل عبد الفتاح وسليمان، عبد الرحمن سيد، علم النفس الاجتماعي، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، ط1، 2000.
48. الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله، المستدرک علی الصحیحین، بیروت، دار الكتاب العربي، ط1، 1980.
49. ابن الحجاج، مسلم، مختصر صحيح مسلم، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، المكتب الإسلامي، ط6، 1987.
50. _____، صحيح مسلم بشرح النووي، الرياض، دار عالم الكتب، ط1، 2003.

51. الحفناوي، حسن محمد، الأسرة المسلمة وتحديات العصر، ابو ظبي، المجمع الثقافي، ط1، 2001.
52. الحفني، عبد المنعم، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، دم، مكتبة مدبولي، ط1، 1978.
53. حقي، مصطفى، التوبة من المعاصي والذنوب، الرياض، دار الحضارة، ط1، 2007.
54. حماد، عزة، التغيير الفعال، الاسكندرية - مصر، دار الدعوة، ط1، 2008.
55. حمزة، عمر يوسف والسايح، أحمد عبد الرحيم، معالم الوحدة في طريق الأمة الإسلامية، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1993.
56. حنا، بول، ثق بنفسك وحقق ما تريد، الرياض، مكتبة جرير، ط3، 2005.
57. الحوفي، أحمد محمد، البطولة والأبطال، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط1، 1967.
58. خضر، لطيفة إبراهيم، الإسلام في الفكر الغربي، القاهرة، عالم الكتب، ط1، 2002.
59. الخطيب، محمد عبد الله، مفاهيم تربوية، مصر، دار المنار الحديثة، ط1، 1989.
60. خليل، محمد بيومي، سيكولوجية العلاقات الأسرية، القاهرة، دار قباء، ط1، 2000.
61. الدمرداش، عبد المجيد، سرحان، المناهج المعاصرة، الكويت، مكتبة الفلاح، ط6، 1998.
62. ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد، الصبر والثواب عليه، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، بيروت، دار ابن حزم، ط1، 1997.
63. الدينوري، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، عيون الأخبار، دم، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، ط1، 1963.

64. الديلمي، شيرويه بن شهردار بن شيرويه، الفردوس بمأثور الخطاب، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1986.
65. راشد، علي، خصائص المعلم العصري وأدواره، القاهرة، دار الفكر العربي، ط1، 2002.
66. رايان، إم جيه، قوة الصبر، الرياض، مكتبة جرير، ط1، 2004.
67. _____، الثقة بنفسك، الرياض، مكتبة جرير، ط1، 2005.
68. ربيع، هادي مشعان، المدير المدرسي الناجح، عمان، مكتبة المجتمع العربي، ط1، 2006.
69. رزوق، أسعد، موسوعة علم النفس، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط3، 1987.
70. أبو زائدة، عبد الفتاح، الإيمان وحقيقة العبادة في الإسلام، طرابلس، صحيفة الدعوة الإسلامية، ط2، 1992.
71. الزحيلي، وهبة، التفسير المنير، بيروت، دار الفكر المعاصر، ط1، 1991.
72. أبو زريق، ناصر أحمد، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عمان، دار البشير، ط1، 2002.
73. أبو زعرور، محمد سعيد، الصحوة الإسلامية بين الواقع وتطلعات المستقبل، عمان، دار البيارق، ط1، 1999.
74. زقزوق، محمود حمدي، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي، القاهرة، مطابع التجارية، ط1، 2004.
75. أبو زهرة، محمد، الوحدة الإسلامية، بيروت، دار الرائد العربي، ط1، 1978.

76. زيدان، عبد الكريم، أصول الدعوة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط3، 1988.
77. _____، السنن الإلهية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1993.
78. زيعور، شفيق محمد، الفكر التربوي عند العلمي، بيروت، دار إقرأ، ط1، 1986.
79. الزين، سميح عاطف، معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط1، 1991.
80. سابق، السيد، العقائد الإسلامية، القاهرة، الفتح للإعلام العربي، ط1، 1992.
81. _____، عناصر القوة في الإسلام، بيروت، دار الكتاب العربي، ط2، 1973.
82. السجستاني، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1996.
83. سحنون، محمد، آداب المعلمين، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، تونس، مطبعة المنار، ط2، 1972.
84. سعادة، إبراهيم، الإسلام وتربية الإنسان، الزرقاء، مكتبة المنار، ط1، 1985.
85. سعيد، جودت، الإنسان حين يكون كلاً وحين يكون عدلاً، دمشق، مطبعة زيد بن ثابت الأنصاري، ط3، 1984.
86. أبو سعيد، حامد غنيم، الجبهة الإسلامية في مواجهة المخططات الصليبية، القاهرة، دار السلام، ط1، 2008.
87. سعيد، سعاد جبر، سيكولوجية التغيير في حياة الأفراد والمجتمعات، عمان، جدارا للكتاب العالمي، ط1، 2008.

88. سلام، سيد جمعة، شخصية المسلم كما يجب أن تكون، المنصورة، مكتبة الإيمان، ط1، 2007.
89. سليمان، عبد الرحمن سيد، معجم التفوق العقلي، القاهرة، عالم الكتب، ط2، 2004.
90. سمارة، فوزي، بشائر النصر في القرآن والسنة، عمان مؤسسة الطريق، ط1، 2006.
91. سيد، فتح الباب عبد الحليم، التربية في القرآن والسنة، القاهرة، عالم الكتب، ط1، 1996.
92. السيد، محمود أحمد، معجزة الإسلام التربوية، الكويت، دار البحوث العلمية، ط2، 1982.
93. السيوطي، جلال الدين، الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، بيروت، دار الفكر، ط1، 1981.
94. شاتليه، الغارة على العالم الإسلامي، ترجمة: محب الدين الخطيب ومساعد اليافي، بيروت، مكتبة أسامة بن زيد، ط1، 1980.
95. الشاروني، يوسف، الحب والصدقة في التراث العربي والدراسات المعاصرة، القاهرة، دار المعارف، ط3، 1992.
96. الشافعي، إبراهيم محمد والكثيري، راشد محمد وعلي، سر الختم عثمان، المنهج المدرسي من منظور جديد، الرياض، مكتبة العبيكان، ط1، 1996.
97. شحادة، عبد الله، سعادتنا وهمومنا من صنع أفكارنا، دم، دن، ط5، 2004.
98. شديد، محمد، منهج القرآن في التربية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1991.
99. شرارة، عبد الطيف، تغلب على التشاؤم، بيروت، دار صادر، ط1، 1996.

100. _____ ، سحر الشخصية، بيروت، دار صادر، ط1، 1996.
101. أبو شرار، محمود موسى، من مواقف القدوة في المحن، عمان، دار البشير، ط1، 1993.
102. الشربيني، لطفي، موسوعة شرح المصطلحات النفسية، بيروت، دار النهضة العربية، ط1، 2001.
103. الشرقاوي، حسن، نحو علم نفس إسلامي، الإسكندرية- مصر، مؤسسة شباب الجامعة، ط1، 1984.
104. الشريف، محمد كمال، سكينه الإيمان، دمشق، دار ابن كثير، ط1، 1996.
105. الشعراوي، محمد متولي، الصبر عند الشدائد، بيروت، دار القلم، ط1، 2000.
106. شلبي، عبد الودود، لماذا يخافون الإسلام، القاهرة، دار الشروق، ط3، 1987.
107. شلبي، محمود، حياة الملك قطز (قاهر التتار)، بيروت، دار الجيل، ط1، 1992.
108. أبو شبهة، هناء يحيى، السنة النبوية وتوجيه المسلم إلى الصحة النفسية: مؤتمر السنة النبوية والدراسات المعاصرة، جامعة اليرموك، اربد-الأردن، 17-2007/4/18، نشر جامعة اليرموك، اربد-الأردن، 2007.
109. شوق، محمود أحمد، أساسيات المنهج الدراسي ومهامه، الرياض، دار عالم الكتب، ط1، 1995.
110. الصاغري، أسعد محمد سعيد، الرجاء، دمشق، مكتبة الغزالي، ط1، 1994.
111. أبو صعيديك، محمد عبد الله، الأمل وأثره في حياة الأمة، دمشق، دار القلم، ط1، 1996.
112. الصلابي، علي محمد، السيرة النبوية، المنصورة، مكتبة فياض، ط1، 2007.

113. الصوفي، ماهر، الإنسان في عالم الذنوب والتوبة والغفران، دم، دار الرضوان، ط1، 2000.
114. أبي طالب، علي بن، نهج البلاغة، بيروت، مؤسسة المعارف، ط1، 1990.
115. _____، ديوان الإمام علي بن أبي طالب، شرح: علي مهدي زيتون، بيروت، دار الجيل، ط1، 1995.
116. طافش، محمود، الإبداع في الإشراف التربوي والإدارة المدرسية، عمّان، دار الفرقان، ط1، 2004.
117. طبّارة، عفيف، روح الدين الإسلامي، بيروت، دار العلم للملايين، ط26، 1985.
118. _____، الخطايا في نظر الإسلام، بيروت، دار العلم للملايين، ط3، د.ت.
119. الطحان، مصطفى، التربية ودورها في تشكيل السلوك، بيوت، دار المعرفة، ط1، 2006.
120. _____، شخصية المسلم المعاصر، مصر، دار التوزيع الإسلامية، ط1، 1988.
121. طلفاح، خير الله، عباقرة من العرب، بغداد، دار الحرية للطباعة، ط1، د.ت.
122. طه، فرج عبد القادر، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، القاهرة، دار غريب، ط1، 2003.
123. عاقل، فاخر، معجم العلوم النفسية، القاهرة، شعاع للنشر والعلوم، ط1، 2003.
124. العالم، جلال، قادة الغرب يقولون دمّروا الإسلام أبيدوا أهله، عمّان، دار الأرقم، ط1، 1981.

125. عبد العزيز، جمعة أمين، الدعوة قواعد وأصول، الإسكندرية- مصر، دار الدعوة، ط1، 1988.

126. عبده، محمد، ماذا يعني انتماني للدعوة، دم، عمان، ط1، 2008.

127. العجمي، محمد حسنين، الإدارة المدرسية، القاهرة، دار الفكر العربي، ط1، 2000.

128. عرجون، محمد الصادق، سنن الله في المجتمع من خلال القرآن، جدة، الدار السعودية للنشر، ط1، 1971.

129. العريفي، ناديا، الأسرة وبرمجة التفكير الإيجابي لدى الطفل، دم، مطابع التريكي، ط1، 1996.

130. عزام، عبد الله، الإسلام ومستقبل البشرية، الزرقاء، مكتبة المنار، ط1، 1980.

131. عطوي، جودت عزت، الإدارة المدرسية الحديثة مفاهيمها النظرية وتطبيقاتها العملية، عمان، دار الثقافة، ط1، 2004.

132. العفاني، سيد، تثبيت أفئدة المؤمنين بذكر مبشرات النصر والتمكين، القاهرة، مكتبة معاذ بن جبل، ط1، 2000.

133. العقاد، عباس محمود، عبقرية خالد، القاهرة، دار نهضة مصر، ط1، د.ت.

134. العك، خالد، بناء الأسرة المسلمة في ضوء القرآن والسنة، بيروت، دار المعرفة، ط5، 2005.

135. علوان، عبد الله، تربية الأولاد في الإسلام، بيروت، دار السلام، ط1، 1978.

136. لعل، محمد تيسير سليمان، الصلة بالله تعالى وأثرها في تربية النفس، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1997.

137. عمارة، محمد، هذا هو الإسلام، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط1، 2006.

138. العميرة، محمد حسن، مبادئ الإدارة المدرسية، عمان، دار المسيرة، ط1، 1999.
139. عمر، عمر أحمد، منهج التربية في القرآن والسنة، دمشق، دار المعرفة، ط1، 1996.
140. _____، الجهاد في سبيل الله، دمشق، دار المكتبي، ط1، 1999.
141. عيسى، كمال محمد، خصائص مدرسة النبوة، جدة، دار الشروق، ط1، 1982.
142. العيسوي، عبد الرحمن، الإسلام والصحة النفسية، بيروت، دار الراتب العلمية، ط1، 2001.
143. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد، إحياء علوم الدين، بيروت، دار ومكتبة الهلال، ط1، 2004.
144. _____، تهذيب إحياء علوم الدين، القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط1، 1997.
145. الغزالي، محمد، خلق المسلم، القاهرة، نهضة مصر، ط10، 2005.
146. _____، فقه السيرة، مصر، دار الكتاب العربي، ط1، 1952.
147. الغزالي، بدر الدين محمد، آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة، تحقيق: علي حسن علي عبد الحميد، بيروت، المكتب الإسلامي، ط1، 1987.
148. غوشة، عبد الله، الجهاد طريق النصر، د.م، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون المقدسات الإسلامية، ط1، 1976.
149. أبو فارس، محمد عبد القادر، تأملات ودروس في الحروب الصليبية، عمان، جبهة للنشر والتوزيع، ط1، 2002.

150. _____ ، أسس في الدعوة ووسائل نشرها، عمان، دار الفرقان، ط1،
1992.

151. فالوقي، محمد هاشم، بناء المناهج التربوية، الإسكندرية- مصر، المكتب الجامعي
الحديث، ط1، 1997.

152. فتح الباب، مجدي محمد، موقف المستشرقين من الصحوة الإسلامية في النصف
الثاني من القرن العشرين، القاهرة، دار الروضة، ط1، 2001.

153. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، بيروت، دار
الكتب العلمية، ط1، 2003.

154. الفقي، إبراهيم، قوة التفكير، القاهرة، إبداع للإعلام والنشر، ط1، 2008.

155. فهمي مصطفى، الصحة النفسية (دراسات في سيكولوجية التكيف)، القاهرة، مكتبة
الخانجي، ط3، 1995.

156. فؤاد، إيهاب، إيقاظ الهمم، الإسكندرية، مصر، دار الدعوة، ط1، 2007.

157. القادري، عبد الله، الجهاد في سبيل الله حقيقته وغاياته، جدة، دار المنارة، ط1،
1985.

158. _____ ، دور المسجد في التربية، جدة، دار المجتمع، ط1، 1987.

159. قاسم، أنيس، تأملات في الاحتلاين الصليبي والصهيوني، ليبيا، دار العربية للكتاب،
ط1، 1975.

160. القاضي، سعيد إسماعيل، التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، القاهرة، عالم
الكتب، ط1، 2004.

161. القرشي، باقر شريف، النظام التربوي في الإسلام، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ط1، 1979.
162. القرضاوي، يوسف، الإيمان والحياة، دمشق، مؤسسة الرسالة، ط19، 2005.
163. _____، الصبر في القرآن الكريم، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1984.
164. _____، العبادة في الإسلام، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط6، 1979.
165. _____، ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 2008.
166. _____، المبشرات بانتصار الإسلام، القاهرة، مكتبة وهبة، ط2، 1999.
167. _____، من أجل صحوة راشدة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 2001.
168. _____، الإسلام حضارة الغد، القاهرة، مكتبة وهبة، ط1، 1995.
169. _____، الصحوة الإسلامية بين الآمال والمحاذير، القاهرة، دار الصحوة، ط3، 1995.
170. _____، التوبة إلى الله، القاهرة، مكتبة وهبة، ط1، 1998.
171. قطب، سيد، في ظلال القرآن، القاهرة، دار الشروق، ط12، 1986.
172. قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية، بيروت، دار الشروق، ط4، 1985.
173. _____، حول التأصل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، القاهرة، دار الشروق، ط1، 1998.

174. القمودي، سالم، التغيير، بيروت، مؤسسة الانتشار العربي، ط1، 2004.
175. ابن قيم الجوزية، الروح، بيروت، دار الفكر، ط1، 1998.
176. _____، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: حمدي محمد نور الدين آل نوفل، القاهرة، مكتبة الصفا، ط1، 2002.
177. _____، مفتاح دار السعادة، السعودية، دار ابن عفان، ط1، 1996
178. _____، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، بيروت، دار ابن حزم، ط1، 2003
179. _____، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: عماد عامر، القاهرة، دار الحديث، ط1، 2003.
180. كارنيجي، ديل، دع القلق وابدأ الحياة، ترجمة: محمد فكري أنور، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط5، 2004.
181. كاريل، ألكسس، الإنسان ذلك المجهول، ترجمة: شفيق أسعد فريد، بيروت، مكتبة المعارف، ط1، 2003.
182. ابن كثير، إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، بيروت، دار المعرفة، ط2، 1987.
183. _____، البداية والنهاية، تحقيق: أحمد أبو ملح، وآخرون، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1985.
184. كفوري، صفي الرحمن، الرحيق المختوم، مصر، دار الوفاء، ط19، 2007.
185. الكندي، يعقوب بن اسحاق (في الحيلة لدفع الأحزان)، رسائل فلسفية، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، بيروت، دار الأندلس، ط1، 1997.

186. كولن، محمد فتح الله، روح الجهاد وحقيقته في الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، القاهرة، دار النيل، ط3، 2006.
187. الكيلاني، ماجد عرسان، أهداف التربية الإسلامية، دبي، دار القلم، ط1، 2005.
188. _____، أصول التربية الإسلامية، دبي، دار القلم، ط1، 2006.
189. اللقاني، أحمد حسين ومحمد، فارة حسن، مناهج التعليم بين الواقع والمستقبل، القاهرة، عالم الكتب، ط1، 2001.
190. ابن ماجه، سنن ابن ماجه، تحقيق: خليل مأمون شبحا، بيروت، دار المعرفة، ط1، 1996.
191. الماوردي، علي بن محمد بن حبيب، الأمثال والحكم، تحقيق: فؤاد عبد المنعم، الدوحة، ط1، 1983.
192. _____، أدب الدنيا والدين، تحقيق: مصطفى السقا، دم، دار الفكر، ط3، 1955.
193. مبارك، محمد، نظام الإسلام (العقيدة والعبادة)، دم، دار الفكر، ط1، 1981.
194. محمد، سيد عبد المعطي، علو الهمة في محبة الله ورسوله، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2002.
195. محمد، يوسف خنار، التربية الإيمانية والنفسية للأولاد في ضوء علم النفس والشريعة الإسلامية، دبي، دار الفقيه، ط1، 2003.
196. محمود، علي عبد الحليم، تربية الناشئ المسلم، المنصورة، دار الوفاء، ط1، 1992.
197. مرعي، توفيق أحمد والحيلة، محمود محمد، المناهج التربوية، عمان، دار المسيرة، ط1، 2000.

198.المسند، عبد العزيز، متى ينتصر المسلمون؟ الرياض، الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون، ط1، 1980.

199.مصطفى، أسامة نعيم، نصر الأمة الإسلامية في علو الهمة، عمان، دار الفرقان، ط1، 2005.

200.مصطفى، وفاء، كن عملاقاً واصنع الفرق، بيروت، دار ابن حزم، ط1، 2008.

201.معوض، خليل ميخائيل، القدرات العقلية، مصر، دار الفكر الجامعي، ط2، 1994.

202.مفلح، فدوى شوقي وحرير، نورا محمد هشام، إدارة الذات نحو النجاح والإبداع، عمان، دار البداية، ط1، 2007.

203.المقدسي، شهاب الدين عبد الرحمن إسماعيل إبراهيم، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2002.

204.ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط1، 1900.

205.موسى، محمد حسن عقيل، الثبات، جدة، دار الأندلس الخضراء، ط1، 1997.

206.الميداني، عبد الرحمن، العقيدة الإسلامية وأسسها، دمشق، دار القلم، ط4، 1986.

207.ناصيف، إميل، أروع ما قيل عن الصداقة، بيروت، دار الجيل، ط1، 2003.

208._____، روائع الحكم والأقوال الخالدة، بيروت، دار الجيل، ط1، 2005.

209.نجاتي، محمد عثمان، القرآن وعلم النفس، دم، دار الشروق، ط1، 1982.

210._____، الدراسات النفسانية عند العلماء المسلمين، دم، دار الشروق، ط1، 1993.

211.النحلاوي، عبد الرحمن، التربية بالآيات، بيروت، دار الفكر المعاصر، ط1، 1989.

212. النحوي، عدنان، التربية في الإسلام (النظرية والمنهج)، الرياض، دار النحوي، ط1،
2000.

213. _____، الصحوة الإسلامية إلى أين؟ الرياض، دار النحوي، ط2، 1992.

214. النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب، سنن النسائي، بيروت، دار
البشائر الإسلامية، ط2، 1986.

215. النشمي، عجيل جاسم، معالم في التربية، الكويت، مكتبة المنار الإسلامية، ط1،
1980.

216. نصير، آمال، التوبة في ضوء القرآن الكريم، جدة، دار الأندلس الخضراء، ط1،
1998.

217. هادي، محمد، الصداقة والأصدقاء، الكويت، مؤسسة دار البيان العربي، ط3، 1989.

218. الهاشمي، عبد الحميد، الرسول العربي المربي، دمشق، دار الثقافة للجميع، ط1،
1981.

219. الهاشمي، محمد علي، شخصية المسلم، الرياض، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف
والدعوة والإرشاد، ط1، 2004.

220. هانيز، سيندي، التغيير من أجل حياة أفضل، الرياض، مكتبة جرير، ط1، 2006.

221. الهلالي، مجدي، بناء الإيمان من خلال القرآن، القاهرة، مؤسسة إقرأ، ط1، 2005.

222. الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، بيروت، مؤسسة
المعارف، ط1، 1986.

223. الوشلي، عبد الله قاسم، المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ، بيروت،
مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، 1990.

224. وونغ، هاري وونغ، روزميري، كيف تكون مدرساً فاعلاً، ترجمة: ميسون يونس عبد الله، العين، دار الكتاب العربي، ط1، 2003.

225. ياسين، طه، عيون الأمل، دمشق، دار القلم، ط1، 2008.

226. يالجن، مقداد، بناء البيت السعيد في ضوء الإسلام، الرياض، دار المريخ، ط1، 1987.

227. يكن، فتحي، الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط6، 1985.

على شبكة الإنترنت

1. الأحمد، عبد العزيز والعشماوي، عبد الرحمن، متفائلون، على شبكة الإنترنت
2009/7/13: www.eqla3.com.

2. أوجي، هارون، الأسرة الحسنة ودورها في التربية الناجحة، على شبكة الإنترنت
2008/4/11: www.hiramagazin.com

3. باددح، علي عمر، الطريق إلى الثقة بالنفس، على شبكة الإنترنت، 2005/9/3:
www.islamieat.com

4. البلالي، عبد الحميد، القدوة الحسنة، على شبكة الإنترنت، 2002/8/6:
www.islammemo.com

5. حمّاد، محمد، لا يأس مع الإيمان، على شبكة الإنترنت 2007/6/5:
www.mohammadhammad.maktoobblog.com

6. الحمد، محمد إبراهيم، المصائب والآلام... حكم وأسرار، على شبكة الإنترنت
2009/1/23: www.alghad.com

7. خضر، احمد إبراهيم، الوصايا العشر في مواجهة المحن والمصائب والأزمات الشخصية، على شبكة الإنترنت 2008/3/27: www.alimam.ws.
8. الخضر، شادي عبد الله، العزيمة والإصرار طريق النجاح، على شبكة الإنترنت 2008/7/26 www.al-ayyam.info/Default.
9. الخويلدي، زهير، الشجاعة هي قوة الإرادة، على شبكة الإنترنت 2009/7/30: www.doroob.com.
10. زهران، أحمد، عشرية الدعاة في مواجهة الشدائد، على شبكة الإنترنت 2008/4/13: www.islamonline.net.
11. الزهراني، علي، أثر القرآن في النفس، على شبكة الإنترنت 2008/8/6: www.islamacademy.net.
12. السادة، جعفر علي مكي، الصحة النفسية بين الفرد والمجتمع، على شبكة الإنترنت 2007/10/15: www.alwahamag.com.
13. السبيعي، خالد، أمة لن تموت، على شبكة الإنترنت: www.almeshkat.net.
14. سليمان، سميرة، قالوا عن الشجاعة، على شبكة الإنترنت 2008/4/17: www.moheet.com.
15. _____، كلمات حكيمة من أفواه المشاهير، على شبكة الإنترنت 2009/4/9: www.moheet.com.
16. شلون، لينا، دراسة شملت 200 دولة: المسلمون ربع سكان العالم غالبيتهم في آسيا، على شبكة الإنترنت 2009/10/9: www.alquds.com.
17. عبد الخالق، أحمد محمد، التفاؤل والتشاؤم (عرض لدراسات عربية)، على شبكة الإنترنت: www.gulfkids.com.

18. عبد الرحمن، عبد الله، دراسة غربية عن عدد المسلمين في العالم، على شبكة الإنترنت 2009/10/9: www.maktoobblog.com
19. العتيبي، عجائب، الدعاة والمشايخ يحددون وصفة القضاء على الإحباط في طريق الداعية، على شبكة الإنترنت: www.aldaawah.com
20. عرفات، فضيلة، التفاؤل والتشاؤم، على شبكة الإنترنت 2009/3/12: www.alnoor.se/article.asp?id
21. عمر، محمد عطا، من الصفات الحميدة: الشجاعة، على شبكة الإنترنت 2007/12/24: www.arababts.com
22. الغامدي، عبد الله، المسجد حياة، على شبكة الإنترنت 2009/8/11: www.islam-love.com
23. الغزالي، محمد، القدوة الحسنة على شبكة الإنترنت 2004/4/10: www.islamweb.net
24. قاطرجي، نهى، الرجاء، على شبكة الإنترنت: www.saaaid.net
25. القرني، مناع محمد، خريطة الوصول وسر النجاح، على شبكة الإنترنت: www.mnna3.com
26. الكحيل، عبد الدائم، علماء الغرب يقولون: أن الإيمان بالله ضروري جداً للإنسان، على شبكة الإنترنت: www.kaheel7.com
27. _____، الإسلام بين الماضي والحاضر، على شبكة الإنترنت: www.kaheel7.com
28. _____، قوة التغيير، على شبكة الإنترنت: www.kaheel7.com

29. ماضي، جمال، كيف تتفاعل، على شبكة الإنترنت، 2007/10/18،

www.kenanaonline.com

30. محمد، حسين نجيب، برمجة العادات نحو التغيير، على شبكة الإنترنت:

www.balagh.com

31. محمود، خلف أحمد، شمس الإسلام هل تسطع من الغرب؟، على شبكة الإنترنت

www.alukah.net :2009/9/28

32. مطيري، عبد الكريم، الإنسان الصفر، على شبكة الإنترنت 2005/10/20:

www.swalflail.net

33. منصور، عبد الملك، العالم الإسلامي اليوم، على شبكة الإنترنت:

www.mansourdialogue.or

34. المنيجي، محمد بن محمد، تسلية أهل المصائب، على شبكة الإنترنت:

www.khayma.com

35. نبأ نيوز-سي أن أن: ربع سكان العالم مسلمون: حقائق مذهلة ومثيرة عن أعداد

المسلمين، على شبكة الإنترنت 2009/10/8: www.nabanews.net

36. هميسة، بدر عبد الحميد، المسلم والنقمة بالنفس، على شبكة الإنترنت:

www.saaaid.net

37. يونس، سمير، الرضا... نعمة روحية وعلاج لهموم الدنيا، على شبكة الإنترنت:

www.balagh.com

38. أبيات فصيحة عن الشجاعة: على شبكة الإنترنت 2009/7/20:

<http://www.forums.graam.com>

39. أحمد ياسين، على شبكة الإنترنت: www.wikipedia.org

40. أخلاق المسلم، على شبكة الإنترنت: www.aljayyash.net

41. الإيمان يبعث في النفس الأمل، على شبكة الإنترنت 2007/6/7: www.amman-dj.com
42. أهمية القدوة الحسنة في تبليغ الدعوة، على شبكة الإنترنت، 2010/4/1: www.balagh.com
43. برنامج الثقة بالنفس خلال عشرة أيام، على شبكة الإنترنت: www.balagh.com
44. الثورة الزراعية في العالم الإسلامي، على شبكة الإنترنت: http://wikipedia.org
45. خريطة توزيع المسلمين في العالم لعام 2009، على شبكة الإنترنت 2009/11/3: www.israj.net
46. الدول الإسلامية ... ثروات طبيعية وموارد بشرية وفوائض مالية كبيرة، على شبكة الإنترنت 2009/5/23: http://althawra.allwehda.gov
47. الديمغرافية الإسلامية: الموجه العالمية للمد الإسلامي: انتشار الإسلام السريع في العالم، على شبكة الإنترنت 2010/5/29: www.ebnmaryam.com
48. الرجل الذي مات واقفاً! مالكوم أكس على شبكة الإنترنت: www.saaaid.net
49. الشجاعة، على شبكة الإنترنت: www.heartsactions.com
50. الصحبة، على شبكة الإنترنت، 2009/9/1: www.muslim.net
51. قصة إسلام الزعيم الأمريكي مالكوم إكس، على شبكة الإنترنت: www.quran-m.com
52. كيف تصبح متفائلاً، على شبكة الإنترنت: www.shamela.net
53. كيف تكتسب ثقة عالية بالنفس، على شبكة الإنترنت: www.balagh.com
54. مالكوم إكس على شبكة الإنترنت: www.wikipedia.org
55. مظاهر الرحمة الإلهية، على شبكة الإنترنت: www.balagh.com

56. من أقوال توماس أديسون، على شبكة الإنترنت، 2010/2/4:

www.rewayat2.com

57. اليأس مفهومه ماهيته وعلاج الإسلام له، على شبكة الإنترنت 2009/10/12:

www.ibtesama.com

فهرست الآيات

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
		1-البقرة
257	68	(اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ...)
216	74	(وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا ...)
45	82	(وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ...)
197	92	(فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ ...)
186	95	(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي ...)
251	132	(وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ ...)
120	178	(وَلَن تَرْضَوْنَا عَنْكَ الْيَهُودَ وَلَا النَّصْرَىٰ ...)
263	230	(قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَاتٍ ...)
155	232	(وَلَيَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ ...)
154	246	(وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ...)
155-157	258	(وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ...)
222	283	(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ)
214	209	(أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ ...)
83	230	(وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا)
152	287	(فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ...)
170	292	(وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ ...)
		2-آل عمران
104	56	(وَلَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ ...)
27, 26	74	(قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ ...)
96	93	(إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ ...)

103	159	(فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ ...)
127	103	(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ...)
149	139	(وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)
11	110	(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ...)
172	138-137	(قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ...)
177	140	(إِنْ يَمَسُّكُمْ فَزَعٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَزَعٌ ...)
233	120	(إِنْ تَمَسَّتْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ...)
233	126-125	(بَلَىٰ إِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ ...)
211	195	(فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ ...)
245	171-169	(وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ...)
272	135-133	(وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ ...)
3-النساء		
142	69	(فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ ...)
172	87	(وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا)
172	122	(وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا)
238	104	(وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ...)
241	96-95	(لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي ...)
253	76-74	(فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ ...)
275	64	(وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ...)
4-المائدة		
130	2	(وَتَعَاوَنُوا عَلَىٰ الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ...)
146	54	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ ...)

5- الأتعام		
67	165	(وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ حَلِيفًا ...)
68	79	(إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي ...)
180	45	(فَاقْطِعْ دَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا)
180	47	(هَلْ يَهْدِيكَ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ)
6- الأعراف		
65	188	(قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا ...)
146	128	(إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا ...)
158	96	(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا ...)
212	170	(وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ ...)
228	199	(خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)
7- الأنفال		
151	60	(وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ...)
160	6-5	(كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ ...)
161	10-9	(إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ...)
161	17	(فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَئِنْ أَلَّهَ فَعَلَّهُمْ ...)
161	11	(إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً ...)
162	12	(إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ ...)
163	10	(وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)
173	54-53	(ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ ...)
43	45	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ ...)
286	33	(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ...)

8-التوبة		
74	51	(قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا ...)
90	103	(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا)
140	33-32	(يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ...)
242	111	(إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ ...)
212	120	(إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)
9-يونس		
180	13	(وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا)
205	9	(إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ...)
10-هود		
68	88	(وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ...)
146	49	(فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ)
180	102-100	(ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ ...)
180	117	(وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصَلِحُونَ)
286	3	(وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا ...)
213	32	(قَالُوا يَنْبُوحُ قَدْ جَدَدْتَنَا فَأَنْعَزْتَ جِدَالَنَا ...)
214	38	(وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ...)
214	40	(وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ)
286	52	(وَبِنِقْمِهِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ...)
11-يوسف		
37	90	(إِنَّهُمْ مِنْ يَتَّقِي وَيَصْبِرِ ...)
40	18	(فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ)
40	83	(فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ ...)

213	57	(وَلَا جُرْ أَلَاخِرَةَ خَيْرٌ ...)
214	96	(فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ ...)
56	87	(يَبْنِي أَدْهَبُوا فَتَحَسُّوْا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ ...)
215	34	(قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ ...)
12-الرعد		
58	11	(إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ ...)
29	28	(الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ ...)
13-إبراهيم		
147	20-19	(إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ ...)
68	12	(وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ ...)
14-النحل		
37	96	(وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا ...)
67	78	(وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونٍ ...)
58	76	(وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ ...)
179	112	(وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً ...)
292	44	(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ ...)
15-الإسراء		
98	44	(وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ...)
16-الكهف		
212	2	(وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ ...)
302	14-13	(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ بَنَاهُمْ ...)
17-مريم		
289	60	(إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ ...)

18-طه		
84	14	﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ ... ﴾
178	124	﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ ... ﴾
274	82	﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ ... ﴾
19-الأنبياء		
108	107	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾
179	13-11	﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قُرَيْشٍ كَانَتْ ... ﴾
215	84-83	﴿ وَيَأْتِيكَ إِذ تَأْتِي رَبُّهُ ... ﴾
20-الحج		
230	24	﴿ وَهَدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ ... ﴾
234	78	﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ... ﴾
219	40	﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ﴾
21-المؤمنون		
86	11-9	﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ ... ﴾
132	52	﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ ... ﴾
224	61	﴿ أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْحَيَاتِ وَهُمْ هَا سَابِقُونَ ﴾
22-النور		
138	55	﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا ... ﴾
222	40	﴿ أَوْ كَظَلَمْتَ فِي هَرَجٍ لَّيِّحٍ ... ﴾
23-الفرقان		
91	67	﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا ... ﴾
205	3	﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهَا آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا ... ﴾
273	70	﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا ... ﴾
289	71	﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا ... ﴾

24- الشعراء		
66	82-78	(الَّذِي خَلَقَنِي فَهَوَّيْتَنِي ...)
213	116	(قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ بِنُوحٍ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ)
214	120-119	(فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَكَ ...)
302	51-46	(فَأَلْقَى السَّحَرَةَ سَاجِدِينَ ...)
25- القصص		
37	54	(أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا)
146	83	(يَتْلُكَ الدَّارِ الْآخِرَةَ نَجْعَلَهَا ...)
179	58	(وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا ...)
289	67	(فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ ...)
26- العنكبوت		
84	45	(أَتْلُ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ ...)
27- الروم		
144	10-9	(أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ ...)
144	47	(وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ)
28- لقمان		
84	17	(يَذَّبِي أَقْبِرِ الصَّلَاةَ ...)
29- الأحزاب		
98	42-41	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ...)
163	11-10	(إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ...)
164	22	(وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ ...)
164	9	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ ...)
164	25	(وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ ...)
172	62	(سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا ...)

287	35	(وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ آلِ كَافِرَاتٍ)
287	43-41	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ...)
30-سبأ		
108	28	(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَلِمَةً لِلنَّاسِ ...)
31-فاطر		
172	43	(فَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ...)
32-الصفافات		
93	102	(فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤُ ...)
33-الزمر		
26	53	(قُلْ يَبْعَادِي الَّذِينَ اسْتَفْزَأُوا ...)
87	10	(إِنَّمَا يُؤَقِّبُ الصَّابِرِينَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ)
220	9	(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ)
34-غافر		
65	60	(وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)
142	52-51	(إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا ...)
35-فصلت		
210	33	(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّن دَعَا إِلَى ...)
36-محمد		
147	38	(وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا ...)
162	7	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصَرُوا اللَّهَ ...)
37-الفتح		
67	4	(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ...)
133	29	(مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ...)
178	28	(هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ)

38- الحجرات		
131	13	(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ ...)
71	7	(وَلَئِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ ...)
39- الحديد		
75	23-22	(مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ ...)
260	20	(وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْغُرُورِ)
40- المجادلة		
25	7	(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ ...)
41- الحشر		
156	2	(هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ...)
42- الصف		
127	4	(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ ...)
227	3-2	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ...)
43- المنافقون		
69	8	(وَاللَّهُ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ)
44- التغابن		
29	11	(وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ...)
45- الطلاق		
68	3	(وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ)
177	7	(سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا)
257	3-2	(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ ...)
46- التحريم		
276	8	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً ...)
47- الملك		
51	22	(أَلَمْ نَ يَمْسُحْ مِمْبَا ...)

254	2	(الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ ...)
48-المعارج		
85	23-19	(إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ...)
49-نوح		
214	9-5	(قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ...)
50-الأعلى		
84	15-14	(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ...)
51-البلد		
265	4	(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبِيرٍ)
52-الشرح		
177	6-5	(فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)
53-الزلزلة		
300	8-7	(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ...)

فهرست الأحاديث

رقم الصفحة	طرف الحديث
12	(لا عدوى ولا طيرة ...)
21	(كل مولود يولد على الفطرة ...)
25	(أنا عند ظن عبدي بي ...)
27	(يا غلام إني أعلمك ...)
28	(المؤمن القوي خير ...)
31	(إن الله عز وجل يبسط يده بالليل...)
31	(الله أفرح بتوبة ...)
40	(ما من مسلم يشاك شوكة ...)
44	(عجباً لأمر المؤمن ...)
50	(لا يحقر أحدكم نفسه ...)
53	(قل آمنت بالله ثم استقم)
56	(أفضل الجهاد كلمة ...)
65	(يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني ...)
67	(إن الدنيا حلوة خضرة ...)
76	(إني قد تركت فيكم ما إن ...)
81	(فتنة الرجل في أهله ...)
81	(أرأيتم لو أن نهراً بباب ...)

81	(الصلوات الخمس ...)
82	(إنّ الرجل إذا دخل في صلاته ...)
83	(حُبب إليّ الطيب ...)
83	(قسمت الصلاة بيني وبين عبدي ...)
86	(من صلى صلاة الصبح ...)
86	(الملائكة تصلي على أحدكم ...)
87	(من صام رمضان إيماناً ...)
88	(من لم يدع قول الزور ...)
88	(الصيام جنة، فإذا كان ...)
89	(إذا أدخل رمضان فتحت ...)
91	(من حج فلم يرفث ...)
95	(ما على الأرض مسلم يدعو الله ...)
95	(إن الله حييٌ كريم ...)
95	(الدعاء مخ العبادة)
96	(من نفس عن مؤمن كربة ...)
96	(مثل المؤمن الذي يقرأ ...)
97	(يجيء القرآن يوم القيامة ...)
97	(اقرأوا القرآن فإنه يأتي ...)
98	(مثل البيت الذي يذكر الله ...)

99	(من جلس مجلساً كثر فيه ...)
99	(أيعجز أحدكم أن يكسب ...)
99	(كلمتان خفيفتان ...)
99	(لا يقعد قوم يذكرون ...)
99	(ألا أدلك على كلمة ...)
104	(إن الله رفيق يحب الرفق ...)
105	(ليس الشديد ...)
105	(من رأى منكم منكراً ...)
110	(الكيس من دان نفسه ...)
115	(اكلفوا من العمل ما تطيقون ...)
117	(المسلم إذا كان مخالطاً للناس ...)
118	(الرجل على دين خليله ...)
125	(مثل الجليس الصالح ...)
125	(المؤمن كئيس فطن)
127	(المؤمن للمؤمن ...)
128	(مثل المؤمنين ...)
128	(لا يؤمن أحدكم ...)
133	(المسلم أخو المسلم ...)
152	(لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون ...)

152	(لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين ...)
153	(إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل ...)
154	(إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ...)
155	(لنقاتلن اليهود، فلتقتلهم حتى يقول ...)
156	(ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ...)
156	(أي المدينتين تفتح أولاً؟ ...)
157	(لا تقوم الساعة حتى تعود ...)
157	(لا تقوم الساعة حتى يكثروا فيكم ...)
157	(ليأتين على الناس زمان يطوف ...)
158	(تصدقوا، فإنه يأتي عليكم زمان ...)
158	(تكون النبوة ما شاء الله أن تكون ...)
210	(لأن يهدي الله بك رجلاً ...)
211	(من دعا إلى هدى كان له من الأجر ...)
212	(أي الناس أشد بلاءً؟ ...)
213	(حُفَّت الجنة بالمكاره ...)
216	(لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ...)
217	(ألا رجل يحملني إلى قومه؟ ...)
220	(إنما العلم بالتعلم ...)
221	(إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق ...)

223	(مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم ...)
224	(من هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة)
224	(ومن تقرب إليّ شبراً تقربت إليه باعاً ...)
229	(دعوه، وهريقوا على بوله سجلاً ...)
230	(والكلمة الطيبة صدقة)
230	(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ...)
231	(يسراً ولا تعسراً ...)
231	(كان النبي يتخولنا ...)
232	(من يصبر يصبره الله ...)
232	(ما من جرعة أعظم عند الله ...)
246	(أيّ الناس أفضل ...)
247	(ما من أحد يدخل الجنة يحب ...)
247	(عينان لا تمسهما النار ...)
248	(من قاتل لتكون كلمة الله ...)
248	(لغدوة أو روحة ...)
249	(من رضي بالله رباً ...)
250	(كل ميت يختم على عمله ...)
251	(للشهيد عند الله ست خصال ...)
258	(ما من عبد تصيبه مصيبة ...)

259	(ما من مسلم يصيبه أذى ...)
259	(ما يصيب المؤمن من وصب...)
260	(ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة ...)
260	(الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر)
268	(إذا مات ولد العبد ...)
276	(من تاب قبل أن تطلع الشمس ...)
277	(لله أشد فرحاً بتوبة عبده ...)
278	(أذنب عبد ذنباً ...)
279	(يا ابن آدم إنك ما دعوتني ...)
280	(يا عبادي إنكم تخطؤون ...)
280	(كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة ...)
281	(يتنزل ربنا تعالى كل ليلة ...)
282	(إن العبد إذا أخطأ خطيئة ...)
286	(من لزم الاستغفار جعل الله له ...)
286	(طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً)

Abstract

Al Zienati, Ahd Soud. Hope and Optimism from an Islamic educational perspective. PhD dissertation, Yarmouk University, 2011.

(Supervisor: Professor. Mohammad Oqla' Al Ibraheem).

The objective of the current study was to address the concept of hope, its elements and significance, then identify the main stimulants of such a construct, clarify the educational aspects of hope from an Islamic educational perspective. The study concluded that hope is mainly based on some key elements such as believing in God, courage, patience and persistence, self-confidence. Hope has many sources that provide Muslim with amenities & tranquility and a positive view of different life aspects. Which helps him to face life's difficulties. Those sources are: Aqeeda, Worships, Role Modeling, Benefiting from others' experiences, companionship with optimistic individuals, cooperation and collaboration. There are some indicators and facts that stimulate hope in the human soul which source from The Holy Quran, Sunnah, Islamic history and the Divine traditions. Those sources are confirmed by realities such as: Islamic awakening, the testimonies of the West, forces owned by Islamic Nation. There are many fields and domains where individuals need to be armed with hope more than others. Such as: the field of invitation to the oneness of God, Jihad, when calamities occur, when one makes a sin, and when one needs to change his way of thinking.

Key words: Hope, Optimism, Islamic Education.